

الإسلام بين المفاهيم والمعطيات
الجزء الأول



الجمهورية العربية السورية

وزارة الأوقاف

سلسلة وزارة الأوقاف التنويرية

فقه الأزمة

الإسلام

بين المفاهيم والمصطلحات

الجزء الأول

جميع الحقوق محفوظة لوزارة الأوقاف
الطبعة الأولى
م ٢٠١٤ هـ ١٤٣٥

سلسلة وزارة الأوقاف التنموية
فقه الأزمة
الإسلام بين المفاهيم والمصطلحات
الجزء الأول

- ١- الوهابيون خوارج هذا العصر .
- ٢- الكفر والتکفير وضوابطهما .
- ٣- الإخوان المسلمين (النشأة والحقائق) ج ١ .
- ٤- أدعياء السلفية في الميزان .
- ٥- مفهوم الجهاد في الإسلام .
- ٦- دعوة فتنة لا دعوة رحمة .

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحَسَنُ فَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] . وقال الله عز وجل أيضاً : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ يَبْصِرُوكُمْ أَنَا وَمَنْ تَبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فقد وضع الإسلام لمنهج الدّعوة وسائلٍ تعين على أداء الواجب تجاه الوطن والدين ، وإننا - جمياً - مُتفقون على أن بلادنا تمر بمرحلة مصيرية ، وإن هناك رغبة جامحة من الغرب في تدمير مقدرات البلاد ، وإذلال أبنائها ، وجعله رهينة للمخططات والأهداف الصهيونية والأمريكية في العالم .

والإسلام بخطابه المعتمد ومفهومه الشامل هو الذي يقدم للأمة الإسلامية الفكر السوي الذي يمثل روحها ويصوغ وجدانها ويستنهض همم أبنائها ، ويُوقظ فيها الطاقة المحرّكة القادرة على الإبداع والعطاء . ومن أهم الأسباب التي توصلنا إلى هذا الفكر وهذا المنهج ، العمل على توجيه أفراد الأمة توجيهاً واعياً سليماً ، وذلك من خلال فعاليات الخطباء على منابرهم ، والمدرسين الدينيين في

مساجدهم ، والأكاديميين في جامعاتهم ومعاهدهم . . .

ومما لا شكَّ فِيهِ أن الدَّعوة الإسلامية بمراحلها جميعاً تحتاج إلى رجال مُؤَهَّلين علمياً وخلقياً لحملها وتبلighها على وجهها الصَّحيح ، وتحتاج إلى دُعاة يفهمون الإسلام فَهُمَا سَلِيمَاً وَيَسْعَوْنَ فِي إِيصاله إلى أبناء هذه الأُمَّةَ بعِدَّا عن التَّشْوِيهِ والتَّحْرِيفِ والتَّزَيِّفِ والفهم الخاطئ ، مُنسجِماً مع طبيعة العَصْرِ الْذِي نعيش ، الممتليء - كما نعلم - بالفتن الجسام .

كما أن الدُّعاة مُحتاجون إلى فَهْمٍ وَاقِعِ أَمْتَهُمْ وظروf عصرهم فَهُمَا لَا غُمْوضَ فِيهِ ولا تحريف ، وبعدها يتَّلَمَّسُونَ الحلول المناسبة للمسكلات الطَّارئة بما يَتَلَاءَمُ مع منهج القرآن الكريم والسنَّة النَّبُوَّةِ والفهم الصَّحيح لنصوصهما .

فالواجب الشرعي يتطلَّب مِنَّا اليَوْمَ تَضَافُر جهود المؤسَّسات والقوى الدينية التابعة لوزارة الأوقاف وغيرها من الوزارات ، من : ثانويَّات شرعية ، ومعاهد متَّوسطة وعليا ، ومُجَمَّعات دينية ، وكليَّات شريعة في الجامعات السُّورِيَّة . بالإضافة إلى جُهود القائمين بالشعائر الدينية ؟ مِن خطباء مساجد ، ومدرِّسين دينيَّن وفتين ، ومن فعاليَّات أخرى كالتدريس الديني النسائي ، والتَّوجيه والإرشاد . . . ، وذلك بهدف إطلاق حَمْلة إنقاذ لِلْفَكَرِ الإِسْلَامِيِّ من محاولات الفكر الظَّلامي ، والتَّركيز على تصحيح المفاهيم وتوضيح حقيقة الدِّين من خلال هذه المؤسَّسات ؛ لِنَكُونَ نَمَوذْجاً يُحتَذَى في العالم العربي والإسلامي باعتبار دمشق عاصمة الحضارة الإسلامية .

وعلى ضوء ما سبق من معانٍ وأفكار ، واستمراراً للسير قدماً على منهج التَّصَدِّي للفكر المنحرف والمتشدد ، وللتَّيارات الفكرية الضاللة المُضِلَّة ، ومن ضرورة تَلاحم الجُهود ، ولم الشَّمل ورأب الصَّدع في الجسد الواحد ، ودعمًا للفكر الديني المعتمد ، وللوحدة الوطنية التي نعمت بها سوريا طويلاً من الزَّمن على رغم كلِّ ما يُحاك ضدها من مؤامرات ، وما تتعرّض له من فتن مُراد أصحابها - ومن يسعون فيها - تدمير كيان سوريا ، أرضاً ، وبنية تحتية ، وشعباً .

وانطلاقاً من أن الفكر الديني المعتمد البناء المخلص هو البلسم الوحيد للجروح العميقه التي أصابت مجتمعنا وكادت تمزّقه ، وهو القادر على جعل سوريا أقوى سياسياً واجتماعياً وثقافياً وأخلاقياً .

وبعد تَنَامي فتنة التَّكفير التي تجتاح العالم الإسلامي بِرُمْته من شرقه إلى غربه ، حاصلة أرواحآلاف الأبرياء ، في تجاوزٍ صارخٍ لكلِّ القيم الإنسانية ، وانتهاءً فاضح لكلِّ الحرمات ، وتشويه غير مسبوق لصفاء الصُّورة الإسلامية ، هذه الفتنة التي يقودها أصحاب الفكر الوهابي لم تطحن في تاريخها القديم والحديث إلا رقاب المسلمين في اليمن والعراق والجزائر ومصر والشَّام وغيرها ، إنَّه فكرٌ يُؤسِّس لإباحة ذبح الأبرياء ، ولقتل عشوائي ، ولتفجيراتٍ بسيارات مُفخَّحة ، وشبَّان انتحاريّين يذهبون إلى الموت وهم يظُنُّون أنهم ذاهبون إلى الفردوس الأعلى مباشرة ، مع مباركة وفتاوي شرعية من علماء تزيدُ من عزّ ملتهم وتسوّغُ إرهابهم وتُحفِّزُ الآخرين على سلوك النَّهج الذي سَلَّكُه

الانتهاريون نفسمه ، وما الذي حصل في دول كثيرة كالعراق والجزائر ومصر وأفغانستان ، وكان آخرها بلدنا سورئية ، إلا من هذا القبيل .

لهذا ، فإنَّ علماء القطر العربيِّ السُّوريِّ والقائمين بالشَّعائر الدينيَّة تnadوا إلى العناية بقضايا ومسائل ومحاور غاية في الأهميَّة ، وإلى تهيئة المناخ الملائم لإيصالها إلى أبناء الوطن بصورةها الحقيقية ، وفهمها الذي يتَسقُ مع الفهم السليم لأحكام الإسلام ، لما لهذه القضايا من أثرٍ كبير في إعادة الاستقرار إلى ربوع بلدنا الحبيب .

وكان من نتاج هذا التَّوجُّه للسادة العلماء في سورئية أن شُكِّلت اللَّجنةُ العلميَّةُ الفقهيةُ في وزارة الأوقاف ، ومن أبرز مهامها وضع الخطط الكفيلة بالارتقاء بالمستوى الفكري والديني لأبناء الوطن بما في ذلك المحافظة على الفكر الوسطي لفهم الإسلام بعيداً عن التطرف والغلو والتفريق ، وبما يعزز الوحدة الوطنية الرائدة في سورئية .

بالإضافة إلى تأليف بحوث علميَّة فقهية وفكريَّة إثرائيَّة ، ودراسات متخصصة حول أفكار ومحاور دينية تؤكِّد وسطيَّة الإسلام واعتداله ، وتنبذ التشدد والتطرف والتكفير ، وستكون تلك البحوث والدراسات منهجاً علميًّا معرفياً ومرجعاً فقهياً وفكرياً يتزوَّد منه الخطيب والمدرس الديني في خطبه دروسه .

وكان باكورة أعمال هذه اللَّجنة إصدار سلسلة فقه الأزمة التي أطلقنا عليها اسم (السلسلة التَّنويريَّة - الإسلام بين المصطلحات والمفاهيم) .

وممَّا رَكِّزَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ السُّلْسُلَةُ :

* بيان حقيقة الفكر التَّكْفيري وأصحابه الَّذِين يَعْمَلُونَ فِي الصُّفُوفِ الْخَلْفِيَّةِ ، وَيُظَهِّرُ عَمَلَهُمْ هَذَا فِي عَمَلَيَّاتِ التَّفَجِيرِ وَالْقَتْلِ الْجَمَاعِيِّ ، وَاضْعِفَنَ الْعَصَابَاتِ فِي الْوَاجْهَةِ ، دَاعِمِينَ لَهَا مِنَ الْخَلْفِ .

* اتِّخَادُ الوَسْطِيَّةِ وَالْاعْدَالِ فِي الْطَّرْحِ مِنْهَاجًا لِلْدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَذَلِكَ مِنْ خَلَالِ خُطْبَهُ وَدُرُوسِهِ ، وَابْتِعَادِهِ عَنِ التَّعَصُّبِ لِلرَّأْيِ .

* الدَّعْوَةُ إِلَى التَّسَامُحِ وَالتَّوَاصُلِ ، وَاحْتِرَامُ الرَّأْيِ الْآخَرِ ، وَالاعْتِرَافُ بِالْخَطَأِ وَالرَّجُوعُ عَنْهُ بِشَجَاعَةٍ وَصَرَاحَةٍ ، وَالثَّرِحِيبُ بِنَصْحِ النَّاصِحِينَ ، وَإِحْسَانِ الظَّنِّ بِالآخِرِينَ .

* الانطلاق من أَنَّ بَابَ الْحَوَارِ فِي الإِسْلَامِ مَفْتُوحٌ لِلْجَمِيعِ - وَمَعَ الجَمِيعِ - مِنْ أَجْلِ مَصْلَحةِ الْوَطَنِ وَاسْتِقْلَالِهِ وَالشَّعِيرِ وَأَمَانِهِ ، وَمِرَادُ الْجَمِيعِ الْوَصْولُ إِلَى الْحَقِّ وَإِشَاعَةُ وِجْهِ الْخَيْرِ ، بَعِيدًاً عَنِ الْمَصَالِحِ وَالْأَهْوَاءِ الَّتِي تُؤَدِّيُ إِلَى النِّزَاعِ وَالْفَرَقَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفَشُوا وَتَدْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

* تضافُرُ الْجَهُودِ لِلثَّمَسِّكِ بِالدِّينِ السَّمِحِ بَعِيدًاً عَنِ الْغُلُوِّ وَالتَّشَدُّدِ وَالْفَكَرِ التَّكْفيريِّ الَّذِي لَا جَدْوِيَّ مِنْهُ ، وَلَا يَكُونُ مَعَهُ إِلَّا المُزِيدُ وَالْمُزِيدُ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّدْمِيرِ بَيْنِ أَبْنَاءِ الدِّينِ الْوَاحِدِ وَالْوَطَنِ الْوَاحِدِ .

* بيان حقيقة فريضة الجهاد في الإسلام ، وكشف المفاهيم المنحرفة والمصطلحات المزيفة التي أطلقها المُغَرِّضُون تحت مسمى

الجهاد ، وهي أبعد ما تكون عن الجهاد وعن الإسلام في شيء .

* وجوه الشبه بين أفكار التكفير القديمة وأفكار التكفير الحديثة وقرب بعضها الآخر قائمة ومتكررة وثابتة ، وإن تباينت في الإخراج والعبارة ، والسبب في ذلك أنَّ التكفير واحد في النوع ، وإن اختلف في التفاصيل .

* التَّحذير من الفساد والإفساد في الأرض ، وأثر منع حدوثهما في المحافظة على مُقدَّرات البلاد الاقتصادية والتَّنموية والبيئية والثقافية والتعلَّيمية ، فهذه المقدَّرات ملك للجميع ، وإن تدميرها أو تعطيلها إرباك لحياتنا ، وتضييق حقيقي علينا ، ومسؤولية ذلك تقع على عاتقنا ، وهذا من التَّعاون على البر والتَّقوى الذي أمرنا الله تعالى به .

* تأكيد مبدأ المصالحة والمناصحة والمصارحة بين المختلفين ، قال الله تعالى : ﴿وَالصُّلُحُ خَيْرٌ﴾ [النساء : ١٢٨] وقال الله عز وجل أيضاً : ﴿فَاقْتُلُوا الَّذِينَ أَصْنَلُوهُمْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : ١] . وقال رسول الله ﷺ : (الخلق كُلُّهم عيالُ الله فأحَبُّ الخلق إلى الله أَنْفعُهم لعياله) ^(١) .

* منهجية الاحتكام في القضايا المختلف فيها إلى أهل العلم الموثوق بإيمانهم وعدالتهم ووسطيتهم ورسوخهم في العلم لبيان حكم الشَّرع فيها في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنَّة النَّبوَّية

(١) أخرجه الطبراني في معجمة الكبير برقم (١٠٠٣٣) .

ومقاصد الشّريعة ومبادئها العامّة ، وتوعيّة النّاس إلى ضرورة عدم الالتفات إلى الفتاوی الشّاذة والتّکفیريّة « فتاوى القتل والإرهاب ».

* أهميّة الانطلاق في الخطاب الديني من مقاصد الشّريعة الإسلاميّة المتمثّلة بقواعد كثيرة من أهمّها قاعدة درء المفاسد وجلب المصالح ، والقواعد الخاصة بمراعاة الأولويّات .

* بيان حقيقة الحرب الرّعناء التي أعلنتها إسرائيل على سوريّة ، وجّنّدت لها بالوكالة عبيدها الأقربين وخدّامها الأبعد التابعين وراء البحار ، وعلى رأسهم الفكر الوهابي التّکفيريّ .

* أهميّة بيان حقيقة الدّعوات المغرّضة الهدّامة التي تدعو إلى تدخل أجنبى سافر و دائم في شؤون بلادنا الدّاخليّة ، والتي تجرّ الوليات والدّمار ، وتجعل من سوريّة مسرحاً لأغراض وأطامع عدوانيّة استعماريّة لا نجني من ورائها إلا المزيد من سفك الدّماء البريئ ، مما يعكس سلباً على العمل الدّعوي والديني والاجتماعي والاقتصادي وسائر جوانب الحياة .

* بيان أن سلسلة التّآمر على أرض الشّام عموماً وسوريّة خصوصاً مستمرة ، ولكن بأشكال قبيحة متنوّعة .

* أهميّة عدم استغلال الخطاب الديني لخدمة اتجاهات سياسية شخصيّة ، أو فوئية انتماقيّة .

* الانتباه إلى أن خطاب الدّعاة أداة فاعلة في تعميق معنى الأخوة والوحدة بين أبناء الوطن الواحد .

* تعزيز روح الانتماء إلى الوطن ، والدّفاع عن ثوابته وهوبيّته العربية .

راجين المولى عزّ وجل أن يهبّيء لهذه الأمة أمر رشيدٍ وعزّة ومنعة ، وأن يكشف عنها الغمّة ، ويُفرج الكرب ، ويعيد نعمة الأمان والأمان إلى ربوع بلادنا الحبيبة عاجلاً غير آجل ، وأن يوفّقنا إلى ما يُحبُّ ويرضى ، إنَّه على ما يشاء قادر .

والحمد لله رب العالمين

دمشق في يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ
الموافق ١٣ كانون الثاني ٢٠١٤ م

اللجنة العلمية الفقهية في وزارة الأوقاف

من فقه الأزمة (١)

الوهابيون خوارج هذا العصر

المحتوى

١٧	مقدمة البحث
١٩	من هم الوهابيون؟
٢١	من هم الخوارج؟
٢٣	القواسم المشتركة بين الوهابية والخوارج
٢٧	تكفير الأئمة الأعلام ..
٢٩	الوهابية ومناهج التربية الدينية التكفيرية
٣٣	موقف علماء السنة من الوهابية ..
٣٧	الوهابية غلاة ينهون عن الغلو ..
٥٤	الخوارج والخروج على الحاكم ..
٥٦	الأحاديث الصحيحة الواردة في الخوارج
٦٤	الخاتمة ..

مقدمة البحث

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

إن الحديث عن الوهابية هو نموذج للحديث عن الحركات الإسلامية المتطرفة التي تحكر الإسلام لنفسها وتجرد الآخرين منه ، أو تشكيك في إيمانهم ، حيث إن الفكر الوهابي ينطوي على فكر غريب من نوعه قائم على عدم الاعتراف بالأمة الإسلامية على أساس الشهادتين ، وإصرار الوهابية على النظر إلى الناس من خلال المنظار الضيق لمؤسس الحركة محمد بن عبد الوهاب للإيمان والإسلام ، وهو ما يجعلها دائمًا أقلية في المجتمع ، تلجأ دائمًا إلى العنف ، وتضطر للتحالف مع قوة عسكرية ، وتعتمد الجهاد ضد بقية المسلمين ، وتقسم نظاماً سياسياً على أساس القهر والغلبة ، ورفض الآخر وإقصائه .

لذا نقول : إن أزمة الفكر الديني والسياسي الوهابي تكمن في مشكلة التكفير لعامة المسلمين ، ووضع شروط متشددة على تحقق صفة الإيمان ، وتضييق دائرة التوحيد ، والمبادرة سريعاً إلى التشكيك بإسلام الناس ، واتهامهم بنقض عُرى الإيمان ، وقد أدت هذه المشكلة إلى حدوث تناقض دائم مع الجماهير المسلمة ، والعداء لمختلف الطوائف والأحزاب والتيارات الإسلامية ، وعدم الانفتاح عليها ، بل وإقامة العلاقة معها على أساس الفتح والاحتلال والعنف والقهر والغلبة .

إن التفسير الوهابي الجديد للتوحيد سمح للحركة بإعادة تشكيل

إطار جديد للأمة الإسلامية ، حيث لم يعد يشمل كل من يشهد الشهادتين ، بل يقتصر على من يعتنق النظرية الوهابية في التوحيد ، ويصطف إلى جانب دولتها .

لقد خَلَقت قاعدة التكفير التي حَكمت علاقة الوهابيين بعامة المسلمين نوعاً من التوتر الدائم بينهم ، وذلك بسبب مبدأ الجهاد الذي التزمت به الحركة طريراً للدعوة ، وإجبار الكفار والمرتكبين والمرتد़ين على الدخول في الإسلام من جديد ، والتمسك بنظرية « التوحيد » التي جاء بها محمد بن عبد الوهاب ، وبسبب رفض عامة المسلمين للتفسير الوهابي الضيق للتوحيد ، وذلك ما أسس لعلاقة بين الطرفين قائمة على أساس العنف والقوة والإرهاب ، وقضى على أية فُرصة لبناء العلاقة بينهما على أساس الشورى والسلام .

من هُم الوهابيون ؟ وما هي الوهابية ؟ وما هي علاقتهم بالخارج أصحاب المذهب التكفيري الشهير ؟ وما هو المنهج التأصيلي الخاص بهم ؟

أسئلة كثيرة ومطالعات دقيقة لأبرز قضايا الوهابية التكفيرية والإلغاوية ، مع توضيح دقيق لأبرز فتاوى التكفير والتشهير والإلغاء ، وملاحظة التناقض الديني والسياسي للمنهج الدعوي في توصيف هذه الفتوى .

هذا ما سيكون عليه بحثنا ، ونسأل الله لنا ولكلم التوفيق والسداد .



من هم الوهابيون ؟

لقد تحدث الكثير من الكُتَّاب والمؤرخين عن معنى الوهابية إلا أننا نسوق ابتداءً تعريف الدكتور عبد الكريم زيدان عندما وصفهم بقوله : « الوهابية : لقب أطلق على أتباع محمد بن عبد الوهاب [١٧٠٣-١٧٩١ م] ، وقد تحولت إلى اتجاه مذهبي داخل الفكر الإسلامي ، له أنصاره ومؤيدوه ، وأفكاره التي تتسم بالتشدد الاعتقادي والتصلب في تطبيق الشريعة »^(١) ، بناء على تصور يقسم العالم بشكل حاد إلى عالم كافر مُشرك ، وعالم مؤمن مسلم ، وعقيدة الولاء والبراء التي هي من المُرتكزات الأساسية فيها ، فكل ما في هذه المنظومة تفوح منه رائحة العنف والقتل والكرامة والإلغاء والتکفير والتحطيم ، أي أنها تنصح بكل القيم السلبية التي جَهَدت البشرية على مر العصور والدهور على نيتها ورفضها ونبذها ، والدعوة إلى نمائضها لما فيه خيرُ الإنسان ، وسعادة المجتمع الإنساني واستمراره ، فكيف يمكن أن تُجمَع كل هذه المفاهيم المُدَمِّرة في دعوة واحدة ، ثم يَدْعُي أصحابها أن هَدْفهم الأمثل هو حماية العقيدة ، وصون الدين وبناء الإنسان وإصلاح المجتمعات ؟ وهذا السؤال يُصبح مسوًغاً إذا شهدنا الأذى البالغ الذي أَلْحَقَه هذا التيار

(١) « الفرق الإسلامية المعاصرة » ، دراسة نقدية ، عبد الكريم زيدان ، ص ٧٦ ، ط ٢ ، دار الرشيد ، بغداد .

بسمعة الإسلام والمسلمين في العالم كله .

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه ، من أين استمدت الوهابية قوتها وتأثيرها في العالم الإسلامي ؟ نستطيع أن نقول : « الوهابية استمدت قداستها أمام نفسها وأتباعها من سكناها مقدسات المسلمين ، فنَصَّبُوا أنفسهم الناطق الرسمي باسم الإله ، وهم خلفاء الرسول ﷺ في حكمه ، ومن ثم فإن الخارج عليهم كافر أو مشرك أو مبتدع أو ضال »^(١) .

فالحركة الوهابية تطرح نفسها بديلاً عن كل القوى والتيارات الأخرى العاملة على الساحة ، فالمتبون لهذه الأفكار هم المسلمون الوحيدين الذين يملكون المشروع الشرعي لإنقاذ الأمة ، هذا المشروع الذي ذهب إلى أبعد الحدود في توظيف الدين في خدمة مصالح سياسية .

أما مخالفوهم فكثرة وإن كانوا مسلمين ، وخارجون عن دائرة الإسلام الإيمانية والسياسية . . . وأما هم فالوحيدون في نعيم الإيمان .

* * *

(١) « الوهابية في صورتها الحقيقية » ، محمد حسن خان ، ص ١٥٨ ، ط ١ ، دار الغدير .

من هم الخوارج ؟

« هُم طائفة أبْتَإَتْ إِلَّا تَمْزِيقَ صَفَّ الْمُسْلِمِينَ ، فَخَرَجَتْ عَلَى الْخَلِيفَةِ الَّذِي تَمَّتْ بِيَعْتِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ ، وَتَمَّتْ لَهُ الْإِمَامَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَهُمُ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ بِالْمُعَاصِيِّ ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى أَهْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتْهُمْ ، وَهُمْ غُلَامٌ مَتَّيِّقُهُمْ ضَالُّونَ فِي التَّصْوِيرِ وَالاعْتِقَادِ وَالسُّلُوكِ »^(١) ، مَعَ التَّشْدِيدِ وَالْأَخْذِ بِأَحَادِيثِ الْوَعِيدِ دُونَ النَّظَرِ فِي أَحَادِيثِ الْوَعْدِ وَالتَّبَشِيرِ .

« وَالخَوَارِجُ هُمُ أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُكَفِّرُونَ بِالذُّنُوبِ ، وَيُكَفِّرُونَ مِنْ خَالِفِهِمْ فِي بَدْعَتِهِمْ ، وَيَسْتَحْلِلُونَ دَمَهُ وَمَالَهُ »^(٢) .

وَحَالُ خَوَارِجُ هَذَا الزَّمَانِ لَا يَخْتَلِفُ عَنْ حَالِ خَوَارِجِ الْأَزْمَانِ الْغَابِرَةِ ، مَتَعَجَّلُونَ مُتَشَدِّدُونَ ، وَوَاهِمُونَ أَنَّهُمْ يُدَافِعُونَ عَنِ الْأَمَّةِ وَقَضَائِيَّاهَا ، « وَقَدْ أَشْغَلُوهَا عَنِ الْمَهْمَمِ وَالْأَهْمَمِ ، وَأَضَاعُوا وَصَرَفُوا جُهْدَ الدُّولَةِ لِتَتَقْبِيْهُمْ وَقَطَعُ دَابِرَهُمْ وَاجْتَثَاثَهُمْ ، وَرَمَوا أَنْفُسَهُمْ بِالْتَّهْلِكَةِ ، وَكَانُوهُمْ لَا يَقْرَئُونَ الإِسْلَامَ وَوَاقِعُهُ الْمُحِبُّ لِلإِنْسَانِ وَحَيَاتِهِ ، وَنَهَجُ التَّسَامُحَ وَالتَّطَوُّرَ وَالاعْتِزَازَ وَالْالِتَّزَامِ »^(٣) .

(١) « التحفة الوهبية في الرد على الوهابية » ، الشيخ داود بن سليمان البغدادي ، ص ٨٥ ، ط ٤ ، دار الأرقم .

(٢) « الخوارج والحركات الإسلامية المعاصرة » ، ضياء الدين الرئيس ، ص (٢٤-٢٥) ، ط ١ ، دار نهضة ، مصر .

(٣) المصدر السابق ص ٤٦ .

ولا بد من التأكيد على أن من أهم أسباب تفرق الأمة الإسلامية ما قامت به فرقة الخوارج من فتن وحروب داخلية أثاروها بين المسلمين ، حيث خرجوا على أئمة المسلمين ، واستحلوا الحرمات ، ونشروا الرعب والخوف ، وسلطوا الأعداء على المسلمين ، وشوّهوا صورة الإسلام والدين ، وصدوا عن سبيل الله عز وجل . والمتتبع لآراء الخوارج ومقالاتهم يجد أن هذا الفكر يتطور تطوراً سريعاً ، فمبادئه تبدأ ضعيفة ثم تكثّر وتزداد .

ونظراً لوجود تشابه كبير في نقاط عديدة بين المعاصرين من « الوهابية » و« الخوارج » كان لا بد لنا أن نُبين أوجه التشابه والتأثير بين الخوارج والوهابية .

* * *

القواسم المشتركة بين الوهابية والخوارج

تُعتبر الوهابية الابن المعاصر لفكرة الخوارج ، فهي الترتيب المنطقي لمنهج الخوارج القديم ، ولنا هنا أن نبين أوجه الشبه :

١- « شَدَّ الْخَوَارِجَ عَنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا : إِنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ ، وَشَدَّ الْوَهَابِيَّةَ فَكَفَرُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا عَذُّوْهُ مِنَ الذَّنُوبِ »^(١) . ولعل المقصود هنا بكلمة الذنب هي ما يعده الوهابيون من البدع ، كالتمسح بالقبور والتَّوَسُّل بالنبي ﷺ من الشرك والكفر .

٢- حَكَمَ الْخَوَارِجَ عَلَى دَارِ الْإِسْلَامِ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهَا الْكَبَائِرُ أَنَّهَا دَارُ حَرْبٍ ، وَحَلَّ مِنْهَا مَا كَانَ يَحِلُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ ، أَيْ تُهَدِّرُ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَهَكَذَا حَكَمَ الْوَهَابِيُّونَ عَلَى دَارِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنْ كَانَ أَهْلَهَا مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَكْثَرُهُمْ صَلَاحًا إِذَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ جُوازَ السَّفَرِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمُشَاهَدَةِ الصَّالِحِينَ وَيَطْلَبُونَ مِنْهُمُ الشَّفَاعَةَ .

٣- تَشَابَهُ الْوَهَابِيُّونَ وَالْخَوَارِجَ فِي التَّشَدُّدِ فِي الدِّينِ وَالْجَمُودِ فِي

(١) « الوهابية تشوه الإسلام وتؤخر المسلمين » ، محمد الغزالى ، ص ١٢٤ ، ط ٥ ، دار الريان .

فهمه : فالخوارج لما قرءوا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] قالوا : مَنْ أَجَازَ التَّحْكِيمَ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَاتَّخَذُوا شعارهم : « لا حُكْمٌ إِلَّا لِلَّهِ ». نقول : هذه كَلْمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا باطِلٌ ، كما قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فَقَوْلُهُمْ هَذَا جُمُودٌ وجهلٌ كبيرٌ ، « فَالْتَّحْكِيمُ فِي الْخُصُومَاتِ ثَابِتٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسَّنَةِ النَّبُوَّيَّةِ ، وَسِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ »^(١) .

وكذلك الوهابيون لما قرءوا قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ، وقوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، قالوا : إنَّ مَنْ قَالَ بِجُوازِ طَلْبِ الشَّفَاعَةِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّالِحِينَ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ، فَكَانَ شعارهم : « لا مَعْبُودٌ إِلَّا اللَّهُ » و« لا شَفَاعَةٌ إِلَّا لِلَّهِ » ، وَهِيَ كَلْمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا باطِلٌ ، وَهِيَ « جُمُودٌ أَيْضًا وَجَهْلٌ كَبِيرٌ ، وَجُوازُ هَذِهِ الْأُمُورِ ثَابِتٌ فِي سِيرَةِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ »^(٢) .

٤- الأحاديث الشريفة التي صحّت في الخوارج ومررّوهم من الدين انطبق بعضها على الوهابية أيضًا ، ففي الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : « يَخْرُجُ أَنَّاسٌ مِنْ قِبْلِ الْمَشْرُقِ ، يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَازِي ترَاقِيهِمْ ، يَمْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرِقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ »^(٣) ، قال

(١) « الحركة الوهابية : قراءة نقدية تحليلية » ، مصطفى سدحان ، ص ٦٤ ، ط ٢ ، دار البيان .

(٢) المصدر السابق - ص ٦٥ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١١٦٣٢) .

القسطلاني في شرح هذا الحديث : من قبل المشرق : أي من جهة شرق المدينة ، كنجد وما بعدها ، ونجد هي مهد الوهابية وموطنها الأول الذي منه ظهرت وانتشرت .

٥- جاء في الحديث النبوي الشريف في وصف الخوارج : « يقتلون أهل الإسلام ويَدْعُون أهل الأوثان »^(١) ، وهذا هو حال الوهابية تماماً ، فلم يشنوا حرباً إلا على أهل القِبْلَة ، ولم يُعرف في تاريخهم أنهم قَصَدواً أهل الأوثان بحرب أو عزماً على ذلك ، بل لم يدخل ذلك في مبادئهم وكتاباتهم التي امتلأت بوجوب قتال أهل القِبْلَة .

٦- روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال في وصف الخوارج : « إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين »^(٢) ، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « لا تكونوا كالخوارج ، تأولوا آيات القرآن في أهل القِبْلَة ، وإنما أنزلت في أهل الكتاب والمرجفين ، فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبو الأموال »^(٣) . وهذا هو شأن الوهابية ، انطلقاً إلى الآيات النازلة في عبادة الأوثان فجعلوها على المؤمنين ، وبهذا امتلأت كتابتهم ، وعليه قام مذهبهم .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول الله عز وجل : ﴿وَمَا عَادَ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرَصَرٍ﴾ ، برقم (٣٣٤٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم .

(٣) « تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد » ، الشيخ محمد بخيت المطيعي / من علماء الأزهر ، ص ٥٦ ، ط ٢ ، دار الوفاء .

وعلى العموم نستطيع القول : بأن الخوارج والوهابيين قد اتفقوا في قضايا التكفير والإلغاء ، ومحاربة أهل القبلة ، والتشكك بإسلام المسلمين وإيمان المؤمنين ، واحتقار الإيمان والإسلام ، وصدق العقيدة على منهجهم ، كما « توافقوا على تطبيق الشريعة - وفق زعمهم - على المخالفين ، وذلك بقتلهم واستحلال دمائهم وأموالهم »^(١) .

* * *

(١) « الوفاء لأهل القبلة » ، محسن عبد الرحمن الواثق ، ص ١١٢ ، ط ٣ ، دار الرشيد .

تكفير الأئمة الأعلام

يعتمد الوهابيون في كتاباتهم **هواية مُسْتَحْدِثة** ، وهي تشويه الرموز الإسلامية ، وتحطيم الأعلام ، وتدمير القمم ، وذلك ما نراه في عموم كتاباتهم التي توزع - ويا للأسف - بالمجان على أبواب الحرمين « المكي والمدني » ، فمثلاً : كتاب « أئمة الكفر » لمؤلفه عبد الرحيم السدحان الفارز ، يأتي صاحبه من كل بلد بأشهر دعاته وعلمائه ، وبياده سلسلة أكاذيب وافتراءات عقدية ليُحکم فيهم سلاح التكفير ، وللعلم فإن من هؤلاء الذي كفروا في هذا الكتاب : « أبو الحسن الندوي ، أبو الأعلى المودودي ، محمد عمارة ، محمد الغزالى ، محمد سعيد رمضان البوطي ، وهبة الزحيلي ، سيد سابق . . . الخ » ، والكثير الكثير من الكتب التي تَهَمُّم العلماء والدعاة بالغلو والتكفير ، وتوسيعهم سبأً وقدفاً ، لذلك نقول : لم يسلم من طول أستهüm الباقلاني ، ولا إمام الحرمين ، ولا الإسفرايني ، ولا الغزالى ، ولا الرازى ، ولا النووي ، ولا ابن حجر العسقلاني ، ولا السيوطي ، ولا غيرهم من المتقدمين ، ولا حتى المتأخرین ، كال阿富汗ي ، ومحمد عبده ، والکواکبی ، ورشید رضا ، وغيرهم ، ومن ثم لم يسلم منهم الأحياء ولا الأموات . ونسبي هؤلاء أن حُسْن الظن بال المسلمين أولى من سُوءِه ، وأن الأصل حَمْلُ حال المسلمين على الصلاح ، والتماس المعاذير لأهل

الإسلام ، وافتراضية الخير منهم .

ويرى كبار علماء أهل السنة والجماعة في العالم الإسلامي أن نظرة الوهابيين للدين الإسلامي بصورة كلية غريبة عن هذا الدين ، وفي هذا يقول الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالى : « إن فهم الوهابية للدين غريب ، وهم أخطر خصوم الصحة الإسلامية »^(١) ، وقال رحمه الله : « الصحة الإسلامية المعاصرة مهددة من أعداء كثيرين ، والغريب أن أخطر خصومها نوع من الفكر الديني يلبس ثوب السلفية ، وهو أبعد الناس عن السلف ، إنها ادعاء السلفية وليس السلفية الصحيحة »^(٢) .

* * *

(١) « هموم داعية » ، محمد الغزالى ، ص ١٥٢ ، ط ٣ ، دار نهضة مصر .

(٢) « سر تأخر العرب » محمد الغزالى ، ص ٨٦ ، ط ٤ ، دار نهضة مصر .

الوهابية ومناهج التربية الدينية التكفيرية

من أهم وأبرز وسائل تمرير الفكر التكفيري والإلغائي في المملكة العربية السعودية هو المناهج التربوية والتعليمية ، حيث الاعتماد الكلي في هذه المناهج على الأيديولوجيا الوهابية المستندة إلى الفكر التكفيري والفقه الظاهري للنصوص ، والغريب في الأمر أن الحكومة السعودية قد اعترفت بأن مناهجها احتوت على التحریض ضد الآخر غير المسلم ، وضد أمريكا على وجه الخصوص ، وهو ما صرّح به وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل الذي قال : « إن مراجعتهم للمناهج والكتب الدراسية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كشفت أن خمسة بالمائة مما يتم تدریسه في المملكة العربية السعودية يَحْضُن على كراهية الآخر »^(١) .

علماً أن هذه المناهج التربوية لا تحض على كراهية غير المسلمين فحسب ، ولكنها تشمل بذلك كل الفرق التي تُخالف الفهم الوهابي للدين ، إذ تقول هذه المناهج عن الأشاعرة والماتريدية والمعزلة إنهم : « قَدَّلُوا مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَئمَّةِ الضَّلَالِ فَضَلُّو وَانْحَرَفُوا »^(٢) ، وتُكَفِّرُ هذه

(١) « التجديد الديني في المملكة العربية السعودية » ، خالد البراك ، ص ٣٥ ، ط ٢ ، دار جرير ، الرياض .

(٢) « حقائق عن الوهابية » ، عبد الرحمن عويس ، ص ١٣٨ ، دار البيادر ، القاهرة .

المناهج على وجه الخصوص الأشاعرة والماتريدية الذين يخالفون الفهم الوهابي لنصوص الصفات الإلهية فتقول : « مَنْ نَفِى
مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ »^(١) .

وتتصف هذه المناهج ممارسات المسلمين المخالفين للفكر الوهابي بالضلالة وبالبدع ، حيث دائماً ما يأتي الحديث عن أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف تشبّههُ بغير المسلمين ، وأن من يحتفل به هُمْ جَهْلَةُ الْمُسْلِمِينَ أو العلَمَاءُ الْمُضْلَّوْنَ ، وتُقرُّرُ هذه المناهج أن الاحتفال بالمولد بدعة أحدثها البطالون ، و« شهوة نفس اغتنى لها الأكالون ، ثُمَّ تخلص هذه المناهج إلى تحريم زيارة المبتدع ومجالسته »^(٢) ، والأخطر من ذلك هو طرح هذه المناهج لتاريخ الخلافات بين المسلمين بطريقة تجعل التلميذ يعتقد بمشروعية استخدام العنف والتصفية الجسدية في الخلافات الفكرية وخلافات الرأي ، كما جاء في المنهج الوهابي كذلك : « إِنْ مَا يَنْذُرُهُ جَهْلَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نُذُورِ الْأَوْلَيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، كَأَنْ يَقُولُ : يَا سِيدَ الْفَلَانِ إِنْ رَزَقْنِي اللَّهُ كَذَا ، أَجْعَلْ لَكَ كَذَا... فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرٌ » ، ولا يكتفي المنهج بالقول بشرك المسلمين المخالفين للفكر الوهابي ، بل يُستبيح دماءُهُمْ وأرواحهم ، ويُحلّلُ استرقاق أهلهم ، حيث يقول : « الَّذِي يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَرْتَكِ عِبَادَةُ الْمَوْتَى وَالْتَّعْلُقُ بِالْأَضْرَحةِ ، لَا يَحْرُمُ مَالَهُ وَلَا دَمَهُ وَلَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّرْكَيَاتِ

(١) المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٢) « اعرف الوهابية » ، سليم عبد القدس الثامر ، ص ٨٣ ، ط ١ ، دار الشروق ، القاهرة .

فإن الله قد أباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد ، وأن يتخذوهم عبیداً لهم ، لما تركوا القيام بعبوديته »^(١) .

أما فيما يخص غير المسلمين فإن السمة الأساسية التي يرسّخها المنهج السعودي في التعامل معهم هي ضرورة بغضهم ، وعدم إظهار المحبة والتوادد لهم ، وذلك لأن الشرك الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين ، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ، ولو كان أقرب قريب ، وأن لا نلقي عليهم السلام لأن التحية بلفظ (السلام عليكم) تكون فقط للمؤمنين ، ولا يمكن أن نحيي بها غيرهم .

ومن الأشياء الخطيرة التي يرسّخها المنهج الوهابي في نفوس وأذهان التلاميذ هو ضرورة كراهية غير المسلمين ، حتى لو سافرنا وأقمنا بيلادهم ، فالمنهج يقرر أن أنواع السفر لبلاد الكفر هي : السفر للدراسة أو التجارة أو العلاج أو الدعوة ، وقد وضع المنهج شرطين للإقامة ببلاد الكفر : أحدهما : أن يكون المقيم مُضمراً لعداؤه الكافرين وبغضهم ، « وهذا حديث محرّض على العنف بلا جدال ، حيث يُسافر ملايين المسلمين إلى الغرب للدراسة والعلاج والتجارة سنوياً ، ومن يتعلم منهم ويتربي على مثل هذا المنهج ، فلن يكتفى بغض أهل تلك البلاد ، ولا شك سيتّهي به المطاف إلى مثل ما انتهى إليه الشباب الذين تورطوا في أعمال العنف والقتل والتفجير »^(٢) .

(١) المصدر السابق - ص (٨٦-٨٥) .

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ .

والأغرب أن هذه المناهج تتحدث عن أن تقليد الكفار في أمورٍ مثل الأنشطة الأسبوعية ، ك أسبوع المرور وأسبوع حماية البيئة ، وكذلك الأيام الوطنية كيوم الاستقلال ، يُعتبر نوعاً من الفسق والمعصية ، وهو حرام ومن فعله كفر .

* * *

موقف علماء السنة من الوهابية

لم ت تعرض حركة أو فكر أو منهج كما تُعرضت له الوهابية من انتقادات وتسفيه لآرائهم الشاذة غير المنطقية والبعيدة كل البعد عن منهج الأمة وغير المستقيمة على قواعد البحث والتأصيل العلمي والشرعى والعقلى والنقلي .

لذلك نجد الآلاف من الأبحاث والكتب المؤلفة ضدهم ، والتي تفضح زيف ادعائهم وأضاليهم ، حيث كتب الدكتور أحمد عبد الرحيم الساigh في كتابه « خطر الوهابية على الأمة الإسلامية » في تفنيد الفتاوى والمعتقدات الوهابية ، ابتداءً من احتكار الإسلام ، وانتهاءً بتكفير أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى . وتتوزع آراء كبار علماء المذاهب الإسلامية الذين ناقشوا آراء مؤسس المذهب الوهابي محمد بن عبد الوهاب ، وما تضمن من تكفير للمسلمين ، وما يلفت في هذا الكتاب ذهاب آراء عدة من علماء العالم الإسلامي إلى التأكيد على « اعتبار الوهابية امتداداً بصورة أو بأخرى للخوارج الذين ظهروا في صدر الإسلام »^(١) .

كما قال مفتى الشافعية ورئيس المدرسين في مكة أيام السلطان عبد الحميد الشيخ أحمد زيني دحلان : « وكان محمد بن

(١) « خطر الوهابية على الأمة الإسلامية » ، أحمد عبد الرحيم الساigh ، ص ٩٦ ، دار الريان ، مصر .

عبد الوهاب يقول : إنني أدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله ، وجميع ما هو تحت السبع الطلاق مُشرك على الإطلاق ، ومن قتل مشركاً فله الجنة «^(١) .

كما ذَكر المفتى أحمد زيني دحلان قائلاً : «أن الوهابيين لما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عاماً ، واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والأمير والشريف والربيع ، وصاروا يذبحون على صدر الأم الطفل الرضيع ، ويقتلون الناس في البيوت والحوانيت ، ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم ، ثم خرجوا إلى المساجد يقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد ، ونهبوا النقود والأموال ، وصاروا يدوسون بأقدامهم المصاحف ونسخ البخاري ومسلم ، وبقية كتب الحديث والفقه والنحو ، بعد أن نشروها في الأزقة والبطائح ، وأخذوا أموال المسلمين واقتسموها كما تقتسم غنائم الكفار »^(٢) .

والخلاصة أَنَا نَسْتَطِعُ أَن نَقُولُ : إن علماء السنة في كل مكان في العالم الإسلامي قد اعتبروا أن هذا الفكر هَدَام وضال ، و بعيد عن روح الشريعة الإسلامية ، وقد تبلور هذا الاتجاه بشكل واضح في المؤتمر الذي عَقَدَته الندوة الإسلامية المتخصصة والموسعة عام ٢٠١٠ ، تحت عنوان : «الوهابية : خطر على الإسلام والعالم» حيث شارك

(١) «الدرر السننية في الرد على الوهابية» ، الشيخ أحمد زيني دحلان ، ص ٤٦ ، دار الوفاء ، مصر .

(٢) «أمراء البلد الحرام» ، الشيخ أحمد زيني دحلان ، ص (٢٩٧-٢٩٨) ، دار الوفاء ، مصر .

في هذا المؤتمر كبار علماء العالم الإسلامي ، وعلماء من الأزهر الشريف على وجه الخصوص ، حيث قدّمت العديد من الأبحاث الهامة ، والخلاصة من هذا المؤتمر ما يلي :

أولاً : أكد الخبراء والعلماء في أبحاثهم ومناقشاتهم أن الوهابية كدعوة وفكرة تقوم على نفي الآخر وتکفيره ، وأنها تهدد الأمن والسلم في كافة دول العالم الإسلامي ، لما تبثه من أفكار إرهابية وإجرامية شديدة الخطورة ، أفكار تدفع الشباب الإسلامي إلى تکفير وإرهاب المجتمع والحكام لأوهي الأسباب ، وأن العالم المعاصر لم يعاني من تنظيم أو دعوة مثلما عانى من الوهابية ، سواء تمثلت في « القاعدة » أو في التنظيمات الإسلامية الأخرى ، وأنه لو لا المال السعودي لما انتشرت الوهابية ، ولو لا النفاق الأمريكي لامكنا مقاومتها والقضاء عليها ، ولكن أمريكا والسعودية تستفيدان من هذا الشذوذ الفكري المنتسب زوراً للإسلام والمسمى بالوهابية ، وذلك لإرهاب العالم تارة وابتزازه تارة أخرى .

ثانياً : أكد المشاركون في المؤتمر على أن الوهابية لها موقف سلبي من المرأة والعلم ، والموسيقى وجميع الفنون ، ومن المسيحيين ، بل من أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى ، وهي دعوة للجاهلية ، وأغلب الموروث الوهابي قائم على الإرهاب الفكري والديني ، ومخالفة الواقع والعقل ، ولذلك اعتبره البعض بمنزلة « دين آخر » غير دين الإسلام ، دين يدعوا إلى الإرهاب والقتل باسم الله ، والله منه براء .

إن ما يجري في عموم البلاد الإسلامية - العراق وأفغانستان نموذجاً ، بل وحتى في السعودية راعية هذا الفكر - من قتل وإرهاب على الهوية ، يؤكّد أننا أمام دعوة للإجرام والقتل ، وليس أمام دعوة لإسلام سمح معتدل .

ثالثاً : طالب العلماء والخبراء في المؤتمر بضرورة إعداد استراتيجية إسلامية وعالمية ثقافية وسياسية لمقاومة الوهابية ، وأنه ينبغي أن يكون للأزهر الشريف دور في ذلك لأنّه مؤسسة الاعتدال الإسلامي قبل أن يتم اخترافه من الوهابية ، ومن يُسمّون بالدعاة الجدد من السلفيين المتشددين . « إن الأزهر الشريف إذا عاد كمؤسسة تنويرية ووسطية معتدلة ، فإنها تستطيع الرد بقوّة على هذا الغلو الوهابي المعادي لروح الإسلام المحمدي المعتدل »^(١) .

* * *

(١) « الخطر الوهابي على الإسلام والعالم » ، سلسلة أبحاث المؤتمر الدولي ، الندوة الإسلامية المتخصصة ، ط ١ ، ص (٨٤ - ٨٥) ، دار العلوم ، القاهرة .

الوهابيون غلاة ينهون عن الغلو

إن العلاقة التلازمية بين الفكر الديني والسياسي في السعودية ، جعل الفتاوي الوهابية فتاوى خاصة لأمراء الحكم في السعودية ، وللأسف الشديد ما يكون حراماً في السعودية قد يكون مباحاً في بلد إسلامي آخر ، فالخروج على الحاكم مثلاً حرام في السعودية ، واجب في سوريا وتونس وليبيا وبلدان إسلامية أخرى .

ولا بد للباحث المستبصر أن يعلم المنهج الفكري والفقهي لمثل هذه الفتوى ، وهذا نحن نورد أهمها :

١- الدين بالخروج على ولاة الأمر وعدم السمع والطاعة لهم بالمعروف :

سئل عبد العزيز بن باز مفتى السعودية :

سؤال : بعض الإخوة - هداهم الله - لا يرون وجوب البيعة لولاة الأمر في هذه البلاد ، فما هي نصيحتكم سماحة الوالد ؟

فأجاب : ننصح الجميع بالهدوء والسمع والطاعة والحذر من شق العصا ، والخروج على ولاة الأمور ، لأن هذا من المنكرات العظيمة ، هذا دين الخوارج ، هذا دين الخوارج ، دين المعتزلة ، الخروج على ولاة الأمور ، وعدم السمع والطاعة لهم في غير معصية ، وهذا غلط ، خلاف ما أمر به النبي ﷺ ، فالنبي ﷺ أمر بالسمع والطاعة بالمعروف ، وقال : « من رأى من أميره شيئاً من

معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يداً من طاعة»^(١) ، وقال : « من أتاكم وأمركم جميع يُريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاضربوا عنقه»^(٢) ، فلا يجوز لأحد أن يشق العصا ، أو يخرج على ولادة الأمور ، أو يدعوا إلى ذلك ، فهذا من أعظم المنكرات ، وأعظم أسباب الفتنة والشحناه ، والذي يدعو إلى ذلك هذا دين الخوارج ، والشَّاقُ يُقتل لأنَّه يُفرق الجماعة ويشق العصا ، فالواجب الحذر من ذلك غاية الحذر ، والواجب على ولادة الأمور إذا عرَفوا مَن يدعوا إلى هذا أن يأخذُوا على يديه بالقوة ، حتى لا تقع فتنة»^(٣) .

وقال ابن باز أيضاً : وهذه الدولة بحمد الله لم يصدر منها ما يُوجب الخروج عليها ، وإنما الذين يَستَبِّحُون الخروج على الدولة بالمعاصي هم الخوارج ، الذين يُكفرون المسلمين بالذنوب ، ويفقذون أهل الإسلام ، ويتركون أهل الأوثان ، وقد قال فيهم النبي ﷺ : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٤) ،

(١) لفظ الحديث في صحيح مسلم : « ألا من ولِي عَلَيْهِ وَالْفَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ الله فَلَيَكُرِهَ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله وَلَا يَنْزَعْنَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ » ، باب خيار الأئمة وشرارهم ، برقم : (١٨٥٥) .

(٢) لفظ الحديث في صحيح مسلم : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يُريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع برقم (١٨٥٢) .

(٣) من شريط بعنوان : « حكم الحملات الإعلامية على بلاد الحرمين » .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم ، برقم (٧١٢٣) .

وقال : « إِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، إِنْ فِي قُتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قُتِلُهُمْ عَنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) ، وَالْأَحَادِيثُ فِي شَأنِهِمْ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ^(٢) .

قال الألباني عند حديث : « بَايْعَنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ »^(٣) بعد أن رد على الخوارج قال : والمقصود أنهم سَنَّوا في الإسلام سنةً سيئةً ، وجعلوا الخروج على حكام المسلمين دِينًا على مر الزمان والأيام ، رَغْمَ تَحْذِيرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ فِي أَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ ، منها قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْخَوَارِجُ كَلَابُ النَّارِ »^(٤) ، ورَغْمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَرُوا كُفُرًا بَوَاحًا مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ ظُلْمٍ وَفُجُورٍ وَفُسْقٍ .

والاليوم - والتاريخ يعيد نفسه كما يقولون - فقد نبتت نابتة من الشباب المسلم لم يتلقها في الدين إلا قليلاً ، ورأوا أن الحكم لا يحكمون بما أنزل الله إلا قليلاً ، فرأوا الخروج عليهم دون أن يستشيروا أهل العلم والفقه والحكمة منهم ، بل ركبوا رؤوسهم وأثاروا فتناً عمياً ، وسفكوا الدماء في مصر وسوريا والجزائر ، وقبل ذلك فتنة الحرم المكي ، فخالفوا بذلك هذا الحديث الصحيح ، الذي جرى عليه عمل المسلمين سلفاً وخلفاً إلا الخوارج^(٥) .

أقول : فليتأمل البصير العاقل فتوى ابن باز الواضحة الصريحة التي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب التحرير على قتل الخوارج ، برقم (١٠٦٦) .

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٤/٩١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب كيف يباع الإمام الناس ، برقم (٧١٩٩) .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سنته ، باب في ذكر الخوارج ، برقم (١٧٣) .

(٥) انظر السلسلة الصحيحة - المجلد السابع - القسم الثاني ص (١٢٤٠-١٢٤٣) .

تُحرّم الخروج على الحاكم في السعودية ، وكان سابقاً يُحرّمها في سوريا ومصر والجزائر ، والآن علماء السلطة في السعودية يُبيحونها في مصر بعد الانقلاب على مرسى ، وهذا تسييس للدين وفق مصالحهم السياسية ، وأهواهم النفسية المريضة ، فتأمل .

٢- تكفير مرتكب الكبيرة :

وسائل ابن باز :

سؤال : سماحة الوالد : نعلم أن هذا الكلام أصل من أصول أهل السنة والجماعة ، ولكن هناك - يا للأسف - من أبناء أهل السنة والجماعة من يرى هذا فِكراً انهزاميًّا ، وفيه شيء من التخاذل ، وقد قيل هذا الكلام ؛ لذلك يدعون الشباب إلى تبني العنف في التغيير .

فأجاب : هذا غلط من قائله وقَلْةُ فَهُمْ ؛ لأنهم ما فَهَمُوا السنة ولا عرفوها كما ينبغي ، وإنما تحملهم الحماسة والغيرة لإزالة المنكر على أن يقعوا فيما يُخالف الشرع ، كما وقعت الخوارج والمعزلة ، حملهم حُبُّ نصر الحق أو الغيرة للحق على أن وقعوا في الباطل ، حتى كَفَرُوا المسلمين بالمعاصي ، كما فعلت الخوارج ، أو خَلَدُوْهُمْ في النار بالمعاصي ، كما تفعل المعزلة .

فالخوارج كَفَرُوا بالمعاصي وخلَدُوا العصاة في النار ، والمعزلة وافقوهم في العاقبة وأنهم في النار مُخلدون فيها ، ولكن قالوا : إنهم في الدنيا بمنزلة بين المترلتين ، وكله ضلال .

والذي عليه أهل السنة - وهو الحق - أن العاصي لا يكفر بمعصيته

ما لم يستحلها ، فإذا زنى لا يكفر ، وإذا سرق لا يكفر ، وإن شرب الخمر لا يكفر ، ولكن يكون عاصياً ضعيفاً بالإيمان فاسقاً ، تُقام عليه الحدود ، ولا يكفر بذلك إلا إذا استحل المعصية ، وقال : إنها حلال ، وما قاله الخوارج في هذا باطل ، وتكفيرهم للناس باطل ؛ وللهذا قال فيهم النبي ﷺ فيما معناه : « يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ويَدْعُونَ أَهْلَ الْأُوثَانَ »^(١) .

هذه حال الخوارج بسبب غلوّهم وجهلهم وضلالهم ، فلا يليق بالشباب ولا غير الشباب أن يقلدوا الخوارج والمعتزلة ، بل يجب أن يسيرا على مذهب أهل السنة والجماعة على مقتضى الأدلة الشرعية ، فيقفوا مع النصوص كما جاءت ، وليس لهم الخروج على السلطان من أجل معصية أو معااصٍ وقعت منه ، بل عليهم المناصحة بالمحاجة والمسافحة ، بالطرق الطيبة الحكيمة ، وبالجدال بالتي هي أحسن ، حتى ينجحوا ، وحتى يقل الشر أو يزول ، ويكثر الخير .

هكذا جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ ، والله عز وجل يقول : ﴿فِمَا رَحِمَهُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا عَلَيْهِ أَقْلَبَ لَا نَفَضُّوا مِنْ حَوْلَكَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، فالواجب على الغيورين لله ، وعلى دعاة الهدى ، أن يلتزموا حدود الشرع ، وأن يُناصِحُوا مَنْ وَلَاهُمُ اللَّهُ الْأَمْرُ بِالْكَلَام

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول الله عز وجل : ﴿وَمَا عَادَ فَأَهْلَكُوا بِرِيح صَرَصَ﴾ ، برقم (٣٦٦).

الطيب والحكمة والأسلوب الحسن ، حتى يكثر الخير ويقل الشر ، وحتى يكثر الدعاء إلى الله ، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن ، لا بالعنف والشدة ، ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة ، مع الدعاء لهم بظاهر الغيب : أن الله يهديهم ويوفقهم ويعينهم على الخير ، وأن يعينهم الله على ترك المعاصي التي يفعلونها وعلى إقامة الحق .

هكذا يدعو المؤمنُ اللهَ ويضرعُ إليه : أن يهدي الله ولاة الأمور ، وأن يعينهم على ترك الباطل ، وعلى إقامة الحق بالأسلوب الحسن ، ويدركهم بالتي هي أحسن ، لا بالعنف والشدة ، وبهذا يكثر الخير ويقل الشر ، ويهدي الله ولاة الأمور للخير والاستقامة عليه ، وتكون العاقبة حميدة للجميع^(١) .

إن المتبع لمنهج الدعاة في النصح الديني للشباب المسلم السعودي الهدف في جميع مراحله إلى التأني وعدم الخروج على الحاكم ليُخَيِّلُ إليه أن هذا النصح شامل لعموم شباب العالم الإسلامي ، فإذا ما تحول الأمر إلى غaiات سياسية نجد أن النصائح تنهال من علماء هذا الفكر إلى الشباب في البلدان الإسلامية الأخرى لِحَثِّهم على الخروج والتکفير والإلغاء والإقصاء ، ومن ثم الوصول لمرحلة متقدمة من التهور في السلوك والاعتقاد وحمل السلاح ، فتأمل .

(١) من كتاب : « المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم » .

٣- تهيج الناس وإيغار صدروهم على الحكام ، بذكر معایبهم والطعن فيهم ، والتظاهر ضدّهم :

سُئل عبد العزيز بن باز مفتى السعودية عن المنشورات الوافية من لندن ، ومضمون كلام السائلين أنهم سمعوا كلاماً لبعض العلماء لكن يُ يريدون الفتيا التي يُصدرها سماحته حتى يكونوا على بينة من أمرهم .

فأجاب : الواجب الشرعي عدم نشرها ، أو باتفاق ما يوجد منها ، لأنها تجر إلى الفتنة والفرقة والاختلاف ، فالواجب إتلاف ما يصدر وعدم تداوله بين المسلمين ، والدعاء لولاة الأمور بالتوفيق والهداية والصلاح ، وأن الله يعينهم على كل خير ، وأن الله يُسدّد خطاهم ، ويعينهم البطانة الصالحة ، في الصلاة وغيرها ؛ يدعوا الإنسان ربه في سجوده ، وفي آخر صلاته ، وفي آخر الليل ، للMuslimين ولو لولة الأمر بالتوفيق والهداية وصلاح الأمر والبطانة ، أما نشر العيوب فهذا من أسباب الفتنة .

ولما نَشرت الخوارج العيوب في عهد عثمان رضي الله عنه ، قام الظلمة والجهلة على عثمان فقتل ، حتى قُتل علي رضي الله عنه بسبب هذه المنشورات الخبيثة ، ما بين كذب وبين صدق لا يُوجِّب الخروج على ولاة الأمور ، بل يُوجب الدعاء لهم بالهداية والتوفيق ، هذه الأشياء التي سلّكها المسعرى وأشباهه هي من جنس ما سلكه عبد الله بن سبأ وأشباهه في عهد عثمان وعلي ، حتى فرقت الأمة ووقعت الفتنة ، وقتل عثمان ظلماً ، وقتل علي ظلماً ،

وقتل جَمْعٌ كثير من الصحابة ظلماً^(١).

وسئل ابن باز أيضاً : يرى البعض أن حال الفساد وصل في الأمة لدرجة لا يمكن تغييره إلا بالقوة ، وتهييج الناس على الحكم ، وإبراز معايبهم لينفروا عنهم ، وللأسف فإن هؤلاء لا يتورعون عن دعوة الناس لهذا المنهج والبحث عليه ، ماذا تقول سماحتكم ؟

فأجاب : هذا مذهب لا تُقرّه الشريعة ، لما فيه من مخالفة للنصوص الآمرة بالسمع والطاعة لولاة الأمور بالمعرفة ، ولما فيه من الفساد العظيم والفوبي والإخلال بالأمن .

والواجب عند ظهور المنكرات إنكارها بالأسلوب الشرعي ، وبيان الأدلة الشرعية من غير عسف ، ولا إنكار باليد إلا لمن تخوله الدولة ذلك ، حرصاً على استتابب الأمن وعدم الفوضى ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على ذلك ، ومنها : قول النبي ﷺ : « من رأى من أميره شيئاً من معصية الله فليذكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يداً من طاعة »^(٢) ، وقوله ﷺ : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »^(٣) ، وقد بايع الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ

(١) من شريط بعنوان : « حكم الحملات الإعلامية على بلاد الحرمين » .

(٢) لفظ الحديث في صحيح مسلم : « ألا من ولني عليه وإله فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليذكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة » ، باب خيار الأمة وشرارهم ، برقم (١٨٥٥) .

(٣) لفظ الحديث في صحيح البخاري : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، وأن لا ننزع الأمر أهله ، وأن نقوم أو نقول بالحق حيئماً كنا =

على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسير ، وعلى ألا ينزعوا يدًا من طاعة ، إلا أن يَرُوا كُفْرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

والمشروع في مثل هذه الحال مناصحة ولاة الأمور ، والتعاون معهم على البر والتقوى ، والدعاء لهم بال توفيق والإعانة على الخير ، حتى يقل الشر ويكثر الخير .

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ جَمِيعَ وِلَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَمْنَحَهُمْ الْبَطَانَةَ الصَّالِحةَ ، وَأَنْ يَكْثُرَ أَعْوَانَهُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَأَنْ يُوفِّقَهُمْ لِتَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ ، إِنَّهُ جُودٌ كَرِيمٌ .

وقال ابن عثيمين : « بل العجب أن الطعن وُجْهَ إلى الرسول ﷺ ، قيل له : (اعدل)^(١) ، وقيل له : « هذه قِسْمَةٌ مَا أَرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ »^(٢) ، قيل هذا للرسول ﷺ ، وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِيَءٍ هَذَا الرَّجُلُ مَنْ يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتُهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ »^(٣) (ضئضيء أي : نفسه) ، وهذا أكبر دليل على أن

= لا نخاف في الله لومة لائم » ، باب كيف يباع الإمام الناس ، برقم (٧١٩٩) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ، برقم (٢٩٦٩) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤٣٢) .

(٣) لفظ الحديث في صحيح البخاري : « يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » ، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع ، برقم (٤٠٩٤) .

الخروج على الإمام يكون بالسيف ، ويكون بالقول والكلام ، لأن هذا ما أخذ السيف على رسول الله ﷺ ، لكنه أنكر عليه ، وما يوجد في بعض كتب أهل السنة من أن الخروج على الإمام هو الخروج بالسيف ، فمرادهم من ذلك الخروج النهائي الأكبر ، كما ذكر النبي ﷺ أن الزنا يكون بالعين ، يكون بالأذن ، يكون باليد ، يكون بالرجل ، لكن الزنا الأعظم الذي هو الزنا في الحقيقة هو زنا الفرج ، ولهذا قال : «والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»^(١) ، فهذه العبارة من بعض العلماء هذا مرادهم ، ونحن نعلم علم اليقين بمقتضى طبيعة الحال ، أنه لا يمكن أن يكون خروجاً بالسيف إلا وقد سبقه خروج باللسان والقول ، الناس لا يمكن أن يحملوا السيف على الإمام بدون شيء يُشيرهم ، فلا بدّ من أنه هناك شيء يُشيرهم وهو الكلام ، فيكون الخروج على الأئمة بالكلام خروجاً حقيقةً دلت عليه السنة ودل عليه الواقع ، أما السنة فعرفناها ، وأما الواقع فإننا نعلم علم اليقين أن الخروج بالسيف فرعٌ عن الخروج باللسان والقول ، لأن الناس لن يخرجوا على الإمام بمجرد [يا الله أمش خذ السيف] لا بد أن يكون هناك شوكة وتمهيد ، وقدح لالأئمة وسلب لمحاسنهم ، ثم تتملىء القلوب غيضاً وحقداً ، وحينئذ يحصل البلاء^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ ، برقم (٦٦١٢) .

(٢) من شريط بعنوان : «حكم الحملات الإعلامية على بلاد الحرمين» .

وسئل الفوزان من مشايخ السعودية : هل الخروج على الأئمة يكون بالسيف فقط أم يدخل في ذلك الطعن فيهم وتحريض الناس على منابذتهم والتظاهر ضدهم ؟

فأجاب : الخروج على الأئمة يكون بالسيف ، وهذا أشد الخروج ، ويكون بالكلام بسبهم وشتمهم ، والكلام فيهم في المجالس وعلى المنابر ، هذا يهيج الناس ويحثهم على الخروج على ولی الأمر ، وينقص قدر الولاة عندهم ، فالكلام خروج .

وقال الفوزان عن الخوارج : وفي عصرنا ربما سُمُوا من يرى السمع والطاعة لأولياء الأمور في غير ما معصية عميلاً ، أو مُداهناً ، أو مُغفلًا ، فتراهم يقدحون في ولی أمرهم ، ويُشَهِّرون بعيوبه من فوق المنابر ، وفي تجمعاتهم ، والرسول ﷺ يقول : « من أراد أن ينصح لسلطان بأمر ، فلا يُبِدِّل له علانيةً ، ولكن ليأخذ بيده ، فيخلو به ، فإن قبلَ منه فَذَاكَ ، وإلا كان قد أدى الذي عليه له »^(١) .

أو إذا رأى ولی الأمر إيقاف أحدِهم عن الكلام في المجامع العامة ، تجمعوا وساروا في مظاهرات ، يَظْنُونَ - جهلاً منهم - أنَّ إيقافَ أحدِهم أو سجنَه يُسَوِّغُ الخروج ، أوَلَمْ يسمعوا قولَ النبي ﷺ في حديث عوف بن مالك الأشعري رضي الله عنه : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة »^(٢) . وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، برقم (١٥٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب خيار الأمة وشرارهم ، برقم (١٨٥٥) .

الصحيحين : « إِلَّا أَنْ ترُوا كُفَّارًا بِوَاحِدًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرْهَانٌ »^(١)
وذلك عند سؤال الصحابة واستئذانهم له بقتال الأئمة الظالمين .

ألا يعلم هؤلاء كم لبَثَ الإمامُ أَحْمَدُ فِي السُّجْنِ ، وَأَيْنَ ماتَ ابْنُ تِيمِيَةَ ؟ ألم يُسْجِنَ الإِمَامُ أَحْمَدَ بَضْعَ سَنِينَ ، وَيُجْلِدُ عَلَى القُولِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، فَلِمَ لَمْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ عَلَى الْخَلِيفَةِ ؟ ألم يَعْلَمُوا أَنَّ شِيخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تِيمِيَةَ مَكَثَ فِي السُّجْنِ مَا يَرْبُو عَلَى سَنِينَ ، وَماتَ فِيهِ ، لِمَ لَمْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ عَلَى الْوَالِيِّ - مَعَ أَنَّهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ غَايَةٌ ، فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُمْ - ؟ إِنَّ هَذِهِ الْأَفْكَارَ وَالْأَعْمَالَ لَمْ تَأْتِ إِلَيْنَا إِلَّا بَعْدَمَا أَصْبَحَ الشَّابُّ يَأْخُذُونَ عِلْمَهُمْ مِنَ الْمُفْكِرِ الْمُعاصرِ فَلَانَ ، وَمِنَ الْأَدِيبِ الشَّاعِرِ فَلَانَ ، وَمِنَ الْكَاتِبِ الْإِسْلَامِيِّ فَلَانَ ، وَيَتَرَكُونَ أَهْلَ الْعِلْمِ ، وَكَتَبَ أَسْلَافُهُمْ خَلْفَهُمْ ظَهْرِيًّا ؛ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٢) .

فنتقول : فلننظر إلى تحريمهم بث الشائعات والكذب والافتراء ، وانظر إلى دعمهم للقنوات الفضائية التي تبث نهار الأكاذيب والفتنه والشائعات ، وتحرض الناس في هذا البلد أو ذاك على الطعن والقذف والشتم ، وبيثون ذلك بشكل مباشر على الناس . والأعجب والأغرب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول النبي ﷺ : (سترون بعدي أموراً تنكرنها) ، برقم (٦٦٤٧) .

(٢) من محاضرة ألقاها الشيخ بمدينة الطائف ، يوم الاثنين الموافق ١٤١٥/٣/٣ هـ في مسجد الملك فهد بالطائف .

أن هذه القنوات تستضيف كبار العلماء لديهم للتحريض والطعن على الحكام في البلدان الإسلامية الأخرى ، أما في بلدانهم فالأمر على عكس ذلك ، حيث تخرج الفتاوى وتصدر كنصوص جاهزة للتحريم ومنع الخروج ، فتأمل .

٤- تكفير من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً :

سُئل عبد العزيز بن باز مفتى السعودية : متى يُكَفِّرُ الحاكم بغير ما أنزل الله ؟

فقال : إذا كان مُستحلاً له ، أو يرى أنه ما هو مناسب ، أو يرى الحكم بغيره أولى ، المقصود أنه مَحمول على المستحل ، أو الذي يرى بعد ذا أنه فوق الاستحلال يَرَاه أحسن مِن حُكْمَ اللَّهِ ، أما إذا كان حَكْمَ بغير ما أَنْزَلَ اللَّهُ لَهُوَ يَكُونُ عَاصِيًّا ، مِثْلُ مَنْ زَنا لَهُوَ لَا لاستحلال ، عَقَّ وَالدِّيَهُ لَلَّهُوَ ، قَتَلَ لَلَّهُوَ ، يَكُونُ عَاصِيًّا ، أما إذا قَتَلَ مُسْتَحْلِلاً ، عَصَى وَالدِّيَهُ مُسْتَحْلِلاً لِعَقُوقِهِمَا ، زَنا مُسْتَحْلِلاً فَقد كَفَرَ ، وبهذا نخرج عن الخوارج ونبأين ، الخوارج يكون بيننا وبين الخوارج حينئذ مُتسعاً ، ولا - بتشديد اللام بمعنى أو - وقعن فيما وقعت فيه الخوارج ، وهو الذي شبه على الخوارج هذا ، الاطلاقات هذه .

وسئل في نفس الشريط هل ترون أن هذه المسألة اجتهادية ؟

فقال ابن باز : والله أنا هذا الذي اعتقاده من النصوص يعني من كلام أهل العلم فيما يتعلق في الفرق بين أهل السنة والخوارج

والمعزلة ، خصوصاً الخوارج ، أَنْ فِعْلَ الْمُعْصِيَة لِيُسْ بَكْفَرٍ إِلَّا إِذَا
استحله أو دافع عن دونها بالقتال^(١) .

سُئلَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِيْنَ عَمَّنْ يُكْفِرُ حُكَّامُ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ :
« هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ ؛ هُؤُلَاءِ وَرَثَةُ الْخَوَارِجِ ، الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى
عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالْكَافِرُ مَنْ كَفَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
وَلِلتَّكْفِيرِ شُرُوطٌ : مِنْهَا : الْعِلْمُ وَالإِرَادَةُ ؛ أَيُّ أَنْ نَعْلَمَ بِأَنَّ هَذَا الْحَاكِمُ
خَالِفُ الْحَقِّ وَهُوَ يَعْلَمُهُ ، وَأَرَادَ الْمُخَالَفَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَتَّوْلًا^(٢) » .

فائدة :

استشهاد الخوارج على كفر الحاكم بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ
بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] ، وهذا الاستشهاد ليس
وليد عصرنا ، بل خوارج عصرنا رواه بالإسناد المتصل إلى شيوخهم
الخوارج الأوّلين ، الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ تَشَبَّهُتُ قَلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٨] .

قال الإمام الشاطبي : أخرج ابن وهب عن بُكير أنه سُئلَ نافعاً :
كيف رأى ابن عمر رضي الله عنه في الحرورية ؟ - أي : الخوارج -
فقال : « يرahlen شرار خلق الله ، إنهم انطلقوا إلى آيات أُنزلت في
الكافر فجعلوها على المؤمنين » ، فَسُرِّ سعيد بن جبير من ذلك ،
فقال : « مما يتّبع الحرورية من المتشابه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ

(١) من شريط « مناقشة التكفير » .

(٢) من شريط كشف اللثام عن أحمد سلام - دار بن رجب .

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿الْمَائِدَةُ: ٤٤﴾ ويقرنون معها : «**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**» ﴿الْأَنْعَامُ: ١﴾ ، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا : قد كفر ، ومن كفر عدل بربه ؛ ومن عدل بربه فقد أشرك ، فهذه الأمة مشركون . فيخرجون - أي : الحرورية - فيقتلون ما رأيت ، لأنهم يتأولون هذه الآية»^(١) .

٥- تكبير الحاكم بحججة أنه عَطَّلَ الجهاد :

سُئل الفوزان من مشايخ السعودية : هناك من يقول : إن ولاة الأمر والعلماء في هذه البلاد قد عطلوا الجهاد ، وهذا الأمر كفر بالله ، فما هو رأيكم في كلامه ؟

فأجاب : هذا كلام جاهل ، يدل على أنه ما عنده بصيرة ولا علم ، وأنه يُكفر الناس ، وهذا رأي الخوارج والمعتزلة ، نسأل الله العافية ، لكن ما نُسيءُ الظن بهم ، نقول : هؤلاء جهال يجب عليهم أن يتذمروا قبل أن يتتكلموا ، أما إن كان عندهم علم ويقولون بهذا القول ، فهذا رأي الخوارج وأهل الضلال^(٢) .

٦- التفجير :

قال ابن عثيمين في حادث تفجير الخبر : لا شك أن هذا العمل لا يرضاه كل عاقل فضلاً عن المؤمن ، لأنه خلاف الكتاب والسنة ، ولأن فيه إساءة للإسلام في الداخل والخارج ، ولهذا تعتبر هذه جريمة

(١) «الاعتصام» ، الإمام الشاطبي ، ج ٢ ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(٢) «الجهاد وضوابطه الشرعية» للشيخ الفوزان ص ٤٩ .

من أبشع الجرائم ، ولكن بحول الله إنه لا يفلح الظالمون ، سوف يُعثر عليهم إن شاء الله ، وَيَأْخُذُونَ جزاءهم ، ولكن الواجب على طلاب العلم أن يُبينوا أن هذا المنهج مُنْهَجٌ خَبِيثٌ ، مُنْهَجٌ الخوارج الذي استباحوا دماء المسلمين ، وكفوا عن دماء المشركين «^(١)».

نقول : كيف يكون التفجير حراماً عندكم وحللاً في بلادنا ، نحن لم نسمع لأحد من علمائكم تحريراً وشجباً واستنكاراً للجماعات الإرهابية المسلحة التي تعتمد التفجير والقتلمنهجاً لها لتحقيق أهدافها . والنتيجة ما هي ؟ قتل المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ . . . ، فإذا كان القتل حراماً والتفجير حراماً ، وترويع الآمنين حراماً والاختطاف حراماً ، وكل أمر فيه تَعْدِ على حُكَامَّكم حرام ، فلماذا تتغير الفتاوى من حرام إلى حلال في البلاد الإسلامية الأخرى ؟ إن هو إلا ضلال أنتم فيه .

٧- تجویز قتل رجال الامن :

سائل الفوزان :

سؤال : انتشر بين الكثير من الشباب منشورات تفيد جواز قتل رجال الأمن ، وخاصة «المباحث» ، وهي عبارة عن فتوى منسوبة لأحد طلاب العلم ، وأنهم في حكم المرتدين ، فنرجو من فضيلتكم بيان الحكم الشرعي في ذلك ، والأثر المترتب على هذا الفعل الخطير ؟

(١) «الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية» للشيخ فهد الحصين ، ص ٦٤ ، الطبعة الثانية .

فأجاب : هذا مذهب الخوارج ، فالخوارج قَتَلُوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فالذى قَتَلَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ألا يقتل رجال الأمن ؟ هذا هو مذهب الخوارج ، والذى أفتاهم يكون مثلهم ومنهم ، نسأل الله العافية^(١) .

* * *

(١) «الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية» ، للشيخ فهد الحصين ، ص ٦٩ ، الطبعة الثانية .

الخوارج والخروج على الحاكم

سؤال : هل كل من يخرج على الإمام يعتبر من الخوارج ، وينطبق عليه كل ما أَعْدَ الله للخوارج من العذاب الأليم ، والخزي في الدنيا والآخرة ، حيث إنهم كلاب النار ، وإن كان من أصحاب العقائد السليمة ؟ أرجو التوضيح مع ذكر الأدلة في ذلك ، وجزاكم الله خيراً .

أجاب عن السؤال ناصر بن عبد الكريم العقل ، أستاذ العقيدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فقال : إطلاق كلمة « خوارج » لها معانٍ متعددة ، فبعض علماء السلف يصفون كُلَّ من فارق الجماعة وخرج عليها ، أو خرج على السلطان بالخارج ، وبعضهم يحصر الخوارج بالفرقة المعروفة ، وكل من أخذ بمنهجها وأصولها الكبرى ، وأهمها : التكفير بالذنوب « مرتكب الكبيرة » ، واستحلال الدماء ، والخروج على الإمام والجماعة بالسيف ، ومنع الشفاعة الثابتة بالنصوص ، والقول بخلود أهل الكبائر في النار ، والقدح في علي رضي الله عنه والحكامين وغيرهم رضي الله عنهم ، فمن قال بهذه الأصول أو أكثرها فهو من فرقة الخوارج ، ومن أطلقها على كل من خَرَجَ على الجماعة والسلطان ، واستحلل الدماء ، فإنه من الخوارج . قال رضي الله عنه في الحديث الصحيح : « من فارق الجماعة وخرج

من الطاعة فمات ، فميته جاهلية »^(١) ، ويستدل بمثل قوله ﷺ : « ومن خرج على أمتی بسيفه يضرب بربها وفاجرها ، لا يتحاشى مؤمناً لإيمانه ، ولا يفي لذی عهد بعهده ، فليس من أمتی . . . »^(٢) .

* * *

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، برقم : (٨٠٦١) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، برقم : (٨٠٦١) .

الأحاديث الصحيحة الواردة في الخارج

صنف العديد من العلماء قديماً وحديثاً عن الخارج ، فأصلوا لفکرهم واستدلوا بالنصوص والأحاديث على بطلان دعواهم ، وها نحن نورد أبرز الأحاديث الصحيحة الواردة فيهم ، فقد نقل العلامة محمد سعيد عبد العال العالم الأزهري في كتابه « الخارج وسموم الفكر »^(١) ما نصه :

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً ، أتاه ذو الخويصة ، وهو رجل من بنى تميم ، فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال : « ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبّت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمر : يا رسول الله ، أئذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال : « دعه ، فإن له أصحاباً يَحْقِرُونَ أَهْدِكُمْ صَلَاتَهُمْ ، وصِيَامَهُمْ مع صِيَامِهِمْ ، يَقْرُؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ ترَاقِيَّهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يَنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يَوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يَنْظَرُ إِلَى رَصَافَهِ فَمَا يَوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يَنْظَرُ إِلَى نَضِيَّهِ - وَهُوَ قَدْحٌ - فَلَا يَوْجَدُ فِيهِ

(١) « الخارج وسموم الفكر » ، محمد سعيد عبد العال ، ص ١٢٣ ، ط ٢ ، دار الشروق ، مصر .

شيء ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفrust والدم ، آيتهم رجل أسود ، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البُضْعَة تدردر ، ويخرجون على حين فرقه من الناس » ، قال أبو سعيد : فأشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُّمِسَ فَأَتَيَ بِهِ ، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته^(١) . قال : فأنزلت فيه : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبه: ٥٨] .

معاني الكلمات :

(لا يجاوز تراقيهم) : لا يتعداها ، والترافي جمع ترقة ، وهي عَظَم يَصِلُ ما بَيْنَ ثَغْرَةَ النَّحْرِ وَالْعَاتِقَ ، والمراد : لا يفهون معناه ، ولا تخشع له قلوبهم ، ولا يؤثر في نفوسهم ، فلا يعملون بمقتضاه .

(يمرقون) : يخرجون منه سريعاً دون أن يستفيدوا منه .

(الرمية) : هو الصيد المرمي ، شبه مروقهم من الدين بمروق السهم الذي يصيب الصيد ، فيدخل فيه ويخرج منه دون أن يعلق به شيء منه ، لشدة سرعة خروجه .

(نصله) : حديدة السهم .

(رصافه) : هو العصب الذي يلوى فوق مدخل النصل .

(قدحه) : هو عود السهم قبل أن يوضع له الريش .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب علامات النبوة في الإسلام ، برقم (٣٦١٠) .

(قذده) : جمع قذة وهي واحدة الريش الذي يعلق على السهم .

(قد سبق الفرث والدم) : أي لم يتعلّق به شيءٌ منهما لشدة سرعته ، والفرث ما يجتمع في الكرش مما تأكله ذوات الكروش .

(آيتهم) : علامتهم .

(البضعة) : قطعة اللحم .

(تدردر) : تضطرب وتذهب وتجيء .

(حين فرقة) : أي زمن افتراق بينهم ، وفي رواية (على خير فرقة) : أي أفضل طائفة .

* عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهبية ، فقسمها بين الأربعة : الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي ، وعبيدة بن بدر الفزارى ، وزيد الطائي ثم أحد بنى نبهان ، وعلقمة بن علامة العامري ، ثم أحد بنى كلاب ، فغضبت قريش والأنصار ، قالوا : يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا ، قال : « إنما أتألفهم » . فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجتين ، ناتيء الجبين ، كث اللحية محلوق ، فقال : اتق الله يا محمد ، فقال : « من يطع الله إذا عصيت ؟ أياًمنتي الله على أهل الأرض فلا تأمنوني » فسأل رجل قتلته - أحسبه خالد بن الوليد - فمنعه ، فلما ولى قال : « إن من ضئضىء هذا ، - أو : في عقب هذا - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ، ويَدُعونَ أهل الأوثان ، لئن

أنا أدركthem لأنقتلهم قتل عاد «^(١) .

معاني الكلمات :

(بذهبية) : قطعة من ذهب .

(صناديد) : رؤساء ، جمع صناديد .

(غائر العينين) : عيناه دخلتان في رأسه لاصقتان بقعر الحدقة ،
ضد الجاحظ .

(شرف الوجنتين) : عاليهما ، والوجنتان هما العظمان
المشرفان على الخدين ، وقيل : لحم جلد الخدين .

(كث اللحية) : كثير شعرها .

(ضئضى) : هو الأصل والعقب ، وقيل : هو كثرة النسل .

(لا يجاوز حناجرهم) : لا يفهون معناه ولا ينتفعون بتلاوته .

(يمرقون) : يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ من الصيد من
جهة أخرى ، ولم يتعلق بالسهم من دمه شيء .

(الرمية) : الصيد المرمي .

(قتل عاد) : أي أستأصلهم بالكلية بأي وجه ، ولا أبقي أحداً
منهم .

* عن أبي سلمة وعطاء بن يسار ، أنهم أتيا أبا سعيد الخدري

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول الله عز وجل : ﴿وَمَا عَادُ فَأَهْلُكُوا بِرِيحِ صَرَصَرِ عَاتِيَةٍ﴾ ، برقم : (٣١٦٦) .

رضي الله عنه ، فسأله عن الحرورة : أسمعت النبي ﷺ ؟ قال : لا أدرى ما الحرورة ؟ سمعت النبي ﷺ يقول : « يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرن صلاتكم مع صلاتهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوتهم ، أو حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، فينظر الرامي إلى سهمه ، إلى نصله ، إلى رصافه ، فيتماري في الفوقة ، هل علق بها من الدم شيء »^(١) .

* عن سعيد بن جمهان قال : أتيت عبد الله بن أبي أوفى ، وهو محجوب البصر ، فسلّمت عليه ، قال لي : من أنت ؟ فقلت : أنا سعيد بن جمهان ، قال : فما فعل والدك ؟ قلت : قتلته الأزارقة ، قال : « لعن الله الأزارقة لعن الله الأزارقة حدثنا رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار ، قال : قلت : الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال : بل الخوارج كلها ، قال : قلت : فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ، قال : فتناول يدي فغمزها بيده غمرة شديدة ثم قال : « ويحك يا ابن جمهان ! عليك بالسواد الأعظم ، عليك بالسواد الأعظم ، إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم ، فإن قبل منك وإلا فدعه ؛ فإنك لست بأعلم منه »^(٢) . (الأزارقة) : هم أتباع نافع بن الأزرق الخارجي .

* عن أبي غالب قال : كنت بدمشق زمن عبد الملك ، فأتي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ، برقم (٦٥٣٢) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، برقم (١٩٤٣٤) .

برؤوس الخوارج ، فنصبت على أعواد ، فجئت لأنظر ، هل فيها أحد أعرفه ؟ فإذا أبو أمامة عندها ، فدنوت منه فنظرت إلى الأعواد ، فقال : « يا كلاب النار » ثلاث مرات « شر قتلى تحت أديم السماء ، ومن قتلواه خير قتلى تحت أديم السماء » قالها ثلاث مرات ، ثم استبكي ، قلت : يا أبا أمامة ما يبكيك ؟ قال : كانوا على ديننا ثم ذكر ما هم صائرون إليه غداً . فقلت له : شيئاً تقوله برأيك أم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : إني لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثة إلى السبع ما حدثكموه ، أما تقرأ هذه الآية في سورة آل عمران : ﴿ يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَسُوْدَ وَجُوْهَرٌ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ أُبَيَّضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧] ثم قال : « اختلف اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، سبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة ، وخالف النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، إحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة ، وتخالف هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنة » فقلنا : انتم لنا ، قال : « السواد الأعظم »^(١) .

* عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهمَا ، عن رسول الله ﷺ قال : « سيكون في أمتي احتلافٌ وفرقٌ ، قومٌ يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتدوا على فوقيه ، هم شرُّ الخلق والخلية ، طوبى لمن قتلهم وقتلوا ، يدعون إلى

(١) أخرجه الطبراني في معجمة الكبير ، برقم (٢٧٣) .

كتاب الله وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كان أولى بالله تعالى منهم » قالوا : يا رسول الله ، ما سيماهم ؟ قال : « التحليق ». وفي رواية عن أنيس قال : « سيماهم التحليق والتسبيد ، فإذا لقيتموه فأنيموهم »^(١) . قال أبو داود : التسبيد : استئصال الشعر .

* عن عقبة بن وساج قال : كان صاحب لي يحدثني عن شأن الخوارج ، وطعنهم على أمرائهم ، فحججت فلقيت عبد الله بن عمرو ، فقلت له : أنت من بقية أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد جعل الله عندك علمًا ، وأناس بهذا العراق يطعنون على أمرائهم ويشهدون عليهم بالضلال ، فقال لي : أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، أتي رسول الله ﷺ بقليل من ذهب وفضة ، فجعل يقسمها بين أصحابه ، فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، والله لئن أمرك الله أن تعدل ، فما أراك أن تعدل ، فقال : « ويحك من يعدل عليه بعدي » فلما ولى قال : « ردوه رويداً » فقال النبي ﷺ : « إن في أمتي أخاً لهذا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلما خرجوا فاقتلوهم ثلاثة »^(٢) .

* عن أبي بربعة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يخرج من قبل المشرق قوم كان هديهم هكذا ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يرجعون إليه ، ووضع يده على صدره ، سيماهم التحليق ، لا يزالون يخرجون حتى

(١) أخرجه أبو داود في سنته ، باب في قتال الخوارج ، برقم (٤٧٦٥) .

(٢) أخرجه عمرو بن أبي عاصم في كتاب السنة ، برقم (٩٣٤) .

يخرج آخرهم ، فإذا رأيتهم فاقتلوهم - قالها حماد ثلثاً - هم شر
الخلق والخلية - قالها حماد ثلثاً »^(١) .

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ينشأ
نشء يقراءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلما خرج قرن قطع » قال ابن
عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلما خرج قرن قطع » أكثر من
عشرين مرة : « حتى يخرج في عراضهم الدجال »^(٢) .

* * *

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، برقم . ٢٦٤٧

(٢) أخرجه ابن ماجه في سنته ، برقم ١٧٤ .

الخاتمة

نستطيع أن نقول بعد هذا التطواف في الفكر الوهابي وعلاقته بالخوارج قديماً : إن محمد بن عبد الوهاب مُرشد ومؤسس الفكر الوهابي الذي اعتمدته تنظيمات القاعدة وحركة طالبان وغيرها من المنظمات الإرهابية التكفيرية ، قد انطوى فكره ومذهبه على تناقض جوهرى أبدي مع الديمقراطية والشوري ، بسبب رفضه الاعتراف بالأمة الإسلامية على أساس الشهادتين ، وإصرارها على النظر إلى الناس من خلال نظرية الإلغاء والإقصاء والتكفير ، ولا يمكن للحركة الوهابية أن تخرج من هذه الأزمة المستعصية إلا بإحداث ثورة ثقافية ، تعيد فيها النظر في التصور الوهابي للإسلام والإيمان ، وتتخلى - بالإضافة إلى إعادة النظر في الفقه السياسي الإسلامي الضيق - عن سياسة التكفير لعامة المسلمين ، وبكلمة أخرى : لا يمكن للحركة الوهابية أن تتقدم على طريق الدعوة والشوري أو الديمقراطية إلا بالتخلي عن الوهابية ؛ لأن هذا الفكر كان الدليل الأوضح والبارز على التحجر الفكري والتعصب الخطير الذي وصلت إليه الحركات الإسلامية السياسية التي تسترشد بهذه الآراء ، وبمثل هذا النّمط من التفكير الذي لا يقبل أي نقد أو إصلاح فكري ، لأنها تعتقد أنها تمتلك الحقيقة المطلقة ، وما عداها كافر ، حيث برزت بشكل واضح قضية تسييس الإسلام في العصر الحديث من بعض الأحزاب والحركات السياسية ، واتخذت من

الإسلام منهاجاً ، ودليل عمل لها للوصول إلى الحكم ، لتكون لها ولادة دينية وولاية سياسية ، بإشاعة الرعب والخوف بوسائل شتى ، وهو جوهر العمل الإرهابي الذي يُعد فعلاً جرمياً عمدياً ، إذ إن العقيدة الوهابية هي عقيدة واهية ، أوهى من بيت العنكبوت ، ليس لأصحابها سلف فيها إلا السفهاء أو المغرضون أو المستأجرون من خلق الله وأضلهم وطمس على قلوبهم ، فالوهابية إداً مبتدعة وليس متّعة .

وختاماً نقول : الوهابيون اليوم فكراً ومنهجاً في خدمة من ؟ هل فَّرَّ الوهابيون يوماً ما بمصالح المسلمين الكبرى ؟ هل فكروا يوماً في التصدي للمطامع الاستعمارية ؟ ماذا قدموا في مواجهة النفوذ الصهيوني في بلاد المسلمين ؟ وليس هذا فقط ، بل لو تتبّعنا تاريخ محمد بن عبد الوهاب وقادة الوهابية الأوائل من بعده لا نجد فيه أثراً لعمارة الأرض وإقامة العدل وإنصاف المظلوم ومكافحة الجهل ، ولا أثراً للسلم والرخاء ، بل لا نَجِدُ فِيهِ سُوَى تكفير المسلمين ، ورميهم بالشرك ، وإيجاب قتلهم ، واستباحة دمائهم وأموالهم ، وأن كل ما يشغل بهم هو نشر عقيدة التجسيم والتشبيه والكفر والضلال ، وإنكار أي جُهد لسلف الأمة من العلماء والدعاة ، هذا هو شغلهم لا غير ، وهذا هو هَمِّهم الوحيد الذي انطلقوا تحت غِطائِه يَسْفِكون دماء المسلمين الأبرياء ، ويستبيحون المحرمات ، ويُشيرون الفتنة الواحدة تلو الأخرى .

وإنك لتجد صدورهم الضيقة مليئة بالحقد والكراهية ، وحبّ إلحاق الضرر بالأمة ، ويضاف إلى ذلك أنهم يُوالون الغرب ،

ويُمَهِّدون لتشييت أقدام المعسكر الغربي في قلب البلاد العربية والإسلامية ، فهم الأيدي الخبيثة التي يُحركها أعداء الإسلام فيما يشتهون ، هذه هي حقيقة ما أنجزته الوهابية ، وما تُنجزُهُ اليوم ، وما تسعى له في المستقبل .

والحمد لله رب العالمين

من فقه الأزمة (٢)

الكفر والتكفير وضوابطهما

المحتوى

مقدمة البحث	٧٩
الكُفر والتَّكْفِير تعريفهما وضوابطهما	٧٤
ما هو الفرق بين المنافق والكافر ؟	٧٧
الفرقُ الإِسْلَامِيَّة قديماً وحديثاً وموقفُ المُسْلِمِين منها	٧٩
ما هي خطورة التَّكْفِير المزاجي ؟	٨١
من هي المِلَّة الناجية ؟	٨٣
متى ظهرت بدعة التَّكْفِير ؟	٨٧
ما هي الشمرة التي يتغىها الغرب من نشر بدعة التَّكْفِير ؟	٩٢
هل تثمر محاولات نشر الفكر التَّكْفِيريّ وبثّ الفتنة الطائفية في بلادنا ؟	٩٣
التحذير من خطر التَّكْفِير	٩٤
السلف الصالح	٩٨
النبي ﷺ يحذر من التَّكْفِير	١٠٠
كلمة أخيرة	١٠٢
الخاتمة	١٠٤

مقدمة البحث^(١)

كلكم يعلم كم يهيب كتاب الله سبحانه وتعالى المسلمين بأن يتحدوا وبأن يتضامنوا وبأن لا يتفرقوا وبأن لا يتنازعوا ويتخاصلوا ، وما منكم إلا من قرأ أو سمع كثيراً من الآيات التي يهيب فيها البيان الإلهي المسلمين بالانقياد لهذا الأمر ، من مثل قول الله عز وجل : ﴿ وَأَعْصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [الأفال : ٤٦] . قوله : ﴿ وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفَشُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأفال : ٤٦] . ومن أهم الضمانات التي يمكن أن تتحقق من خلالها الوحدة وأن يخلص المسلمين من المنازعات وأسباب التفرق تمثل في القرار التي أرسنته الشريعة الإسلامية بناء على مصادرها القرآن والسنة ، ألا يتعامل الناس في دنياهم إلا بالظواهر التي تتبدى لهم وألا يقتسم أحد بواطن الآخرين في هذه الدنيا ، فلا حاكم الأعلى ولا القاضي ولا المفتى حتى الرسل والأنبياء لا يملك أحد منهم إذا أراد أن يحكم أو إذا أراد أن يتبين الخير والشر من شخصية إنسان ما ، لا يملك إلا أن يقف عند الأدلة الظاهرة ، فإذا أراد أن يقتسم ذلك إلى الباطن جاء التحذير من لدن رب العالمين لينبهه إلى أن المحكمة الباطنة موكولة إلى الله سبحانه وتعالى ، فلا يجوز للإنسان

(١) مستخلصة من خطبتين للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى بتاريخ : ٢٠١٢/٢/٩ و ٢٠١١/٧/١ .

أن يحكم على الآخرين إلا بظاهر ما يتبدى له .

فإن رأيت احتمالين يتجادبان شعورك تجاه أحَدٍ لك ، أحدهما حسن الظن والآخر سوء الظن ، يأتي بيان الله عز وجل ليأمرك بأن تنبذ سوء الظن وتلقيه ظهرياً وراءك وأن تعتمد على حسن الظن : ﴿يَأَتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكَ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا﴾ [الحجرات : ١٢] .

مصدق هذا الكلام قول رسول الله ﷺ : « يخرج من النار من كان في قلبه مثلث ذرة من الإيمان »^(١) .

فذرة الإيمان هذه هي التي تساوي أقل من واحد في المائة ، قد أعلن المصطفى ﷺ أن هذه الذرة تبقيه مسلماً ولا يجوز لنا أن نلتفت إلى الاحتمالات الكثيرة الأخرى . أرأيتم إلى هذه الدلالة في هذا الحديث الذي اتفق عليه الشيوخان .

الدليل الثاني : روى مالك في الموطأ أنه بينما رسول الله ﷺ
جالس بين ظهراني الناس ، إذ جاءه رجل فسارة فلم يُدْرِّ ما ساره به حتى جهر رسول الله ، فإذا هو يستأذنه في قتل رجل من المنافقين ، فقال رسول الله حين جهر :

« أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فقال الرجل : بل ولا شهادة له . فقال : أليس يصلي؟ قال : بل ولا صلاة له .

(١) أخرجه الترمذى فى سنته ، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد ، برقم (٢٥٩٨) .

قال : أولئك الذين نهاني الله عنهم^(١) .

تعالوا أيها الإخوة إلى مزيدٍ من الأدلة على هذا المعنى الذي تمثل فيه الضمانات الثلاثة التي حدثكم عنها ، أحاديث صحيحة كثيرة وصلت إلى درجة التواتر المعنوي كلها تتضمن معنى واحداً : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة »^(٢) ، « من مات من أمنتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة »^(٣) ، « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »^(٤) . وأحاديث كثيرة أخرى بلغت كما أقول لكم مبلغ التواتر المعنوي .

إن فتحنا باب التکفیر لسبب ما فليس أولى في الناس جمیعاً من عبد الله ابن أبي بن سلول أن يکفَّر ، وإذا كان في الحكم وفي القضاة وفي العلماء والمفتين من يَحِقُّ لهم أن يُکفِّرُوا فليس أولى من رسول الله ﷺ بأن يُکفِّرَ ولكن له لم يُکفِّرْ عبد الله بن أبي بن سلول . ولما مات كان رسول الله ﷺ في مقدمة من صَلَّى عليه .

تعالوا الآن إلى هذا الفجور الذي يأبى بعضُ من الناس إلا أن يرکنوا إليه لا بداع من آيٍ في كتاب الله ، ولا بداع من كلام أوصى به رسول الله ﷺ ولكن بداع من أحقاد هيمنت على مشاعرهم وكياناتهم ، تتنامي في نفس أحدهم مشاعر الحقد ، يبحث يميناً

(١) أخرجه مالك في الموطأ ، باب جامع الصلاة ، برقم (٤٧٦) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٢٥٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب من أجاب بليك وسعديك ، برقم (٥٩١٣) .

(٤) أخرجه الحاکم في المستدرک برقم (١٢٩٩) .

وَشَمَالاًً عن متنفس فلا يعثر لذلك إلى على سلاح التكفير ، سلاح التكفير هو الذي يُشْفِي غليله ، هو الذي يُحَقِّقُ تنفساً عن حقده ، ومن هنا جعلوا كلام الله عز وجل وبياناته التي لخصتها لكم وراءهم ظهرياً ثم إنهم يتبعون بدلاً عن ذلك مشاعر أحقادهم ، مشاعر الضغائن التي تهيمن على كياناتهم .

نَدَعُ إِلَى الْوَئَمْ وَهَذَا مَا يَأْمُرُنَا بِهِ اللَّهُ ، نَدَعُ إِلَى الْحُبْ وَهَذَا مَا يَأْمُرُنَا بِهِ كِتَابُ اللَّهِ ، نَدَعُ إِلَى الْوَحْدَةِ وَهَذَا مَا نَسْمَعُهُ وَنَقْرَأُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، لَكُنْ يَا عَجَباً لِمَنْ يُمْسِكُ بِالْمَعْوَلِ لِيَهْدِمَ مَا يَأْمُرُ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ ، هَذَا هُوَ الإِشْكَالُ الَّذِي نَعِيشُهُ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ مَنْ قَالَ :

مَتَى يَلْغِي الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَآخْرِيْ يَهْدِمُ

وَالقاعدة التي نعمل بها هي : أن الذي يُكَفِّرُ الْإِنْسَانَ هُوَ نَفْسُهُ ، هُوَ الَّذِي يُكَفِّرُ نَفْسَهُ ، فَإِذَا لَمْ يُكَفِّرْ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ أَنْ يُكَفِّرَهُ . لَوْ أَنْ إِنْسَانًا ارْتَكَبَ الْمُوبِقَاتِ الْمُكَفَّرَةَ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : أَنَا مُسْلِمٌ ، فَإِنْ كَلَمْتَهُ هَذِهِ إِعْلَانًا بِأَنَّهُ قَدْ تَابَ وَآبَ إِلَى اللَّهِ ، وَهُوَ إِعْلَانٌ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَبِيلَ تُوبَتِهِ . إِذَا عَرَفْنَا هَذِهِ الْحَقْيَقَةَ يَا عِبَادَ اللَّهِ عَرَفْنَا بِالْبَدَاهَةِ أَنَّ لَا يَجُوزُ فِي شَرْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَهْتَاجَ طَوَافَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ .

إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا نَعْلَمَ أَنَّ لَوْ جَازَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُغْمِضُوا أَعْيُنَهُمْ وَيُنَشِّرُوا تُهْمَةَ الْكُفَّارَ رَشًَّا لَا دِرَاكًا عَلَى مَنْ يَشَاؤُونَ لِجَازَ لَهُمْ أَنْ يُنَشِّرُوا تُهْمَةَ الْكُفَّارَ لِتَلْكَ الْفَرَقَ الَّتِي تَنَامَتْ فِي أَوَّلِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، الْجَهْمِيَّةُ ،

المرجئة ، المعتزلة ، الحشوية ، القدرية ، الخوارج ، ولكن أصغُوا
السمع جيداً وابحثوا ونقبو ، هل ترون في أئمة المسلمين من نَعَتَ أيّاً
من هذه الفرق بالكفر ؟ لن تجدوا .

* * *

الكُفر والتّكْفِير تعريفهما وضوابطهما^(١)

الكُفر (لغةً) : السَّتْر . والكافر (لغةً) : هو الذي يَسْتُر الأشياء الظاهرة ، لذلك يُسمى الزّارع كافراً لأنَّه يدِفن - يَسْتُر - البذر في باطن الأرض .

قال تعالى : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخِرٌ بِنَعْمَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَالَهُ شَمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمَّاً ﴾ [الحديد : ٢٠] الكُفَّارَ هنا تعني الزُّرَاعَ .

ويترفع عن هذا المعنى كُلُّ ما أنكره الإنسان بلسانه وقد أيقن به عقله .

الكُفر (شرعًا) : هو كُلُّ قولٍ يُعبّرُ تعبيراً صريحاً عن إنكار رُكْنٍ من أركان الإسلام أو الإيمان ، أو عن إنكار حُكْمٍ من الأحكام الإسلامية المعروفة من الدين بالبداهة والضرورة ، كأن يُبيح الفاحشة أو قتل النفس بغير الحق أو الرِّبَا عموماً بعبارةٍ صريحةٍ قاطعةٍ في الدلالة على ذلك ، أو كُلُّ فعلٍ يحمل دلالةً قاطعةً على شيءٍ يُناقض ركناً من أركان الإسلام كالسُّجود لصنم .

أو أن يسخر من شيءٍ من أركان الإسلام أو الإيمان أو أي حُكْمٍ من

(١) خلاصة الحلقتان الثانية والتاسعة من برنامج « مع البوطي في قضايا الساعة » .

الأحكام الإسلامية المعروفة للجميع بالبداهة والضرورة أو أن يحتقره بوسيلةٍ واضحةٍ من وسائل التحقير . مثال : رمى بالمصحف أرضاً أو ألقاه بين الأقدار .

ومدارُ الأمر في أصلِ كُلٍّ من الكُفر والإسلام هو الاعتقاد ، فإذا تَرَتبَ على القَوْلِ أو الفَعْلِ حُكْمُ التَّكْفِيرِ فَذَلِكَ لَانَّ القَوْلَ أو الفَعْلَ دُلَالَةٌ قاطِعَةٌ عَلَى عِقِيدَةِ مُكَفَّرٍ ، فَأَمَّا إِذَا لم تَكُنْ لَهُ دُلَالَةٌ قاطِعَةٌ لَمْ يَجُزْ تَرْتِيبُ حُكْمِ الْكُفْرِ عَلَيْهِ ، وَانْحَصَرَتْ دُلَالُتُهُ عَلَى الْفَسْقِ وَالْعُصَيْانِ مَعِ إِحَالَةِ بَاطِنِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أما المعاشي مهما عَظُمَتْ فَلَا يُحَكَمُ عَلَى مِرْتَكَبِهَا بِالْكُفْرِ حَتَّى الكبائر ، وإنما يُحَكَمُ عَلَيْهِ بِالْفَسْقِ ، وقد أوضح الإمام أحمد بن حنبل هذه الحقيقة بقوله : « من قال الخمر حلال فهو كافر يُستتابُ وإلا ضُربَتْ عُنْقُهُ ، وهذا محمولٌ على من لا يخفى على مثيله تحريمُه لِمَا ذَكَرْنَا ، فأَمَّا إِنْ أَكَلَ لَحْمَ خنزيرٍ أو مِيَّنةً أو شربَ خمراً لَمْ يُحَكَمْ بِرِدَّتِه بمجرد ذلك ، لأنَّه يجوز على أن يكون فعله مُعتقداً تحريمه ، كما يفعل غير ذلك من المحرّمات » .

ومن الواضح أن هذا التعريف يشمل الكافر المستكبر الذي عَلِمَ حقائق الدين وأيقن بها عقلاً ولكن صَدَّه عن الاعتراف بها استكتابه ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنْتُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل : ١٤] . وهؤلاء الكفار المستكرون هم الذين يَتَوَعَّدُهُمُ البَيَانُ الإلهي دائمًا بالعقوبة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات : ٣٥] .

فكما تحدّث البيان الإلهي عن الأمم السابقة التي أهلكها يؤكّد أن سبب إهلاكها هو الاستكبار .

أما الكافر الجاهل فلا يُحمّله الله تعالى مسؤولية جهله ، بل ربما يحاسب من عرف دينَ الله ثم لم يُبلغه لأمثال هذا الكافر الجاهل .

ولا يجوز للمسلم أن يحكم على فلانٍ من الناس أنه مات كافراً إذا بدا منه أثناء حياته تصرّفٌ يدلُّ على كفرٍ صريحٍ ، ثم غاب عنه ولم يعلم بأي خاتمة خُتِمَ له ، فلربما تداركه الله بلطيفه ورحمته وألهمه العودة عن كفره قبل الموت ، وإنما يجوز القولُ : أنه في يوم كذا وقت كذا قد تلفّظَ بما يدلُّ على الكُفر ، ولكن نسأل الله أن يكون قد تاب قبل موته .

كما لا يجوز التكبيرُ الجماعيّ ، كأن يقال : أبناء القرية الفلانية كلهم كفار . وهي أخطاء يرتكبها البعض في تكفير أبناء طائفة معينة أو سكّان منطقة معينة .

* * *

ما هو الفرق بين المنافق والكافر ؟

المنافق : هو كُلّ من أظهر الإيمان بلسانه وقد كَفَرَ قلْبُه .

وهذا يُعامل في الدّنيا معاملة المسلم ، لأنّ القاعدة الشرعية تُنصّ على ألا يتعامل الناس في دُنياهم إلا بالظواهر التي تتبدى عليهم ، وألا يقتحم أحدُ مواطن الآخرين في هذه الدنيا ، فلا الحاكم الأعلى ولا القاضي ولا المفتى حتى الرسُل والأُنبِياء لا يملك أحدٌ منهم إذا أراد أن يَحْكُم أو إذا أراد أن يتبيّن الخير والشر من شخصية إنسانٍ ما ، لا يَمْلِكُ إلا أن يقف عند الأدلة الظاهرة ، فإذا أراد أن يقتتحم ذلك إلى الباطن جاء التحذير من لدن رب العالمين لينبهه إلى أن المحكمة الباطنة موكلة إلى الله سبحانه وتعالى .

قرر علماء المسلمين بالإجماع أن زيداً من الناس إذا طافت به احتمالاتُ الكُفر ، وكانت احتمالات كثيرة ، ولم يبقَ إلا احتمال واحدٍ في المئة لاعتبار أنه لا يزال مسلماً فيجب أن نتمسّك بالاحتمال الباقي الواحد وأن ننطوي دلائل كفره .

عن عطاء بن يزيد الليثي ، أن عبيداً الله بن عدي بن الخيار حدثه أن النبي ﷺ بينما هو جالس معه أصحابه جاءه رجل فاستأذنه في أن يُسأله قال : فأذن له فسأله في قتل رجل من المنافقين ، فجَهَرَ النبِيُّ ﷺ فقال : « أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال الأنصاري : بلـ يا رسول الله ولا شهادة له : قال رسول الله ﷺ : أليس يشهد أن

محمدًا رسول الله؟ قال بلى يا رسول الله . قال : أليس يصلي؟ قال :
بلى يا رسول الله ولا صلاة له؟ فقال رسول الله ﷺ : أولئك الذين
نهانِي الله عنهم «^(١) .

* * *

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٣٧٢٠) .

الفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَدِيمًاً وَ حَدِيثًا وَمَوْقُفُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا

عندما توفي رسول الله ﷺ وكاد أن ينطوي عهد الصحابة وجاء عهد التابعين تناَّمت فرق إسلامية شاردة عن منهج الإسلام ، تكاثرت في كيان الدولة الإسلامية كما تكاثر التأليل على الجسد السوّي ، من أمثل المرجئة والجهمية والحسوية والمجسدة والخوارج وما إلى ذلك ، فلم يُكَفِّرَ المسلمين أي فرقة من هذه الفرق نهائياً ، لا خارجياً ولا مرجحاً ولا أياً من هذه الفئات أو الفرق التي شذَّتْ وشردت عن صراط الله سبحانه وتعالى .

ولما سئل سيدنا علي رضي الله عنه عن الخوارج الذين آذوه إيذاءً شديداً قال : « هم إخواننا بَغَوا عَلَيْنَا ». .

والإمام أحمد بن حنبل هو الذي أوديَ أشد أنواع الإيذاء عن طريق المعترضة القائلين بأن القرآن مخلوق ، لم يكن كلام الله ثم وجد ، أوديَ وحبسَ وضربَ مدة طويلة في عهد المأمون ، ثم إن الله عز وجل شاء أن ترتفع عنه المحننة في عهد المُتوكّل ، جاء بعض أصحابه يقولون له : يا سيدني ادع الله على ابن أبي دوءاد رأس المعترضة ، قال له : « وما يفيدك أن يُعذبَ الله عز وجل يوم القيمة أخاً من أجلك ، لا بل أدعو الله سبحانه وتعالى له ». .

والفرق الإسلامية الحديثة شأنها شأن القديمة في الحكم
والمعاملة ، فكم نحن اليوم بحاجة للتأسيي بهذا السلف الصالح في
لطفهم وسموّ أخلاقهم .

* * *

ما هي خطورة التکفیر المزاجي؟

إن الإسلام بكل أحكامه وأدابه وشرائعه يقوم على محور قُدسيٌّ هام هو وحدة الكلمة والتآلف والتآخي بين أفراد المجتمع الإسلامي ، يقول تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْفَرُوا وَإِذْ كُرُوا يَعْمَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاعَةٍ حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَانْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيَّتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . فهذه الآية الكريمة تذكرنا بنعمة توحيد الإسلام للناس الذين كانوا متشرذمين متفرقين ، ولو علم الله شرعة أكثر ضمانةً لتوحيد الأمة وتآلفها لأمرنا بها .

فشمرة الإسلام في دار الدنيا طيّ عوامل الفرقـة وتحويلـ الفئاتـ المتتصارـعة إلى إخـوة مـتحابـين مـتألفـين . فكان من أـهم ضـمانـاتـ هذه الوـحدـة ضـبطـ التـکـفـير بـضـوابـطـ دقـيقـةـ لا تـخـضعـ لـلـمـزاـجـياتـ أو العـصـبيـاتـ أو الرـعـونـاتـ ، لأنـ الـحـکـم بـکـفـرـ شـخـصـ سـيـؤـديـ بـعـدـ ذـلـكـ إلىـ اـتهـامـ بـمـعـادـةـ الإـسـلامـ وـالـکـيـدـ لـهـ ، وـمـنـ ثـمـ إـلـىـ الـحـکـمـ بـجـواـزـ قـتـلـهـ .

وعندما يصف البيان الإلهي أهل الكتاب بأنهم كافرون فهذا يعني أنهم يكـفـرونـ - أيـ يـنـكـرـونـ - بأـمـورـ وـرـدـتـ فـيـ الشـرـيـعـةـ الإـسـلامـيـةـ ، ولاـ يـعـنيـ أـنـهـمـ يـكـفـرونـ - أيـ يـنـكـرـونـ - بـأـلوـهـيـةـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ ،

أما في الآخرة فأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى ، وكما هم يكفرون بأمور وردت بالشريعة الإسلامية كذلك نحن نكفر ببعض ما ورد في كتبهم كالتلثيل وما سوى ذلك .

* * *

من هي الملة الناجية ؟^(١)

أخطر العوامل التي تدعو إلى الشقاوة والفرقة وتفعل فعلها باسم الدين نفسه ، هو الفهم المقلوب المنكّس لحديث صحيح رواه أصحاب السنن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرق إلى شتتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة . قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي »^(٢) ، فهذا الحديث صحيح وله معنى يزيد الأمة إلى الاجتماع والألفة ، ولكن في الناس اليوم كثرة ذهبت في تفسير هذا الحديث مذهبًا باطلًا منكساً ، تحول بذلك هذا الحديث إلى عامل من أخطر عوامل الفرقة بين المسلمين .

كثيراً ما يرى الرجل صاحبه من هؤلاء الذي فهموا هذا الحديث فهماً باطلًا ، يقول له صاحبه سائلاً : من أي البلاد أنت ، يسأله عن مسقط رأسه ، يسأله عن وطنه ، فيجيبه أنا من الفرقة الناجية ! ومعنى

(١) مستخلصة من خطبة للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى بتاريخ : ٢٠٠٩ / ٦ .

(٢) أخرجه الترمذى في سنته ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، برقم (٢٦٤١) .

هذا الكلام بتصريح القول أن الذين يسيرون على خلاف مذهبة ومنهجه ليسوا من الفرق الناجية ، بل هي ممن قال رسول الله ﷺ عنهم كلهم في النار . من هنا انتشرت عوامل التكفير والتبديع والتضليل وما إلى ذلك .

المعنى الدقيق الذي عناه رسول الله ﷺ :

تعلمون أن هؤلاء الذين يقولون : لا إله إلا الله ، ويموتون وهو مستمسكون بها ؛ فيهم كثيرٌ ممن تبني فرقه من الفرق ، تبني مذهبها من المذاهب ، اجتهد في اتباع فئة من الفئات ، وقد علمنا أن رسول الله ﷺ أعلن في أحاديث بلغت مبلغ التواتر المعنوي أن لا حرج ، كلهم ناجون وكلهم يكرمهم الله بالجنة ، أفيمكن أن يناقض رسول الله ﷺ نفسه فيقول في هذا الحديث ما يناقض مناقضة حادة هذه التأكيدات التي مرت معنا فيقول : « وتفترق أمتي على ثلات وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة »^(١) ويعني بذلك الفرق الإسلامية والمذاهب الإسلامية المتنوعة ، فإذاً رسول الله ﷺ يناقض نفسه ! وحاشاه .

إذاً فما معنى الحديث ؟

تأملوا يقول المصطفى ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة » ، مقتضى بلاغة المصطفى ﷺ وكونه حجة في البيان والفصاحة ، وكونه أُوتى جوامع الكلم ، أن يقابل كلمة اليهود

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه برقم (٤٤٤) .

والنصارى بكلمة المسلمين فيقول : « وتفترق أمتی على ثلثٍ وسبعين فرقة»^(١) ، لكنه عَدَّ عن كلمة المسلمين ، وإنما قال : « وتفترق أمتی على ثلثٍ وسبعين فرقة » والمراد بالأمة هنا أمّة الدّعوة لا أمّة الاستجابة ، كل من وُجِدَ في عصر رسول الله ﷺ ، وكل من وُجِدَ فيما بعد إلى قيام الساعة من أمّة رسول الله ﷺ لكنه من أمّة الدّعوة ومن آمن منهم أصبح من أمّة الاستجابة ، يقول المصطفى ﷺ : « وستفترق أمتی - أي أمّة الدّعوة - على ثلثٍ وسبعين فرقة » ، أي إلى أديان مختلفة متناقضّة شتى ، والدليل الناطق على هذا أنه قال بعد ذلك : « كلها في النار إِلَّا ملة واحدة ولم يقل إِلَّا فرقة واحدة ، كلها في النار إِلَّا ملة واحدة هي ملة الإسلام بكل فئاتها ، بكل مذاهبها ، بكل أقوامها ، الجامع المشترك بينها والذي يجعل لها هوية الرّحمة من الله سبحانه وتعالى ويجعلها تدخل إلى بوابة الرّحمة الإلهية الواسعة أنها جمِيعاً لَقِيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ وَهِيَ تَؤْمِنُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ .

هذا هو المعنى الذي قصده المصطفى ﷺ ، وهيهات هيهات أن نفسر هذا الحديث بما يروق لنا ، وبما يبرر المذهبية التي نتعصب لها ، أو بما يبرر الفرقَةَ التي نتعصب لها ، والتي نرى أن غيرنا ممن لا يتبعها آيلٌ إلى النار وآيلٌ إلى الدمار ، هيهات أن يكون قصد رسول الله ﷺ ذلك ، إذاً لناقض نفسه ، وإذاً لوقعنا أمام مشكلة تجاه هذه الأحاديث الكثيرة الكثيرة ، التي بلغت مبلغ التواتر والتي مرت

(١) أخرجه اللحاكم في مستدركه برقم (٤٤١) .

معنا . إذا عرفا هذا الذي نقول - أيها الإخوة - فالMuslimون اليوم بكل مذاهبهم ، بكل فرقهم ، كلهم يستظلون بظل الإيمان بالله ، كلهم لهم هوياتهم التي يدخلون بها غداً في رحمة الله عز وجل ، ألا وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، إذاً لا يجوز لي وقد اتبعت أنا مذهب أهل السنة والجماعة الكثرة الكاثرة التي كانت في عصر رسول الله ﷺ لا يجوز لي أن أقول أنا وحدي من الفرقة الناجية والآخرون ليسوا ناجين إذا هم كفرا ، لا يجوز لي أن أكفر أخاً بيبي وبينه رحم شهادة أن لا إله إلا الله ، لا يجوز لي أن أقطع صلة ما بيبي وبينه وقد مدَّ الله عز وجل صلة ما بيبي وبينه بصلة الأخوة في الله إذ قال : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوهُا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ [الحجرات : ١٠] .

عن أبي عمرة الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنني رسول الله ، لا يلقى الله عبدٌ يُؤْمِنُ بهما إلا حُجَّبٌ عنه النار يوم القيمة»^(١) .

* * *

(١) أخرجه النسائي في سنته الكبرى ، برقم (٣١٢٥) .

متى ظهرت بدعة التکفیر

في القرن التاسع عشر قام صراعٌ في الجزيرة العربية بين آل رشيد وآل سعود ، وقد انتصرت بريطانيا - التي كانت تترَّعَّم الدول المستعمرة للبلاد الإسلامية - لآل سعود ، ووُجِدَت في شخص « محمد بن عبد الوهاب » غايتها المنشودة لاستلام الزعامة الدينية التي اشتَرطَت وجودها في الجزيرة العربية ، بالإضافة إلى الزعامة السياسية ، نظراً لمكانة الجزيرة الغربية الدينية عند المسلمين . كان « محمد بن عبد الوهاب » تلميذاً لأخيه « سليمان بن عبد الوهاب » ولكنَّه كان يتَجاوز الحدود العلمية التي أخذها عن أخيه ، وأتى بأمرٍ بِدُعِيَّةٍ لا عَهْدَ لِلشريعة الإسلامية ولا للعلماء بها .

منها : تکفیرٌ من يَطُوفُ بالقبور ويَمَسُّ بها ، وتكفیرٌ من يسألُ غير الله ، كمن يقول : « يا رسول الله اشفني » ، وتكفیرٌ من ينذرُ للأموات . مع أن كل ما سبق مَعَاصٍ ، ولكنَّها ليست مُكَفَّرات ، كما زاد على ذلك أن كلَّ من لا يؤمن بأن ذلك كُفُّرٌ فهو كافر .

وهذه الفتوى التکفيرية التي أعلناها لم يَنْسِبَها إلى دليلٍ من القرآن أو السُّنَّة أو الإجماع ، ولا صِحَّة لِنِسبتها لابن تيمية ولتلميذه ابن القييم ، بل على العكس من ذلك . قال ابن تيمية في كتابه (الإيمان) : « لم يَكُفُّر الإمام أحمد أحداً من أهل القِبْلَة ، لا الخوارج ولا المُرجِئة ولا القدرية ولا المُعتزلة ، بل صَلَّى خلفَ الجَهَمَيَّة ، بل

كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم ، ويرى الائتمام خلفهم في الصلاة » ومعلوم أن الإمام ابن تيمية حنفي المذهب .

يقول الإمام ابن تيمية في التحذير من تكفير أهل القبلة : « ومن البدع المنكرة تكفير أي طائفة مؤمنة من طوائف المسلمين ، واستحلال دمائهم وأموالهم ، وهذا عظيم - أي خطير - لوجهين : أحدها : أن تلك الطائفة الأخرى قد لا تكون فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المُكفرة لها ، بل قد تكون بدعة الطائفة المُكفرة لها أعظم من بدعة الطائفة المُكفرة ، وهذه حال معظم أهل البدع والأهواء الذين يُكفرُ بعضهم بعضاً . الثاني : أنه لو فرض أن إحدى الطائفتين مُختصة بالبدعة والأخرى موافقة للسنة لم يكن لهذه السننية أن تُكفر كل من قال قوله أخطأ فيه ، فإن الله يقول : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِن نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [القرآن: ٢٨٦] . »

والكثير مما قاله محمد بن عبد الوهاب ابتداعاً واحتلاقاً يُنسب إلى ابن تيمية مع أن ابن تيمية يقول العكس .

أما مُحاربة البدع فهو جامعٌ مشتركٌ بين المسلمين جميعاً ، فالبدعة هي : كُلُّ أمرٍ استحدثَ وأدخلَ في الدين وهو ليس منه ، ولكنَّ محاربة البدعة لا تعني تكفير الناس وإنما يحرجهم عن الملة فضلاً عن أن يُقال : « من خالف مذهبي فهو كافر » فهذا الأمر هو نفسه من البدعة .

وما يُستحدث في شؤون الحياة وتَطُورها لا يدخل في تعريف البدعة ، بل هو من التطور الذي يدعو إليه كتاب الله عز وجل ، فالMuslimون في عهد الخلفاء الراشدين تطورووا تطوراً هائلاً في مجال

الْعُمَرَانِ وَالصِّنَاعَةِ وَالتجَارَةِ ، وَكَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ شَهِدَتِ الدُّولَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي عَهْدِهِمْ تَقدِّمًا هَائِلًا فِي شَتَّى نَوَاحِي الْحَيَاةِ .

وقد نصح « سليمان بن عبد الوهاب » أخاه بعدم الخضوع لأوامر بريطانيا فلم يستجب له ، فألف كتاباً للرد عليه ولبيان بطلان أقواله وعدم نسبتها إلى الشريعة الإسلامية . ظهر فكر « محمد بن عبد الوهاب » هو الذي أدى إلى ظهور بدعة التکفیر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . وقد كانت الوهابية أحد ثلاثة أسفين زرعتها بريطانيا في العالم الإسلامي وهي :

* الوهابية في الجزيرة العربية .

* البابية والبهائية في إيران ثم امتدت إلى مصر .

* القاديانية في الهند .

وهذا المذهب « مذهب ابن عبد الوهاب » لم يكن ليتشرّد هذا الانتشار لو لا رعاية بريطانيا له لتحقيق مصالحها السياسية . ففي اجتماع لمجلس وزراء بريطانيا أخرج وزير خارجية بريطانيا آنذاك مصحفاً من جيده وقال : « إذا أردتم أن تصلوا إلى مصالحكم في العالم العربي والإسلامي فعليكم أن تُخْرِجُوا سلطاناً لهذا الكتاب مما بينهم ، وما دام سلطاناً لهذا الكتاب موجوداً فلن يتأتى لنا أن نصل إلى ما نبتغيه » وكانت وسليته إلى ذلك رعاية الفكر التکفيري الوهابي ليث الفرقـة بين المسلمين .

وتقوم أمريكا اليوم أيضاً برعاية المذهب الوهابي خدمةً لمصالحها في تمزيق وحدة المسلمين وبث الفرقة والخلافات بينهم . أصدر مجلس الأمن القومي الأمريكي عام ١٩٩١ تقريراً يتحدث في نصفه الأول عن خطورة هجوم الإسلام على المجتمعات الغربية بشرطها الأوروبي والأمريكي ، وخطره على الحضارة الغربية والأمريكية والأوروبية ، ويدلل على ذلك .

ويذكر في الشطر الثاني العلاجاتِ والوسائلَ التي تقي المجتمع الغربي من هذا « الأخطبوط » ويكون هذا العلاج من عدة بنود :

- ١- إثارة التناقضات في العقيدة الإسلامية .
- ٢- تأليب المسلمين بعضهم على بعضٍ فيحارب بعضهم بعضاً .
- ٣- تحويل العمالة الإسلامية في الخليج إلى عمالةٍ آسيوية غير مسلمة .

صدر هذا التقرير وببدأ البحثُ عن وسائلِ تنفيذه ، فوجدوا أن مذهب « محمد بن عبد الوهاب » أفضلُ ما يمكن أن يثير التناقضات في العقيدة الإسلامية ، ويؤلّب المسلمين على بعضهم . فأخذوا يروّجون له بكلِّ الوسائل ، وأخذ هذا الفكر يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى فكرٍ إرهابيٍّ . فتكفيرٌ كلٌّ من يسلّك سلوكاً خاطئاً يؤدي بعد ذلك إلى محاربة هذا الكافر وقتلِه .

أما الحكام فيقتلون بقتلِهم بناءً على قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، ثم يقتلون بكُفرِ كلٍّ من

مشى برَكْبِهم ، وبالتالي يُفْتُون بقتلِهم جمِيعاً ، ثم يتم دعمُ هذه الفتاوي بالمال وبوسائل القتل .

يقول برنارد لويس « اليهودي » في كتاب « الشرق الأوسط والغرب » ص ٤٤ : « إنَّ التَّغْرِيب في المنطقة العربية أدى إلى تفكيرها وتجزئتها ، وإنَّ هذا التفكير السياسي وآكِهُ تفكير اجتماعي وثقافي » .

والواقع أنَّ إلْحاقَ المنطقة بالغرب لم يكن ممكناً إلا من طريق تفكيرها وتجزئتها عن طريق إثارةِ الفتنة الطائفية ، وافتِعالِ أسبابِ الخصوماتِ والعنف . ولعلَّ من يستبعد دورَ الغرب في إشعالِ فتيلِ هذا التَّقَائُل واحدٌ من اثنين : خادِعٌ أو مَخدوع .

* * *

ما هي الشمرة التي يتغىّبها الغرب من نشر بدعة التكفير؟

هذه الشمرة تتلَّخص في الهبوط بالمجتمعات الإسلامية من مستوى الغنى الذي أكرمها الله به إلى حضيض الفقر حتى ينفرط عقدها ولا تقوم لها قائمة.

أما الإسلام الذي يثير انتشاره مخاوف القادة الغربيين فلا سبيل للحد من انتشاره - حسب نظرهم - إلا تصويره بصورة سوداء مثيرة للاشمئزاز والرعب ، حتى ترتبط هذه الصورة ارتباطاً شرطياً بالإسلام في ذهن الإنسان الغربي ، مما يجعله يبتعد عن مجرد التفكير في التعرّف على الإسلام ، فضلاً عن اعتناقه .

* * *

هل تُثْمِر محاولات نشر الفكر التکفيريّ وبِثِّ الفتنة الطائفية في بلادنا؟

لن تُثْمِر لسبَّبين :

الأول : أنَّ اللهَ تَعَالَى مَيَّرَ هذِهِ الْأَرْضَ الْمَبَارَكَةَ بِمِيزَةٍ تَقْتَضِيُّ أَنَّ تَمْرَرَ
بِهَا الْفِتْنَةُ وَالشَّدَائِدُ مَرَوِراً وَلَكِنَّهَا لَا تَتَلَبَّثُ بِهَا وَلَا تَصُلُّ إِلَى الْمَدِيَّةِ
الْمُرَادُ مِنْهَا .

الثاني : أَنَّ الْمُسْلِمَ فِي هَذِهِ الْبَلَادِ مُتَوازِنٌ بَيْنَ الْعَاطِفَةِ وَالْعِلْمِ
بِسَبِّبِ إِقْبَالِ النَّاسِ عَلَى تَعْلِمِ الدِّينِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ
الْعَامَّةِ وَالخَاصَّةِ ، مَا يَجْعَلُ الْجَامِعَ الْمُشَتَّرَكَ بَيْنَ الْمَذاَهِبِ وَالْفَئَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ يَتَغلَّبُ عَلَى الْخَلَافَاتِ .

لَذِكْرُ عَلَى الدُّولَةِ أَنْ تُعَذِّزَ هَذَا التَّوازِنُ بَيْنَ الْعَاطِفَةِ وَالْعِلْمِ عَنْ طَرِيقِ :

* تفعيل مناهج التربية الدينية بمخاطبة العقل والعلم معاً والانتقال
من النظري إلى التطبيق .

* تبيين تاريخ الإسلام والتعريف بشخص رسول الله ﷺ ومحبته
لأُمَّةِهِ ورحمته بالناس جميعاً .

* تجنيد وسائل الإعلام ومختلف الفنون لنشر هذه التربية التي
تضمن اجتناب الفتنة الطائفية .

* * *

التحذير من خطر التكفير^(١)

نرى أن المسلمين أصيروا بنكبة قل أن يوجد لها نظير ، لظهور جماعات منهم يُكفرون كُلَّ مَنْ خالفهم في الرأي في الأمور الفرعية لهذا الدين ، دون أن يعلموا الأسباب المخرجة لصاحبها عن الحنيفة السمحاء ، وتوجب الحكم عليه بالكفر لمجرد اختلاف يَسِيرٍ في الرأي ، ولو رجع ذلك المتسرع إلى كلام الله سبحانه وتعالى ولكلام رسوله ﷺ لوجد أن المصلين موحدون ، لقول الرسول ﷺ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَ الْمُصْلِحُونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ »^(٢) . وأن كل من قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ » معصوم الدم والعرض والمال امثلاً لل تعاليم الإسلامية العليا ، فقد قَبِيلَ رسول الله ﷺ هذه الكلمة العظيمة من قالها ، فقال : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْاتِلَ النَّاسَ... » إلى آخر الحديث الذي سبق ذكره ، وأعظم من ذلك ما ذكره الإمام الشوكاني في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ يَتَآمَّلُهَا الَّذِينَ إِذَا آمَنُوا إِذَا ضَرَبُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ الْسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا كَمَا

(١) هذا المقال مستخلص من كتاب : التحذير من خطر التكفير - للشيخ حسن بن محمد الهدار ، ومنقول من موقع نسيم الشام .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ، برقم ٢٨١٢ .

فَعِنَّدَ اللَّهُ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَرَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ گَاَنَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا ﴿النساء : ٩٤﴾ ، قيل : المراد بالسلام هنا الإسلام ، أي : لا تقولوا لمن ألقى إليكم الإسلام - أي : كلمته ، وهي الشهادة - : (لست مؤمناً) ، وقيل بمعنى التسليم ، وهي التحية في الإسلام ، وسبب ذلك أنّ رسول الله ﷺ بعث أبا قاتادة في سرية إلى بطن إضم على ثلاثة بُرُدٍ من المدينة في أول شهر رمضان ، وذلك أنّه ﷺ لما همّ أن يغزو أهل مكة بعثه ليظنّ ظانّ أنه ﷺ توجّه إلى تلك الناحية ، ولأن تذهب بذلك الأخبار ، فلقوا عامر بن الأضبيط فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله محلم بن جثامة ، فأنزل الله تعالى : ﴿يَتَأَمَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ الْسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء : ٩٤] ، فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يديّ رسول الله ﷺ ليسغفر له فقال رسول الله ﷺ : (اللهم لا تغفر لمحلم) ، فقام وهو يتلقّى دموعه ببرديه بما مضت له سابعة حتى مات ، فلفظته الأرض ثمّ عادوا به فلفظته الأرض ، فلما غالب قومه عمدوا إلى صدين - أي جبلين - فسطحوه ثمّ رضموا عليه الحجارة حتى واروه ، فذكروا ذلك لرسول الله ، فقال : «إِنَّ الْأَرْضَ تَقْبَلُ مِنْ هُوَ شَرُّ مِنْهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُرِيكُمْ عَظَمَ الدَّمِ عَنْهُ»^(١).

واستدلّ بهذه الآية على أنّ من قتل كافراً بعد أن قال : (لا إله إلا الله) قُتل به لأنّه عصى بها دمه وماله . وقال الصابونيّ : أي :

(١) أخرجه الطبراني في معجمة الكبير ، برقم (٤٢) .

لا تقولوا لمن استسلم لكم وأظهر الإسلام لست مؤمناً فقتلواه . وعن أسماء بن زيد رضي الله عنهما قال : (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصحبنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : (لا إله إلا الله) فكف عنه الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلتة ، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي : يا أسماء أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ قلت : يا رسول الله .. إنما كان متعمداً ، فقال : أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ ، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)^(١) متفق عليه .

إن المتسرع إلى تكفير المسلمين يرى بنظرته الضيقة أنه لم يبق مسلم على وجه البسيطة إلا هو ومن وافقه الرأي ، وأن الآخرين من المنتدين إلى هذا الدين كفار مشركون ، وأنهم حلال الدم والمال والعرض ، وحينما يصبح هذا الخطأ الفادح جزءاً من صلب عقيدة شخص فإنه خطر داهم لا يضاهيه خطر . فالمعنى وما ينتج عنه استحلال الحرمات الثلاث التي حذر منها الصادق المصدوق ﷺ في حجة الوداع ، بقوله فيما أخرجه البخاري عن واقد بن محمد قال : سمعت أبي قال : سمعت عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : ألا أي شهر تعلمون أعظم حرمة ؟ قالوا : ألا شهراً هذا ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول الله تعالى : «ومن أحياها» ، برقم ٦٤٧٨ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ، برقم ٩٦ .

فقال : ألا أيّ بلد تعلمونه أعظم حرمة ؟ قالوا : ألا بلدنا هذا ، قال : ألا أيّ يوم تعلمونه أعظم حرمة ؟ قالوا : ألا يومنا هذا . قال : فإنَّ الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دمائكم وأموالكم وأعراضكم إلَّا بحقّها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، ألا هل بلّغت « ثلاثةً » كل ذلك يجيئونه : ألا نعم)^(١) .

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ظهر المؤمن حمى إلَّا في حد أو حق ، برقم ٦٤٠٣ .

السّلف الصّالح

وممّا يندى له الجبين وأدھى من ذلك وأمرَ أنَّ ألسنة هؤلاء الجهاّل من حدثاء الأسنان يُطلقونها على السّلف الصّالح ، ممّن نقلوا هذا الدين وأفروا كلَّ أعمارهم في الذبّ عن شريعة سيد المرسلين ﷺ ، أولئك الأفذاذ الذين خدموا السنة فوصلت إلينا بقضاء نقية أمثال الإمام أبي حنيفة الذي وصفوه بأنَّه جهنميٌّ مرجئيٌّ ، وأنَّه مبتدع ضالٌّ شؤم على الإسلام وأهله ، وكذا الإمام النووي وابن حجر العسقلانيّ ، والإمام الغزالى والجندى وإبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض ، وسهل التسترى ، والإمام الذهبيّ ، وسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام ، وابن كثير ، وابن الفارض ، وغيرهم ، رضي الله عنهم . وذلك بشتائم يخجل القلم عن تسطيرها وبألقاب شنيعة يعاوها كل من يسمعها ، وذلك عبر كتبهم وأشرطتهم ، ناهيك عن الشتائم الموجّهة للعلماء المعاصرين ، والذين لا زالت آثارهم واضحة للعيان ، ممّن بذلوا أرواحهم وأعمارهم رخيصةً في سبيل الله ، والنتيجة من هذا كله العلم بأنَّ مؤامرات أعداء الإسلام لازلت ليل نهار تنصب على ساحات العمل الإسلاميّ ، وإذا ببطاقات التكفير والتبديع والتفسيق توزّع كما يَهْوَى أولئك الناس فيمحاكم من أغرب المحاكم على ممرّ التاريخ ، حيث يتمُّ ذلك دون تأكّد أو علم أو شهود أو أن يسمعوا ممّن يعادونه كلمةً واحدةً من أنه يستحقُ ذلك

اللقب الشنيع الذي أنيط به ، وبدلاً من التراحم عليهم امثalaً لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا إِحْوَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَيْهِمْ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] ، بدلاً من ذلك نرى البعض يرميهم بالكفر والشرك والضلال ، محتجًا بأنّ عمله المشين ما هو إلا ضِمنَ الجرح والتعديل ، ومتى كان بجهله وغروره من فرسان ذلك الميدان ؟ ! لقد بلغ من غرور تلك الفئة أن جَعَلَتْ من نفسها بديلاً للمدارس الفقهية والفكرية والمذاهب الإسلامية التي خدمت الإسلام منذ مئات السنين ، وقدّمت نفسها بديلاً لها ، بل قدّمت نفسها وكأنّها الإسلام الصحيح وأهل السنة والجماعة والفرقة الناجية . وأعلنت أنّ ما سواها ما هو إلا باطل وهباء إلى غير ذلك من ألقاب في غير موضعها . فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

* * *

النبي ﷺ يحذر من التكفير

ورد في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيْمَا رَجُلٌ قَالَ لِأَخِيهِ : (يَا كَافِرَ) فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ »^(١) ، وأخرجا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ دَعَا رَجُلًا : (يَا كَافِرَ) أَوْ (عَدُوَّ اللَّهِ) وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ » ، وأخرج أبو يعلى عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ رَجُلًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ حَتَّى رَؤْيَتْ بِهِ جَهَنَّمَ » ، وكان رداءه الإسلام ، انسلاخ منه ونبذه وراء ظهره ، وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك ، قال : قلت : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيَّهُمَا أَوْلَى بِالشَّرِكِ الْمَرْمِيِّ أَوِ الرَّامِيِّ ؟ قال : الرَّامِي » قال الحافظ ابن كثير إسناده جيد . وروى الخرائطي والديلمي وابن النجّار عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « مَا شَهِدَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ بِكُفْرٍ إِلَّا بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَافِرًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فَقَدْ كَفَرَ بِتَكْفِيرِهِ إِيّاهُ » ، وروى ابن حبان في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « مَا كَفَرَ رَجُلٌ رَجُلًا قَطًّا إِلَّا بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا » ، وروى الطبراني عن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا قَالَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، برقم ٥٧٥٣ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، باب بيان حال إيمان من قال لأنّيه المسلم يا كافر ، برقم ٦٠ .

الرجل لأنّيه : (يا كافر) فهو كقتله ، ولعن المؤمن كقتله » ، والأحاديث في ذلك كثيرة ومتواترة ، فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتاب (شرح مسلم) للإمام النووي و(رياض الصالحين) وشرحه (دليل الفالحين) وكتاب (الإعلام بما يقطع الإسلام) و(الزواجر عن اقتراف الكبائر) وغيرها من كتب الحديث .

حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة : لقد بين الرسول الكريم ﷺ حرمة المسلم في الدين الإسلامي الحنيف وعظم قدره عند الله سبحانه وتعالى ، فقال محدراً لمن يتهاون بحرمات المسلمين وينتهك أعراضهم فيما يرويه عبد الله بن عمر قال : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه وأن نُنْهَنَّ به إلّا خيراً »^(١) .

العبادة : والمسلمون متّحدون في أصل العبادة ، فالنطق بالشهادتين والصوم والصلوة والحجّ والزكاة والتوجّه إلى القبلة متّفق عليه من قبل المسلمين أجمعين ، وليس فيه خلاف يذكر ، وإنّما الخلاف في أمور فرعية لا تستحق كل هذا الضجيج وكل هذه العادات .

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه في سنته ، باب حرمة دم المؤمن وماله ، برقم (٣٩٣٢) .

كلمةأخيرة

قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحُوكُمْ يُنْعَمُونَ إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيْتِيَهُ لَعْلَكُمْ تَهَدُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٣] ، وقال رسول الله ﷺ : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتواددهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »^(١) .

لذلك كله أوجّه ندائى ورجائى إلى كلّ مسلم له أدنى نصيب من التّوفيق والتفكير بأن يكفّ عن إثارة العداوة بين المسلمين على أمور فرعية ، فتمزيق صفوف المسلمين أمر في غاية الخطورة ، قام بالتحطيط له أعداء الله ونفّذوه بمؤامراتهم المتواصلة سرّاً وجهاً ، ومعلوم أنّ المثير للفرقة والعداوة بين المسلمين ما هو إلاّ عامل مساعد لهم ولما يهدفون إليه من تمزيق وتحطيم لكلّ القيم الإسلامية أجمع ، بدايةً بإثارة العداوة والبغضاء في المساجد ، وانتهاءً بتفتت الكيان الإسلامي لا سمح الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفَشُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأفال : ٤٦] ، كما لا يخفى ما في التنازع والجدال من إثم عظيم وخطر كبير ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب رحمة الناس والبهائم ، رقم (٥٦٥) .

ففي الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال : « دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، هي الحالقة ، أما إني لا أقول : نحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين »^(١) .

نَسأَلُ اللَّهَ تَوْفِيقَهُ وَسَدَادَهُ وَأَنْ يَرِينَا الْحَقَّ حَقًّا وَيَرِزَّقَنَا اتَّبَاعَهُ ، وَأَنْ يَرِينَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَيَرِزَّقَنَا اجْتِنَابَهُ .

* * *

(١) أخرجه الترمذی في سننه ، باب (٥٦) برقم (٢٥١٠) .

(١) الخاتمة

ونختم بنصيحة لفئات تنهض اليوم بواجب التعريف بالخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا تعلم الحق إلا ذاك الذي هدته إليه عصبيتها ، أو طالعها عليه مزاجها أو اقتضاه تحزبها أو دعته إليه مصالحها ، ذلكم هو الحق فيما يعرّفون الناس به وفيما يدعون إليه ، فإن تنكب متنكب عن هذا الذي يدعونهم إليه اتهموا بالفسق أو الابداع ، وربما اتهموا بالتكفير وربما أهدروا دماءهم . ميزان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو الثواب المستقرة في كتاب الله سبحانه وتعالى وهدي محمد ﷺ ، فلقد رأينا في هؤلاء الناس من يوزعون تهم الفسق والابداع - وربما التكبير - على كثير من الناس رشًا دون تفصيل ودون تبيان ودون استثناء .

وأقول لهؤلاء الإخوة : إن علماء الشريعة الإسلامية عندما وصفوا الناس الذين ينبغي أن ينهضوا بهذا الواجب وصفوهم بصفات في مقدمتها الرحمة بعباد الله ، في مقدمتها أن يكونوا ربانين ، في مقدمتها أن تكون قلوبهم أوعية لمحبة الله ، لتعظيم حرمات الله ، في مقدمتها أن تكون لهم ساعات عهد ولقاء مع الله في الأحسار ، تلك

(١) مستخلصة من خطبة للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى بتاريخ : ٢٣/٠٣/٢٠١٢ .

هي صفات الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى ، فلماذا ننظر فنجد أن في الدعاء من يتصفون بنقائص هذه الصفات ؟ ننظر إلى كتاب الله فنجد أنه يبشر عباد الله سبحانه وتعالى بالغفرة ، وننظر إلى أحاديث رسول الله ﷺ وإذا هي الأخرى تبشر بالغفرة ، يقول الله عز وجل :

﴿ قُلْ يَعْبُدُ إِلَّا مَا ذَرَّ أَنَّ أَسْرَفُوا عَلَيْهِ أَنفُسُهُمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الْذُنُوبَ جَمِيعًا إِنَّمَا هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

ويروي الشیخان من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » ^(١) .

روى الحاکم في مستدرکه وأبو داود من حديث معاذ أن رسول الله ﷺ قال : « من كان آخر کلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » ^(٢) .

يروي النسائي من حديث أبي عميرة الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنني رسول الله لا يلقى الله يوم القيمة عبدٌ يؤمن بهما فتمسه النار » .

يروي الحاکم في مستدرکه بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب » ^(٣)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ، برقم (١٢٩) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً بالله دخل النار ، برقم (٩٣) .

(٢) أخرجه الحاکم في مستدرکه ، برقم (١٢٩٩) ، وأخرجه أبو داود في سننه ، باب في التلقين ، برقم (٣١١٦) .

(٣) أخرجه الحاکم في مستدرکه ، برقم (٧٦٤٩) .

وفي رواية بزيادة « لا يُدرى أولها خير أم آخرها خير » .

ويروي مسلم في صحيحه وأحمد وأبو داود من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يموتمن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن »^(١) .

يروي مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلükهم »^(٢) وفي رواية : « من قال هلك الناس فهو أولهم هلاكاً » .

يا هذا ، لماذا تدعوا الناس إلى الله عز وجل بقلب مليء بالضغائن ، مليء بالأحقاد ، مليء بسوء الظن ؟ لماذا تدعوا الناس إلى الله وأنت موقن - لا ظان - بأنك أنت وحدك على الحق ، أنك من الفئة الناجية وأن كل من خالفك اجتهادك وخالفك منهجك الذي تتبعه فهو ضال ، وربما كان كافراً ، وربما أهدرت دمه ؟ كيف يا أخي ؟ أموقن أنت أن هؤلاء الذين تتهمهم بما شئت من الفسق والابتداع بل الكفر ، أموقن أن الواحد منهم لن يصبح في الغد القريب خيراً مني ومنك ؟ أموقن أنت - وأنت تعتمد بنفسك - أنني وإياك عندما نمتد على فراش الموت ونعالج برحاءه لن تنسينا برحاء الموت شهادة أن لا إله إلا الله ؟ أموقن أنت بهذا حتى تُصنَّف نفسك وحتى أُصنَّف نفسي معك

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، برقم (٢٨٧٧) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب النهي عن قول هلك الناس ، برقم (٢٦٢٣) .

في الناجين من عباد الله ؟ وحتى نُصَنِّف التائبين مع الكفرة ، مع الفاسقين ، مع الفجرة ؟

من كان فضيل بن عياض يا أخي ؟ ألم يكن قاطع طريق ؟ ألم يكن مرتکباً للفواحش ؟ إلام آل أمره بعد ذلك ؟ ألم يكن واحداً من كبار الربانيين ، من كبار عباد الله الصالحين ؟

من كان بشر الحافي ؟ ألم يكن مسرفاً على نفسه ؟ ألم تكن الدنيا قد أسكرته بأهواءها وشهواتها ثم إنه آل إلى الإنسان الذي ضرب به المثل في التقوى وفي البعد لا أقول عن المحرمات بل عن الشبهات وبالورع العجيب ؟

من كان عبد الله بن المبارك وإلام آل أمره ؟ أموقن أنت يا أخي أنني وإياك إذا حانت سكرة الموت سبقي على هذه الحالة ، على هذه الاستقامة ؟ إذاً فأنت تأمن مكر الله ، والله يقول :

﴿فَلَا يَأْمُنُ مَكْرُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّمِيرُونَ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

ألم تسمع حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه : (ي جاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه في النار فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت أمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهَاكم عن المنكر وآتيه)^(١) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب صفة جهنم ، برقم (٣٢٦٧) .

أموقن أنت يا أخي أبني وأنت لن تكون غداً إذا قام الناس لرب العالمين من هؤلاء الفئات؟!

ربنا سبحانه وتعالى فتح باب رحمته لعباده جمِيعاً وجلبهم إليه بهذه الرحمة ، ورسولنا الحبيب ﷺ يقول : « بشروا ولا تنفروا » **أَنْفَرْ بَدْلًا** من أن **نُبَشِّرْ**؟ ! ويقول حبيبينا محمد ﷺ : « يسروا ولا تعسروا » **(١)** **أَنْعَسْرُ وَلَا نَيْسَرْ**؟ !

العلاج الذي يسمى بالإنسان فوق هذا المنحدر ، العلاج الذي يجعل بالإنسان قائماً بواجب التعريف بالخير والأمر به ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن يقع في هذا الحضيض أن نزكي قلوبنا ، وأن نبذل كل ما نملك من جهد لغرس محبة الله بين جوانحنا ، محبة الله عز وجل إذا غرست في أفئدتنا طردت حظوظ النفس ، طردت الشهوات والأهواء ، طردت الأنانية الشخصية والأنانية الحزبية ، طردت ذلك كله وتحول القلب إلى وعاء نقى صافٍ من الأدران ينبض بحب واحد لا ثاني له ألا وهو الله .

ما أدركك إذا رأيت الفاسق والفاجر أن الله سبحانه وتعالى سيغمده يوم القيمة ويستره كما ستره في دار الدنيا ؟ ألم تسمع بحديث رسول الله ﷺ الصحيح : (إن الله يداني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى يقرره بذنبه ، ورأى في نفسه أنه هلك ، قال : سترتها

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفيذ ، برقم (١٧٣٢) .

عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم)^(١) لماذا لا نتخلق بأخلاق الله ؟
 لماذا لا نملأ قلوبنا رحمة بعباد الله ؟ لماذا لا نجني من هذه الرحمة
 الوسيلة التي نجذب بها الناس إلى حمى الله سبحانه وتعالى .

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول الله تعالى ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ ، برقم ٢٤٤١ .

الإخوان المسلمين
(النشأة والحقائق)

الجزء الأول

المحتوى

١١٣	الإخوان المسلمون - قراءة في البدایات
١١٦	أبرز العلامات المميزة لجماعة الإخوان المسلمين
١٢٠	حسن البناء والسياسة
١٢١	الرثيق الإخواني
١٢٣	العنف والإخوان
١٢٩	البدایات المشبوهة للإخوان
١٣٣	الممارسة العملية لنظرية فصل الأقوال عن الأفعال
١٤١	حقائق إرهابية تاريخية
١٤٤	الدين والشريعة والواقع والمنطق يحاربون الإخوان
١٤٦	التداعيات
١٤٨	تداعيات التداعيات
١٥٠	ختاماً

الإخوان المسلمون قراءة في البدايات

(نحن إخوة في الإسلام ، ومن ثم فنحن الإخوان المسلمين)

هذا هو الشعار الذي قاله حسن البنا لأتباعه مُعلنًا تشكيل جماعة
الإخوان المسلمين .

تاريخ الميلاد : شهر ذي القعدة عام ١٣٤٧ هـ المصادف آذار
١٩٢٨ م .

الهيكل القيادي : مكتب الإرشاد ، ويعمل تحت إمرة المرشد العام ، وهو بمثابة مجلس الشورى . لكن صالح العشماوي - أحد قادة الجماعة - يقول وهو يمدح المرشد : « عند أول عهدي بعضوية مكتب الإرشاد ثار البحث ، هل الشورى في الإسلام مُلزمة أم غير ملزمة ؟ أي هل يتقييد فضيلة المرشد العام برأي مكتب الإرشاد ، أم أن المكتب هيئه استشارية له أن يأخذ برأيها أو يخالفه إن شاء ؟ وكان رأي المرشد أن الشورى غير ملزمة ، وأن من حقه مخالفة رأي المكتب »^(١) .

لذلك يعتبر المرشد العام في فكر الحركة مُشرع له حقوق لا تكون لغيره ، وهذا المنهج هو المتبوع حتى في عصرنا الحاضر .

(١) « الإخوان المسلمون صحوة أمة » لصالح العشماوي - دار الرواد - ١٩٦٢ م - ص ٨٣ .

ال بدايات المالية : أول تبرع مالي تلقته الجماعة كان من شركة قناة السويس الفرنسية ، وقد أكد حسن البنا ذلك وقال : « إن التبرع كان خمسمائة جنيه ، وهو مبلغ كبير بمقاييس هذا العصر ، وعند حل الجماعة عام ١٩٤٨م اتضح أنها كانت أغنى الجمعيات والأحزاب السياسية في مصر »^(١) .

طبيعة الجماعة : حرص حسن البنا على أن يُضفي صبغة ضبابية على الجماعة ، وألا يُقدم تفسيراً واضحاً لأهدافها أو طبيعتها ، حتى يُوَاءِمْ بينها وبين تقلبات الأحوال ، حيث قال حسن البنا : « أيها الإخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ، ولا حزباً سياسياً ، ولا هيئة موضوعية الأهداف محدودة المقاصد ، ولكنكم روح جديد يسري في قلب الأمة »^(٢) .

ولاشك أن مثل هذا عبارة مطاطة لا يمكن الإمساك بأيّ من أطرافها ، وهي **واضحة الغموض والضبابية** ، وهذا هو شأن الإخوان .

البرنامج : سُئل حسن البنا عن البرنامج فقال : « ولم البرنامج ؟ إنه **يُفرِّقُنا** » ، واكتفى بعبارة عامة : « القرآن دستورنا ، والرسول زعيمنا »^(٣) .

(١) « الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية - شبهات وردود » د . توفيق الوعي - الشبكة الدعوية .

(٢) المصدر السابق .

(٣) « الإخوان تاريخ وانتماء » د. فتحي ملکاوي - دار الرشيد - بغداد - ٤٢٠٠م - ص ١١٢ .

ولقد بقي حسن البناء في بداية الأمر ينكر أن لجماعته علاقة بالسياسة ، لكنه ما أن قوي عود جماعته حتى أعلن على صفحات مجلة « النذير » : « أن الجماعة سوف تنتقل من دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال » ، وتوجه إلى أتباعه مُتحداً عن السياسيين جميعاً قائلاً : « ستخاصمون هؤلاء جميعاً في الحكم وخارجه خصومة شديدة لدية إن لم يستجيبوا لكم »^(١) .

ولم يلبث حسن البناء أن صارح الجميع بهدفه الأساسي ، وهو أنه يطمح إلى الحكم ليُقيِّم دولة دينية ، وقال : « الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة رُكناً من أركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد ، والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول ، فالإسلام حُكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء » .

وقال أيضاً : « الذين يقولون أن تعاليم الإسلام إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون ، فالإسلام عبادة وقيادة ، دين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلوة وجihad ، ومصحف وسيف ، لا ينفك أحدهما عن الآخر »^(٢) .

وبغير ذلك لم يقل البناء ، لم يقل ما موقف جماعته من مشكلات الحياة اليومية ولا من الجديد فيها ، فقط عموميات لا يمكن الإمساك بشيء منها .

(١) « مجموع رسائل حسن البناء » - الشبكة الدعوية للإخوان - ص ٩٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩ .

أبرز العلامات المميزة لجماعة الإخوان المسلمين

تميزت جماعة الإخوان المسلمين عن غيرها من القوى السياسية المعاصرة بـ علامتين مميزتين أساسيتين : البيعة ، والجهاز السري .

أما عن البيعة فقد استند فيها حسن البناء إلى حديثين شريفين : الأول يقول : (مَنْ ماتَ وَلَيْسَ فِي عَنْقِهِ بَيْعَةً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)^(١) .

والثاني يقول : (مَنْ بَاعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صِفْقَةً يَدَهُ وَثَمَرَةً قَلْبَهُ فَلِيُعْطِهِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخَرَ يَنْازِعُهُ فَاضْرِبُوهُ عَنْقَ الْآخَرِ)^(٢) .

واستند أيضاً إلى أقوال أبي الأعلى المودودي : « لا يتتخب للإمارة إلا من كان المسلمين يثقون به ، وبسيرته وبطبياعه وبخلقه ، فإذا انتخبوه فهو ولی الأمر المطاع في حكمه ، ولا يعصى له أمر ولا نهي »^(٣) .

ويقول أن الإمام أو الأمير من حقه أن يُملي رأيه حتى على الأغلبية ، « فالإسلام لا يجعل من كثرة الأصوات ميزاناً للحق والباطل ، فإنه من الممكن في نظر الإسلام أن يكون الرجل الفرد

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - برقم (٧٦٩) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده - برقم (٦٥٠١) .

(٣) « الإخوان - حقائق وأوهام » عبد الحميد السراج ص ٢١١ - ط ٢ - دار الريان - القاهرة

١٩٧٦ م .

أصوبَ رأياً وَاحِدَّ بَصراً من سائر أعضاء المجلس «^(١)».

وقد بايع الأتباع إمامهم بيعة كاملة في المنشط والمكره ، وعاهدوه على السمع والطاعة ، ولم يكن حسن البناء يُخفي ذلك على الناس ، فهو لم يكن يقبل منهم بأقل من السمع والطاعة دون نقاش . وقال : «يجب على الأخ أن يُعدَّ نفسه إعداداً تاماً لِيلَّيْ أمْر القائد في أية ناحية ، إن الدعوة تتطلب منا أن نكون جُنوداً طائعين بقيادة موحدة ، لنا عليها الاستماع للنصيحة ، ولها علينا الطاعة ، كل الطاعة في المنشط والمكره ». وأيضاً : «يتعين على العضو الثقة بالقائد ، والإخلاص والسمع والطاعة في العسر واليسر»^(٢).

وهنا يظهر جلياً أن سيطرة البناء على أتباعه كانت مطلقة وكاملة ، وتصل إلى درجة السحر !

وتتصف الأمر جريدة مصرية فتقول في تهكم واضح : «إذا عطس المرشد في القاهرة ، قال له الإخوان في أسوان : يرحمكم الله » ، ولقد ترتب على البيعة بمفهوم البناء أنه ليس مسموحاً بالخلاف مع المرشد ، بل إن كلمة «ليس مسموحاً» هذه ليست أمراً معنوياً فحسب ، وإنما كان العنف والإرهاب المعلن والتباكي به سبيلاً لفرضها .

فمنذ البداية دَبَ الخلاف في شعبة الإماماعيلية «مكتب

(١) «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ - رؤية من الداخل» لـ محمود عبد الحليم - جزء ٢ - ص ١١٧ .

(٢) «مجموع رسائل حسن البناء» - الشبكة الدعوية - ص ٥٦ .

الإخوان» ، وحاول البعض التمرد على البناء ، وأبلغوا النيابة العامة ضده في مخالفات مالية ، فكان رد فعل البناء عنيفاً ، فقد جمع عدداً من أتباعه واعتدوا على المخالفين بالضرب .

ويعرف البناء بذلك ويتباهي به ، ويُبرره بأن «المخالفين قد تلبسهم الشيطان وزين لهم ذلك ، وأن من يشق عصا الجموع فاضربوه بالسيف كائناً من كان» ، ويتأسف البناء على رفض البعض لضرب المخالفين وردعهم قائلاً : «إننا قد تأثرنا إلى حد كبير بالنظم المائعة التي يَسْتَرُونَها بِالْفَاظِ الْدِيمُقْرَاطِيَّةِ وَالْحُرْيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ»^(١) .

أما العالمة المميزة الثانية فهي الجهاز السري الذي مارس عمليات إرهاب وقتل كانت البداية والنموذج والقدوة للإرهاب المتسلّم . وقد تدرج الفكر التنظيمي لحسن البناء في سلاسة ويسراً ليصل إلى هذا الهدف غير المعلن ، فبدأ «بالجوالة» بهدف تعويد الإخوان على النظام شبه العسكري ، وتدريبهم على الطاعة التامة والتfanي المطلق .

ثم كانت «كتائب أنصار الله» وهي مجموعات تضم كل منها أربعين عضواً من الأعضاء النشطين في الجماعة ، يلتقيون معاً ليلة كل أسبوع ، حيث يقضون الليل في العبادة والتلاوة ، والعيون اليقظة تتبع ذلك لتفرز منه من يَصلُحُونَ للجهاز الخاص .

ولقد أنكر البناء طويلاً أنه يوجد ثمة جهاز خاص ، ونفى ذلك نفياً قاطعاً ، بل لقد وصف القائمين بأعمال النسف والتفجير والقتل عام

(١) «الإخوان المسلمون - أوراق تاريخية» لإبراهيم زهمن - دار الشروق - القاهرة - ط - ٢ - ٥٨ ص ١٩٩٧ .

١٩٤٨ - ١٩٤٩ بأنهم : « ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين » .

وظلت الجماعة على إنكارها لوجود الجهاز الخاص حتى بِرغم اعترافات عشرات - بل مئات - من أعضائه أمام محكمة الشعب ، وقيل ساعتها : أنها أكاذيب أمليت وترددت تحت وطأة التعذيب .

« ثم لا تلبث الحقيقة أن تظهر عندما يتنافس رجال الإرهاب الإخواني القدامى في كتابة مذكرات يحاول كل منهم أن ينسب إلى نفسه أكبر قدر من القتل والإرهاب ، فكانت مذكرات « صلاح شادي ، أحمد عادل كمال ، عبد المنعم عبد الرؤوف ، محمود الصباغ » وقد اعترفوا جميعاً بأعمال إرهابية بشكل مثير للدهشة ، لأنهم تحدثوا في تباٍ وتمجيد للفعل الإرهابي ، مؤكدين انتسابهم إلى الجهاز السري والتزامهم بصيغته وأهدافه »^(١) .

* * *

(١) « شبهات حول الإخوان » د . عطفة أبو السيد - دار النهضة - مصر - ط ١ - ٢٠٠١ م - ص ٦٩ .

حسن الـبـنـا والـسـيـاسـة

لقد ظل حسن الـبـنـا طوال عشر سنوات كاملة يُنـكـر أـيـة صـفـة سـيـاسـيـة لـجـمـاعـتـه ويـؤـكـد فـي إـلـحـاح أـنـه لا عـلـاقـة لـه بـالـسـيـاسـة ، وـلـكـنـه مـا إـنـ شـعـرـ بالـقـوـةـ وـبـضـعـفـ الـآخـرـينـ حـتـىـ جـاـهـرـ بـدـورـهـ السـيـاسـيـ : « الدـيـنـ شـيـءـ وـالـسـيـاسـةـ غـيـرـهـ .. دـعـوـىـ نـحـارـبـهـاـ بـكـلـ سـلاـحـ » .

ثـمـ مـاـ لـبـثـ أـنـ قـالـ : « أـسـتـطـعـ أـنـ أـجـهـرـ بـصـراـحةـ بـأـنـ الـمـسـلـمـ لـاـ يـتـمـ إـسـلـامـهـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ سـيـاسـيـاـ بـعـيـدـ النـظـرـ فـيـ شـؤـونـ أـمـتـهـ مـهـتمـاـ بـهـاـ غـيـرـاـ عـلـيـهـاـ » .

لـكـنـ الـأـمـرـ لـاـ يـكـونـ مـسـتـقـيمـاـ أـبـداـ مـعـ حـسـنـ الـبـنـاـ .

فـهـوـ يـعـودـ لـيـغـمـضـ القـولـ : « هـلـ نـحـنـ طـرـيقـةـ صـوـفـيـةـ ،ـ مـؤـسـسـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ ،ـ حـزـبـ سـيـاسـيـ ؟ـ » وـيـجـيـبـ عـلـىـ هـذـهـ اـسـئـلـةـ بـالـنـفـيـ مـؤـكـدـاـ : « نـحـنـ دـعـوـةـ الـقـرـآنـ الـحـقـ الشـامـلـ » .

لـكـنـهـ لـاـ يـلـبـثـ أـنـ يـعـودـ لـيـؤـكـدـ : « إـنـ إـلـخـوانـ دـعـوـةـ سـلـفـيـةـ ،ـ طـرـيقـةـ صـوـفـيـةـ ،ـ هـيـةـ سـيـاسـيـةـ ،ـ جـمـاعـةـ رـياـضـيـةـ ،ـ رـابـطـةـ ثـقـافـيـةـ ،ـ شـرـكـةـ اـقـتـصـادـيـةـ ،ـ فـكـرـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ »^(١) .

* * *

(١) « دـعـةـ الـوـهـمـ -ـ إـلـخـوانـ نـمـوذـجاـ » دـ.ـ فـتـحـيـ مـلـكـاويـ -ـ صـ ١٨٦ـ ١٨٧ـ طـ ٣ـ -ـ دـارـ نـهـضةـ مـصـرـ .

الزئبق الإخواني

متى تستطيع أن تُمسك بالزئبق ؟ فَحسن البناء يعود لينفي ما قال : « أيها الإخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ، ولا حزباً سياسياً ، ولا هيئة موضوعية للأغراض محدودة المقاصد ، ولكنكم روح جديد ونور جديد ، وصوت داٍو »^(١) .

ومع ذلك فإن أحداً لا يُنكر أن الإخوان قد تدخلوا في السياسة ، وشاركوا في غمارها مشاركة كاملة . وحتى في المبادئ الجوهرية كان الإخوان يتلاعبون تلاعب السياسيين غير المبدئيين .

فبعد أن يُوجه البناء نقداً شديداً للدستور قائلاً : « إن فيه ما يرهى الإخوان مُبهمًا غامضاً يدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير الذي تُعملية الغايات والأهواء » . لكنه يعود فيتراجع تحت ضغط قيل أنه قد أتى من القصر الملكي ليعلن : « إن الدستور بروحه وأهدافه العامة لا يتناقض مع القرآن ، وإنما نحتاج إلى تعديل منه يمكن أن يُعدل بالطريقة التي رسّمها الدستور ذاته »^(٢) .

ويؤكد : « وما كان لجماعة الإخوان المسلمين أن تُنكر الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصر ، ولا أن

(١) صحيفة عكاظ السعودية - عدد ٥٨١ - عام ١٩٨١ .

(٢) « الإخوان المسلمون - كبرى الحركات الإسلامية - شبّهات وردود » د. توفيق الوعاعي - ص ٩٣ .

تُحاول الطعن فيه ، ما كان لها أن تفعل ذلك وهي جماعة مُؤمنة مخلصة تعلم أن إهاجة العامة ثورة ، وأن الثورة فتنة ، وأن الفتنة في النار »^(١) .

ولكن لعبة السياسة عند البناء استمرت على هذا المثال ، قول ونقضه في آن واحد ، وإن كان الخط الثابت هُوَ المُناورة بين الجميع ، والتلاء بالجميع ، غير أن البناء أدرك وإن متأخراً أن الجميع كانوا يتلاعبون به ، بينما يتخيل هو أنه تلاعب بهم . وبهذا نكتفي في مجال السياسة ، بكل الخطى متشابهة .

* * *

(١) المصدر السابق .

العنف والإخوان

والعنف هو النتيجة المفترضة للخلط المتعمد بين الدين والفكر الديني ، وبذرته الخبيثة موجودة منذ البدايات الأولى للجماعة .

فعندما أصدرت جماعة الإخوان مجلتها « التذير » ، تعجل عبد الرحمن الساعاتي والد المرشد العام حسن البنا في أن يجعلها نذيراً للجميع ، فكتب في عددها الأول مقالاً عنوانه : « استعدوا يا جنود » ، يقول فيه : « استعدوا يا جنود ، ولیأخذ كل منكم أهبته ، ویعد سلاحه ، ولا یلتفت منکم أحد ، امضوا إلى حيث تؤمرون » .

ثم يقول : « خذوا هذه الأمة في رفق ، فما أحوجها إلى العناية والتدليل ، وصفوا لها الدواء ، فكم على ضفاف النيل من قلب يُعاني وجسم عَلِيل ، اعکفوا على إعداده في صيدليتكم ، ولتقم على إعطائه فرقة الإنقاذ منکم ، فإذا الأمة أبت فأوثقوا يديها بالقيود ، وأثقلوا ظهرها بالحديد ، وجرعواها الدواء بالقوة ، وإن وجدتم في جسمها عضواً خبيثاً فاقطعوه ، أو سرطاناً خطيراً فازيلوه . استعدوا يا جنود ، فكثير من أبناء هذا الشعب في آذانهم وقر ، وفي عيونهم عمي »^(١) .

والعنف هنا مقصود لذاته بل هو السبيل الوحيد ، فحسن البنا

(١) « الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية - شبهات وردود » - د . توفيق الوعاعي - الشبكة الدعوية .

يقول : « وما كانت القوة إلا كالدواء المُر الذي تحمل عليه الإنسانية العابثة المتهدلة حملاً ليرد جماحها ويكسر جبروتها وطغيانها ، هكذا كانت نظرية السيف في الإسلام . لم يكن السيف في يد المسلم إلا كالمشرط في يد الجراح لجسم الداء الاجتماعي »^(١) .

بل إنهم يعتبرون - وحتى أكثرهم اعتدالاً - أن القتل سلاح في العمل السياسي يمكن لأحد الناس أن يوقعه متى اعتقد أنه يقيمه الحد .

وما من مجال لسرد كل الدعاوى الإخوانية التي تقرر أن العنف والإرهاب هو أساس الدعوة وجوهرها ، فلقد يحتاج الأمر إلى مجلدات . فقط ندعو القارئ إلى قراءة الكتب الآتية التي أصدرها قادة بارزون من الجماعة ، بل لعلهم كانوا أبرز القادة الفعليين ، فهم قادة الجهاز السري الذي كرس الإرهاب المتسلّم في مصر .

* أحمد عادل كمال « النقط فوق الحروف » ويقول فيه : جماعة دون عنف يحميها .. تهريج .

* صلاح شادي « حصاد العمر » ويورد مئات الوقائع عن ارتكاب أعمال إرهابية .

* عبد المنعم عبد الرؤوف « أرغمت فاروق على التنازل عن العرش » وفيه يؤكد أن الإخوان هم الذين حاولوا اغتيال عبد الناصر في حادث المنشية ، ويورد تفاصيل الترتيبات .

(١) « مجموع رسائل حسن البنا » - الشبكة الدعوية - ص ٨٩ .

* محمود عبد الحليم « الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ » وفيه يؤكد أن رئيس الجهاز السري للإخوان عبد الرحمن السندي هو الذي دبر قتل نائبه سيد فايز ، ويقول : « وقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن هذه الجريمة الأثيمة كانت بتدبير السندي » .

وإذ يطالع القارئ هذه الكتب أو حتى واحداً منها سيجد فيضاً من المعلومات والأدلة والاعترافات والاتهامات المتبادلة التي تكفي وتزيد لإقناعه بأن جماعة الإخوان كانت المصدر الأساسي للإرهاب المتأسلم في العصر الحديث .

ولكن لنتوقف أمام كاتب إخواني من قادة الجهاز السري ، نتوقف أمامه لأنه الأصرح والأوضح ، وربما الأفصح ، إنه « محمود الصباغ » ، ونقرأ : يبدأ عضو الجهاز الخاص بالبيعة « يدخل إلى حجرة مطفأة الأنوار ، ويجلس على بساط في مواجهة أخي في الإسلام مغطى جسده تماماً من قمة رأسه إلى أخمص قدمه برداء أبيض ، ثم يخرج من جانبه مسدساً ويطلب من المبایع أن يتحسسه ، وأن يتحسس المصحف الشريف ، ثم يقول له : فإن خنت العهد أو أفشيت السر ، فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك ، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير »^(١) .

ما معنى « إخلاء سبيل الجماعة منك ؟ » تأتي الإجابة في صفحة أخرى عندما يورد الصباغ نصوص لائحة الجهاز الخاص ، الجهاز

(١) « الإخوان - التأصيل والتحريف » وليد عبد النبي السبكي - ص ٩١ - ط٤ - دار الوفاء بالقاهرة .

السري لجماعة الإخوان - م ١٣ : « إن أية خيانة أو إفشاء سر بحسن قصد أو بسوء قصد يعرض صاحبه للإعدام ، وإخلاء سبيل الجماعة منه ، مهما كانت منزلته ، ومهما تحصن بالوسائل ، واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة »^(١) .

بل إنه يعطي لنفسه ولزملائه الحق في القتل المباشر دون إذن من القيادة ، « إن أعضاء الجهاز يمتلكون - دون إذن أحد - الحق في اغتيال من يشاؤون من خصومهم السياسيين ، فكلهم قارئ لسنة رسول الله ﷺ في إباحة اغتيال أعداء الله »^(٢) . فقط نلاحظ أن « خصومهم السياسيين » هم أعداء الله ويباح اغتيالهم .

بل إن الصياغ يُغالِي فيقول : « إن قتل أعداء الله - أي الخصوم السياسيين للجماعة - هو من شرائع الإسلام ، ومن خَدَعَ الحرب فيها أن يُسْبِبُ المجاهد المسلمين وأن يضلّل عدو الله بالكلام حتى يتمكن منه فيقتله »^(٣) .

يبقى أن نشير إلى أن مصطفى مشهور مرشد الجماعة بعد حسن البنا يقول : « وإن من سياساتنا أن الإسلام يتجاوز عن قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة » ، ويقول : « إن من السياسيين من يجب استئصاله وتطهير البلاد منه ، فإن لم توجد سلطة شرعية تصدّهم

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١١٢ .

(٣) « الجهاز السري لجماعة الإخوان المسلمين » محمود الصياغ - دار النذير - القاهرة - ١٩٧٦ م - ص ٢١١ .

فليتول ذلك من وضعوا أنفسهم للإسلام جنوداً ، وأن الإسلام يتتجاوز عن احتمال قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة »^(١) .

ومن أشكال العنف « الفتوى » ، فالمفتي من أعضاء الجماعة يضع السم في الشراب ويترك الآخرين ليتجرعوه ، وكمثال نورد الفتوى التالية التي كانت سبباً في موجة للاعتداء على الكنائس وإحراقها :

في مجلة الدعوة « لسان حال الجماعة » وردت الفتوى التالية التي أفتى بها مفتى المجلة - محمد عبد الله الخطيب - حول حكم بناء الكنائس في ديار الإسلام فقال : « حكم بناء الكنائس في ديار الإسلام على ثلاثة أقسام :

الأول : بلاد أحدثها المسلمون وأقاموها كالمعادي والعاصر من رمضان وحلوان ، وهذه البلاد وأمثالها لا يجوز فيها إحداث كنيسة ولا بيعة .

والثاني : ما فتحه المسلمون من البلاد بالقوة كالإسكندرية بمصر والقسطنطينية بتركيا ، فهذه أيضاً لا يجوز بناء هذه الأشياء فيها « لاحظ كلمة هذه الأشياء » ، وبعض العلماء قال بوجوب الهدم لأنها بلاد مملوكة للمسلمين .

والثالث : ما فتح صلحاً بين المسلمين وبين سكانها ، والمختار هو إبقاء ما وجد بها من كنائس وبيع على ما هي عليه في وقت الفتح ،

(١) « الإخوان المسلمين - أوراق تاريخية » إبراهيم زهмол - دار الشروق - القاهرة - ط ٢ - ١٩٩٧ م - ص ٥٨ .

ومنع بناء وإعادة ما هدم منها . وواضح أنه لا يجوز إحداث كنيسة في دار الإسلام «^(١) .

هذا هو الفكر الإخواني ، ولسنا نريد الخوض في تفنيد هذا الرأي وتخطئته شرعاً ، وعبر الممارسات الإسلامية على مدى التاريخ من عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهمَا و حتى الآن ، وإنما فقط نشير إلى أن فتوى كهذه كانت أساساً لأن يقوم بعض الصبية الذين صدقواها والتزموا بها بالتعدي على الكنائس ومحاولة إحرافها . ولعل هذا يقودنا إلى فكرة طالما نادينا بها وهي : أن الإرهاب يبدأ فكراً .

* * *

(١) « الفتيا في العقيدة الإخوانية » عبد الله الجاسر - دار البيان الإماراتية - ٢٠٠٥ م - ط ١ - ص ١٧٨ .

البدايات المشبوهة للإخوان

منذ البدايات الأولى حاول حسن البنا - وإن بحذر - أن يَضع اللبنات الأولى للمفارقة بين عضو الجماعة والمجتمع حكاماً ومحكومين ، وللمفاصلة التامة بينهما ، بل ولتكفير المجتمع - حكاماً ومحكومين - وإنكار ما يقوم عليه المجتمع من أسس دستورية وقانونية .

وفي رسالة « التعاليم » يحدد حسن البنا واجبات الأخ المجاهد وعددتها ثمانية وثلاثين واجباً ، وفي الواجب الخامس والعشرين منها يأمر العضو « أن تمقاطع المحاكم والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة » .

وفي البند السابع والثلاثين يأمره « أن تخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك »^(١) .

وعلى نهجه سار عبد القادر عوده ، إذ قرر تكفير كل قائل بالقانون الوضعي ، والغريب أنه ظل حتى آخر حياته محامياً ويدير مكتباً كبيراً للمحاماة التي تعتمد فقط على التحاكم إلى القانون الوضعي . ويقول الأستاذ عوده : « من الأمثلة الظاهرة على الكفر بالامتناع في عصرنا

(١) « الدعوة في فكر حسن البنا » د . سيد عبد العال - دار الأبرار - القاهرة - ١٩٨٦ م - ط ٤ - ص ٢٢٢ .

الحالى : الامتناع عن الحكم بالشريعة الإسلامية وتطبيق القوانين الوضعية بدلاً منها ». .

ويقول : « فمن أعرض عن الحكم بحد السرقة أو القذف أو الزنا لأنه يفضل غيره من أوضاع البشر عليه ، فهو كافر قطعاً »^(١) .

ويقول مفكر إخواني آخر هو علي جريشه : « ولا خلاف فيجهادِ
مَنْ مَنَعَ بَعْضَ شَرِيعَةِ اللهِ ، وَأَوْلَىٰ بِهِ مَنْ مَنَعَ كُلَّ شَرِيعَةٍ ، وَالقَعْدَ عَنِ
الْجَهَادِ تَهْلِكَةٌ نَهَا ، اللَّهُ عَنْهَا »^(٢) .

وغني عن القول أن القول بتكفير كل من يقبل بالقانون الوضعي هو تكفير للحكم والمجتمع والمحكومين ، أما القعود عن الجهاد ضد هذا المجتمع فهو « تهلكة نهى الله عنها » .

ودون صعوبة نكتشف أن جوهر فكرة التكفير ومن ثم المفاصلة مع المجتمع والعنف ضده قديمة قدم الدعوة ذاتها ، وأن الذي أرسى أساسها هو مؤسس الجماعة ذاته حسن البنا .

والذين يتظاهرون أن سيد قطب أستاذ التكفير والذي انبثق من فكره كل دعوة الإرهاب المحدثون - إلى درجة أنهم يسمون بالقطبين - كان شارداً عن خط الجماعة واهمون - هو فقط وضع كلمات في موضعها الواضح ، ولم يتلاعب بالألفاظ كما فعل سابقوه . وسيد قطب رجل لا يعرف المسماة ، فيقول : « إن الإسلام لا يعرف إلا

(١) « الدعوة والعقيدة » عبد القادر عودة - دار الشروق - ١٩٨٧ م - ص ٨٦ .

(٢) صحيفة النذير - العدد (٦٥١) - ١٩٦٦م - نقلًا عن الشبكة الدعوية .

نوعين من المجتمعات : مجتمع إسلامي ، ومجتمع جاهلي » والمجتمعات الجاهلية عند سيد قطب هي كل المجتمعات ، « الشيوعية والوثنية واليهودية والمسيحية ، والمجتمعات التي تزعم أنها مسلمة »^(١) .

وبشكل أوضح يقول : « يدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة على الأرض » .

وكما قلنا لا حل وسط فهو يقول : « فنحن وهذه الجاهلية على مفرق الطريق ، فإما إسلام وإما جاهلية ، وإن وظيفتنا الأولى هي إحلال التصورات والتقاليد الإسلامية في مكان الجاهلية ، ولن يكون هذا بمحاراة الجاهلية في بعض الخطوات لأننا حين نسايرها خطوة ، فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق »^(٢) .

وهو لا يعترف بإسلام المسلمين فيقول : « إن الناس ليسوا مسلمين كما يدعون ، وهم يحيون حياة الجاهلية ، ليس هذا إسلاماً ، وليس هؤلاء مسلمين . والدعوة إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الإسلام ، ولتجعل منهم مسلمين من جديد »^(٣) .

وللتتأمل في قوله : « لتجعل منهم مسلمين من جديد » ، فهو لا يعتبر أن الإسلام قائم إلا في حدود جماعته ، ومن ثم فهو يدعو إلى إعادة إنشائه قائلاً : « وينبغي أن يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة

(١) « معالم في الطريق » سيد قطب - دار الريان - القاهرة - ط ٨ - ص ٥١ .

(٢) المصدر السابق - ص ٦٢ .

(٣) « معالم في الطريق » لسيد قطب - دار الريان - القاهرة - ط ٨ - ص ٦٤ .

الإسلامية أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولاً إلى اعتناق العقيدة ، حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون ، فإذا دخل في هذا الدين عصبة من الناس ، فهذه العصبة هي التي يُطلق عليها اسم المجتمع المسلم »^(١) .

ما معنى ذلك كله ؟ ما معنى تكفير المسلمين جميعاً ، حكامًا ومحكومين ؟ معناه ببساطة أنهم جميعاً مرتدون .. ثم .. الإرهاب . وهكذا فإن الإرهاب يأتي منقاداً وبشكل طبيعي للفكرة الأولى الذي وضع بذرتها حسن البناء مدتها على استقامتها سيد قطب .

* * *

(١) « معالم في الحركات الإسلامية المعاصرة » عبد الحميد طهماز البكري - ص ٧٤ - دار النصر - القاهرة - ط ٢ .

الممارسة العملية لنظرية فصل الأقوال عن الأفعال

ونأتي إلى ساحة الممارسة ، ولقد تعودنا من جماعة الإخوان أن تختلف الأقوال عن الأفعال ، وفي البداية يحدد محمد شريف - مسؤول مكتب العمال بالجماعة - الهدف الأساسي للجماعة من العمل وسط جماهير العمال : «أن معاداة الشيوعية كانت أحد هدفين أساسيين استهدفتهما الجماعة من عملها المنظم في صفوف الطبقة العاملة ، أما الهدف الآخر فهو السعي لنشر دعوة الإسلام في الأوساط العمالية »^(١) .

ولا شك أن نشاطاً من هذا القبيل قد لقي ترحيباً شديداً من جانب الحكومات والرأسماليين على السواء^(٢) .

والحقيقة أن تركيز الإخوان في نشاطهم على مقاومة الشيوعية قد أوقعهم في محاذير شديدة الخطر ، فدفعوا عضويتهم إلى التجسس على العمال النشطين ، وعلى الشيوعيين عموماً ، وإبلاغ السلطات عنهم .

وأمام محكمة الشعب - التي شكلتها سلطة أيار لمحاكمة الإخوان

(١) « القرآن والحاكمية » محمد شريف - دار الناصر للدين الله - ١٩٣٦ م - ط ٢ - ص ١٥٨ .

(٢) « مواقف في التاريخ الإخواني » وليد عبد الحميد - دار البيان - القاهرة - ١٩٩٢ م - ص ٤٥ .

عندما تصادمت معهم - وقف أحد قادة الجماعة - صلاح الدين أبو الخير - ليعرف صراحة «أن قسم الأخبار في الجماعة كان يقوم بجمع الأخبار المهمة التي تهم الجماعة ، وأيضاً نشوف حاجة... خلية شيوعية مثلًا... وأنا أعرف أن الإخوان ضبطوا عدة خلايا وأبلغوا عنها»^(١) .

ولكن أغلب النشاط الإخواني التجسس ضد اليسار عموماً تركز أساساً في المجال العمالي . ويمكن القول أن الظروف كانت مواتية كي يمارس الإخوان دوراً أزيد بكثير مما فعلوا ، فهناك أولاً المشاعر الدينية المسيطرة على جماهير العمال باتجاه الجماعة ، وهناك أيضاً الفراغ السياسي في صفوف الطبقة العاملة في مطلع الثلاثينيات عند نشأة الجماعة ، فالحزب الشيوعي المصري وجهت له ضربات عنيفة ، والاتحاد العام لنقابات العمال الذي أسسه الحزب عام ١٩٢١ تم حله أيضاً ، وصودرت ممتلكاته وسجن قادته ، وحلت محله اتحادات عمالية شكلية تابعة بشكل مباشر للأحزاب البرجوازية أو للقصر الملكي ، وتولى رئاستها بكتوات وباشوات ، بل وأحد نبلاء الأسرة المالكة ، وكانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية تدفع بالعمال إلى العمل المباشر .

لكننا نعتقد أن المناورة السياسية والمراهنة على القصر الملكي وعلى عدم إغضاب كبار المالك والرأسماليين بالإضافة إلى المنطلق

(١) «مواقف في التاريخ الإخواني» وليد عبد الحميد - دار البيان - القاهرة - ١٩٩٢ م - ص ٤٥ .

المعتقدي كل ذلك أدى بالجماعة إلى العجز عن الاستفادة من كل هذه الممكناً .

وبرغم ذلك فلابد لنا أن نلاحظ وباهتمام أن أول من انضم إلى حسن البناء في عملية تأسيس الجماعة كان ستة من العمال ، لكن الإسهام المكثف في عملية التأسيس لم يتواصل معه تواجد جدي للجماعة في صفوف العمال .

وعلى أية حال فقد تطور موقف الإخوان إزاء الطبقة العاملة من الاتصالات الفردية إلى العمل المباشر والمنظم ، شهد عام ١٩٣٨م بداية هذا التوجه ، ففي ٢٢ أغسطس ١٩٣٨م ، « التقى بالمركز العام للجماعة مجموعة من العمال « المتعلمين » ، وتناولوا الأوضاع السيئة التي تعيشها الحركة العمالية ، وحول إمكانية تأسيس حزب عمالٍ »^(١) .

ويعلق أحد الباحثين على هذه المحاولة قائلاً : « ويبدو أن هذا الحزب قد تكون من عدد محدود ولفتره وجيزة ، واتخذ له مقرًا المركز العام للجماعة ، ويبدو أنه كان مجرد واحدة من المناورات التي حاكها القصر ضد الوفد »^(٢) .

وتأتي الأربعينيات لتشهد انطلاقة يسارية واسعة ، ونشاطاً شيوعيًا في صفوف العمال ، ولعل هذا هو الذي دفع الجماعة لبذل اهتمام

(١) « واقع وتاريخ الإخوان المسلمين » كمال أبو المجد - دار الشريعة - القاهرة - ط ١ - ص ٢٥٥ .

(٢) « القرآن والحاكمية » محمد شريف - دار الناصر لدين الله - ط ١٩٣٦م - ط ٢ - ص ٢٥٧ .

مضاعف بالقضايا العمالية ، ففي ٢٩ آب ١٩٤٢ صدر العدد الأول من جريدة « الإخوان المسلمون » ليعلن تأسيس « قسم الشؤون الاجتماعية » بالجماعة ، مما يعني بداية اهتمام منظم ومنتظم بهذه المسألة .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرةً أُسست الجماعة « قسم العمال » بالمركز العام ، لكنها حرصت على التأكيد بأن الغرض من إنشاء هذا القسم ليس التدخل في شؤون العمال النقابية ، ولا التنافس مع الهيئات العمالية ، أو التعرض للعمال في مصانعهم أو شركاتهم ، ولكنها أنشئ بغرض توصيل الدعوة إلى نفوسهم ، وحتى يكون دافعاً لتمسكهم بتعاليم الدين .

وعلى العكس تماماً . . .

دأبت جماعة الإخوان المسلمين منذ فجر البعث الوطني الحالي على بث الدسائس وتدبير المؤامرات التي ترمي في مجتمعها إلى القضاء على الحركة الوطنية أو تحويلها عن أهدافها مما لا يخدم غير الاستعمار . ولما كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة هي اللجنة الشرعية الممثلة للطلبة والعمال والموظفين ، والمنتخبة انتخاباً ديمقراطياً ، والمنظمة لكفاح طوائف الشعب حتى يقضي على الاستعمار ؛ فقد دبر الإخوان مؤامرتهم خاصة ضد العمال والطلبة الغير متعاونين ، وبدؤوا في إعلان تكوين لجان خاصة بهم وسط العمال .

والحقيقة أن موجة العداء التي تصاعدت ضد الإخوان وفي صفوف العمال لم تكن فقط بسبب الممارسات السياسية المعادية للمشاعر الوطنية ، والتي وقفت بالإخوان في صف رئيس الوزراء الطاغية إسماعيل صدقي ، وضد حركة الجماهير الشعبية المعادية للاستعمار بقيادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، وإنما كانت بسبب ممارسات محددة ضد مصالح العمال المباشرة^(١) .

ففي سبتمبر ١٩٤٥م قاد الشيوعيون إضراباً شاملاً وناجحاً في منطقة شبرا الخيمة ، حيث توقفت كل مصانع تلك المنطقة عن العمل ، وتشكلت قيادة سرية للإضراب عجز البوليس عن الوصول إليها ، وفي البداية أيدت جماعة الإخوان الإضراب لكنها ما لبثت أن انسحبت منه ، وبدأت حملتها ضده ، بل لقد أرسلت وفوداً من دعاتها إلى المنطقة لإقناع العمال بالعدول عن الإضراب ، بحججة أن الدين يحرم الإضراب لأن فيه خسارة لأصحاب المصانع من المسلمين .

وعاد عمال شبرا الخيمة إلى الإضراب من جديد ، في إضراب أكثر شمولاً وأكثر تنظيماً ، استمر طوال شهري مايو - يونيو ١٩٤٦م ، ومنذ البداية وقف الإخوان ضد الإضراب ، واتهم قادة الإضراب - وأيدتهم في ذلك صحف الوفد - أعضاء جماعة الإخوان ، « بأنهم قد سلموا البوليس قوائم بأسماء وعنوانين القادة السريين للإضراب ،

(١) « الولاء والبراء في فكر الإخوان المسلمين » ناصر السيد رفعت - دار النهضة - مصر - القاهرة - ١٩٩٩م - ص ٨٢ .

ونتيجة لهذه المعلومات ألقى القبض على أكثر من مائة من القادة العماليين » ، لكن الإضراب استمر رغم ذلك ، وصمم أصحاب المصانع على عدم السماح للعمال بالعودة للعمل إلا إذا تعهدوا كتابةً بعدم العودة للإضراب ، وأيدت جريدة الإخوان ذلك ، ودعت العمال إلى « إنهاء الإضراب والتوقع على التعهد الذي طلبه منهم أصحاب المصانع ومكتب العمل بعدم اللجوء إلى سلاح الإضراب في المستقبل » ، وقالت الجريدة أنها « تؤمل بعد عودة العمال للعمل وتوقيعهم على التعهد المطلوب أن تعمل الحكومة على حل مشاكل العمال »^(١) .

ويفسر البعض ذلك بأن نشاط الجماعة وسط العمال كان دوماً في خدمة الاستخبارات والقصر الملكي وبالتنسيق معها .

وعندما عادت الجماعة للنشاط في نهاية ١٩٥٠ حاولت أن تتخبط أخطاء الفترة السابقة ، وأن توأكب المد الثوري الملتهب والذي اتخذ منحى ثورياً ، وأن تتكلم بلغته كي تكسب موقعًا ما وسط صفوف العمال ، فكتب سيد قطب كثيراً عن اشتراكية الإسلام ، وتنشر مجلة « الدعوة » مقالات ملتهبة تهاجم الرأسماليين لأول مرة ، وتدافع عن حق العمال في الإضراب ، بعد أن أكدوا كمن قبل أنه ضد تعاليم الإسلام .

وثمة مقال لمحمد الفولي بعنوان : « أيها الرأسماليون لا تحاربوا

(١) « الولاء والبراء في فكر الإخوان المسلمين » ناصر السيد رفت - دار النهضة - مصر - القاهرة - ١٩٩٩ م - ص ١١٧-١١٨ .

النقابات » يُهاجم فيه قانون ١٩٤٠ م لأنه يحرم تكوين اتحادات عمالية ، كما أنه يحرم العمال من حق الإضراب الذي هو سلاحهم الوحيد في مواجهة بطش الرأسماليين بهم وبحقوقهم .

لكن هذا التطور لم يستمر سوى فترة قصيرة جداً ولم يُشر نفوذاً ما وسط العمال ، وبدت الجماعة وكأنها تفقد أملها في هذه الطبقة ، وفي وجود نفوذ حقيقي لها في صفوفها ، ومن ثم راحت ومن جديد على القوى الأخرى .

وعندما قامت ثورة ١٩٥٢ م ، كانت تتنازعها مواقف متعددة إزاء قضية الطبقة العاملة ، واختار الإخوان الانحياز إلى أكثر العناصر محافظه وعداء لحقوق العمال .

ولعله من الضروري الإشارة إلى أن الجماعة بينما كانت تتخذ من خلف الستار مواقف معادية للعمال ، كانت وفي هذه الفترة بالذات - وكما رأينا من قبل - تتخذ موقف المزايدة على الجميع ، مدعية الدفاع عن العمال .

ومرة أخرى يهزم التوجه الإخواني إزاء العمال ، فقد استطاعت استقالة خالد محبي الدين أن تستقطب إلى جانبه جمال عبد الناصر الذي كان متغياً عن الجلسة التي وقع فيها الصدام ، وعقدت جلسة جديدة ، وتم اتخاذ موقف جديد ، وبدأ نفوذ سيد قطب يتقلص في مجال وزارة الشؤون الاجتماعية ، وما لبث أن أبعد عن موقعه .

ولعل مواقف بهذه قد انعكست بالسلب أيضاً على علاقة الإخوان بالعمال ، ويمكن القول أن هذه العلاقة ظلت - وحتى الآن -

محدودة ، فبرغم تصاعد المد الإسلامي وتزايد نفوذ الجماعات الإسلامية - ومنها الإخوان المسلمين - وسط فئات المجتمع المختلفة ، وبرغم تزايد نفوذ الإخوان في عدد من النقابات المهنية - المهندسين ، الأطباء - فإن المرشحين الإسلاميين قد فشلوا فشلاً ذريعاً في انتخابات النقابات العمالية الأخيرة ، ولعل ذلك كله ليس منفصلاً عن مجمل مواقف الجماعة سواء الأيديولوجية منها أو العملية .

* * *

حقائق إرهابية تاريخية

صدرت مذكرة بحل جماعة الإخوان المسلمين في ٢٠ أيلول ١٩٨٤م للأعمال الإجرامية الآتية :

١- أن الجماعة كانت تُعد للإطاحة بالنظام السياسي القائم ، وذلك عن طريق الإرهاب ، مستخدمة تشكيلاً تدريبة عسكرياً هي فرق الجوالة .

٢- مسؤولية الجماعة عن مقتل أحد خصومها السياسيين « وفدي » في بور سعيد .

٣- مسؤولية الجماعة بحيازة أسلحة ومفرقعات ومتفجرات ، « حادث المقطم ، مستودع السلاح بعزبة الشيخ محمد فرغلي ، ضبط مصنع للمتفجرات بالإسماعيلية » .

٤- نسف فندق الملك جورج بالإسماعيلية .

٥- نسف العديد من المنشآت التجارية المملوكة لليهود .

٦- الاعتداء على رجال الأمن أثناء تأدية وظيفتهم .

٧- إرهاب أصحاب المنشآت التجارية وتهديدهم بهدف الحصول على « تبرعات » و« اشتراكات » مدفوعة مقدماً لصحيفة الجماعة .

وبناء على هذه المذكرة أصدر الحاكم العسكري العام محمود فهمي النقاشى باشا قراراً عسكرياً من تسعه مواد ، تنص مادته

الأولى : تُحل فوراً الجمعية المعروفة باسم جماعة الإخوان المسلمين بشعبها أينما وجدت ، وتُغلق الأئمكـة المخصصة لنشاطها ، وتُضبط جميع الأوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال ، وعلى العموم كافة الأشياء المملوكة للجمعية .

ويحظر على أتباعها والمنتسبين إليها بأية صفة كانت موافقة نشاط الجمعية ، وبوجه خاص عقد اجتماعات لها أو لإحدى شعبها ، أو تنظيم مثل هذه الاجتماعات أو الدعوة إليها ، وجمع الإعانات أو الاشتراكات ، أو الشروع في شيء من ذلك ، ويعد من الاجتماعات المحظورة في تطبيق هذا الحكم اجتماع خمسة فأكثر من الأشخاص الذين كانوا أعضاء بالجمعية المذكورة . كما يحظر على كل شخص طبيعي أو معنوي السماح باستعمال أي مكان تابع له لعقد مثل هذه الاجتماعات ، أو تقديم أي مساعدة أدبية أو مادية أخرى .

وتنص المادة الثالثة : « على كل شخص كان عضواً في الجمعية المنحلة أو منتمياً لها وكان مؤتمناً على أوراق أو مستندات أو دفاتر أو سجلات أو أدوات أو أشياء أن يسلّمها إلى مركز البوليس المقيم في دائرة في خلال خمسة أيام من تاريخ نشر هذا الأمر » .

أما المادة الرابعة فتنص على تعين « مندوب خاص مهمته استلام جميع أموال الجمعية المنحلة وتصفيـة ما يرى تصفيـة ، ويخصص الناتج للأعمال الخيرية أو الاجتماعية التي يحددها وزير الشؤون »^(١) .

(١) « الإرهاب المتسلّم » د . رفعت السيد - دار الشروق - القاهرة - ط ٢ - ص ٦٢ .

ودارت ماكينة العنف البوليسي ضد الإخوان ، هؤلاء الذين باركوا دورانها ضد خصومهم من الوفديين والتقدميين والشيوعيين ، فإذا بغول الديكتاتورية يتلعلهم هم أيضاً .

والمعتقلات التي افتتحت في ظل مباركة الإخوان وتهليلهم يوم ١٥ مايو - أيار - ١٩٤٨ ، بمناسبة حرب فلسطين ، والتي استقبلت خصومهم السياسيين ، أخذت تتسع كي تستقبل الألوف من أعضاء الإخوان .

* * *

الدين والشريعة والواقع والمنطق

يُحاربون الإخوان

ومع ماكينة التعذيب كانت ماكينة الدعاية تدور لِتُجَرِّمَ الجماعة وشيخها ومنهجها وجهازها السري .

فخرجت فتوى مفتى الديار المصرية تدين أفعال الجماعة وتتهم القائمين بها بالكفر ، وبيان من هيئة كبار العلماء ، وبيان ثالث من الأزهر ، وساهم في حملة الإدانة لأعمال العنف والإرهاب الإخوانية مفكرون وكتاب يتمتعون باحترام جمهور مصر العريض ، منهم :

د . طه حسين يقول : « ما هذه الأسلحة ؟ وما هذه الذخيرة التي تدخر في بيوت الأحياء وفي قبور الموتى ؟ ما هذا المكر الذي يكمن ؟ وما هذه الخطط التي تدبر ؟ وما هذا الكيد الذي يكاد ؟ ولم كل هذا الشر ؟ ولم كل هذه المكر ؟ ولم رَخصَتْ حياة المصريين ؟ يُقال أنها إنما رخصت بأمر الإسلام الذي لم يُحرِّم شيئاً كما حرم القتل ، ولم ينه عن شيء كما نهى عن التعاون على الإثم والعداوة »^(١) .

وكامل الشناوي يقول : « إنني حزين أن يوجد إنسان واحد لا جماعات منظمة - يصنع الموت للناس ، ويحترف التخريب

(١) صحيفة الأهرام - العدد ١٨٥٨ - ٢٣/١٢/١٩٧٧ م .

والتدمير ، وإن قلبي ليقطر حزناً إذ كانت هذه الجماعة ترتكب جرائمها باسم الإسلام ، وتجد من يصدقون دعواها . إن الإسلام الذي يقول كتابه الكريم : ﴿ وَجَنِدُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] لا يُقر الجدل بالمسدسات والمدافع والمتفجرات «^(١)» .

لكن استنكار الجهاز السري وجرائمها لم يأت من خارج الجماعة فقط ، بل لعله أتى أكثر ما أتى من داخلها ، بل من شيخها ومن منشئها ومؤسس الجهاز السري نفسه .

* * *

(١) صحيفة عقيدتي الإسلامية - العدد ٨٦٢ - ١٥ / ٤ / ١٩٩٨ م .

التداعيات

وإذا كان حسن البناء هو البذرة الصالحة فإن سيد قطب هو الثمرة الناضجة ، أو على الأقل هذا هو رأي واحد من كبار رجال الجماعة - الصاغ صلاح شادي - الذي كان مسؤولاً عن قسم « الوحدات » بالجماعة ، الفرع الأكثر سرية من الجهاز السري ، فهو الفرع الخاص بأعضاء الجماعة في الجيش والبوليس .

ولم يحدث أبداً أن وجه إخوانى أيًاً كان مرتبته أى نقد أو شبه نقد لممارسات أو كتابات سيد قطب . وسيد قطب - وهو شخصية مثيرة لجدل شديد - هو سيد عصر الإرهاب الحالى ، فكل الإرهابيين المتسلسين الذين ملؤوا الدنيا قتلاً وسفكوا للدماء هم « قطبيون » أي أنهم من أتباعه . وفي سجن طره بدأ سيد قطب في استقطاب أكثر عناصر شباب الجماعة تشددًا ، ليكون منهم تياراً ينتقد اعتدال البعض من رموز الجماعة ، ويدعو إلى تكفير المجتمع الحاكم والمحكوم على السواء .

وكان من أبرز تلاميذه في السجن « شكري مصطفى » الذي سرعان ما كَوَّنَ بعد خروجه من السجن « الجماعة المسلمة » التي أسميت إعلامياً بـ« الجماعة التكفير والهجرة » ، ومن هذه الجماعة الشديدة التشدد والتي تعرضت لضربات قاسمة في أعقاب اختطافها للشيخ الذهبي واغتياله ؛ تولدت جماعات عدة لعل كل منها كان أكثر تطرفاً مما سبقة .

لكن سيد قطب هو صاحب نَوَّا كُرْة الثلج التي تَضَخَّمت لترفرز لنا كل الإرهابيين المسلمين من أعضاء « جماعة الجهاد » و « الجماعة الإسلامية » وما أفرزتا من تكوينات تالية .

ولقد يتململ بعض الإخوان من نسبتهم إلى هذه التداعيات ، لكن الشيء المؤكد أن أحداً لم يجرؤ أو يتجرس أن ينطق بكلمة نقد واحدة لفكرة أو كلمة أو فعل من أقوال أو أفعال سيد قطب .

أليس هو الثمرة الناضجة للدعوة؟ أليس هو الأمل المرتجل للدعوة؟ كما أكد الهضيبي المرشد العام للإخوان على زمن سيد قطب؟ بل إن أحداً من الإخوان لم يُوجه أي نقد أو إدانة لكل ما ارتكبه الإرهابيون من مجازر ، يتصلون منها نعم ، أما إدانتها وإدانة القائمين بها أو القائلين بضرورتها فلا .

ويبقى معلقاً في عنق الجماعة كل فعل أو قول ، وكل قطرة دم أريقت بأيدي المسلمين حتى يعلنوا براءتهم منها ، ويُعلنوا إدانتهم لها .

والغريب أن هؤلاء المسلمين يسارعون من قبيل التفقة وسد منافذ الحياة أمام الناس بتحريم عشرات الأفعال والأقوال والكتابات ، لكن أحداً منهم لم يحرم حرفًا مما كتبه هؤلاء الإرهابيون الجدد ، ابتداءً من سيد قطب وحتى عمر عبد الرحمن وعبد الزمر وأسامي بن لادن وأمثالهم ، ولم يحرم فعلاً مما فعلوا ، هو فقط يقول : لم أفعل ، ولكن أين واجب المسلم في تبيان الحق؟ أليس « الساكت عن الحق شيطان آخرس؟ » .

* * *

تدعيات التداعيات

ومع وجود قيادة للجماعة منغلقة على نفسها ، ولا تمتلك لا الكفاءة الفكرية ولا التنظيمية التي اعتاد عليها الإخوان ، ومع بروز قيادات من الكوادر الوسطى اكتسبت في ظل ظروف محددة بعضاً من وجود جماهيري ، وهي قيادات قدمت إلى الجماعة من صفوف « كرية الثلج » التي ولدتها سيد قطب ، أي من صفوف الجامعات الجهادية كما يسمونها ، دخلوا الجماعة شباناً - طلاباً أو خريجين جدداً - صعدوا خطوة أو خطوتين ، ثم . . . كفى .

فالحصون العليا في قيادة الجماعة محسنة لا يمسها إلا المقربون ، « ابن المرشد والمؤسس ، وابن المرشد التالي » أما هؤلاء الغرباء فلا مكان لهم في قمم القيادة الإخوانية .

ثم بدأت القيادة تلعب لعبة غريبة ، تورط قواعدها ولا تورط هي ، هم يسجنون وهي تنجو ، الأمن يقبض على الكوادر الوسطى ويحاكمها ويسجنها ، بينما « القيادة » تعيش في مأمن .

ويبدو غريباً وربما مُرِيباً أن يُقْبض على مئات من أعضاء القيادات الوسطى الإخوانية بتهمة الانضمام إلى الجماعة وهي تنظيم محظوظ ، وتكون الأدلة كتابات ومطبوعات إخوانية كتابها ومؤلفوها من أعضاء مكتب الإرشاد الذي يعيش حراً طليقاً ، بل ويعلن أعضاؤه عن مواقعهم في الجماعة ، فالعضو يُسجن لأنه يُشتبه في أنه مُنضم

للجماعة ، بينما مصطفى مشهور يُعلن في كل يوم أنه المرشد العام ، والمستشار مأمون الهضيبي يعلن علناً أنه نائبه .

هذا المنطق المفتقد أثار حفيظة الكوادر الوسطى ، خاصة وأن الواقع القيادي قد حجبت عنها قسراً .

وإن الجماعة تفتقد أي شكل من أشكال الديمقراطية ، فآية ديمقراطية مع من بایعه « أميراً » أو « مرشداً » ، بایعه على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، ومن تلقنت دوماً أنه يتحتم عليك أن تطيعه وإن ضربك على ظهرك وبطنك ؟ وأية ديمقراطية فيما أُسمى ببيعة المقابر ؟ حيث - بشكل مفاجئ - بوعي مصطفى مشهور مرشداً للجماعة خلال مراسم دفن المرشد السابق ، بایعه المشيعون دون ترتيب ، ودون احتراز من أن يكون المبایعون لا يمثلون الجماعة تمثيلاً حقيقياً ، أو حتى لا يكونون أعضاء فيها . وأية ديمقراطية مع مرشد عام هو واحد من الرعيل الأول لمؤسسى الجهاز السرى الذى يفرض طاعة مضاعفة ، وخضوعاً لا نقص فيه ؟

وهكذا بدأ التململ في صفوف الكوادر الوسطى ، وظهرت تداعيات جديدة ، انشقاقات من الجماعة ، بعضها أسمى نفسه « حزب الوسط » والآخر « حزب الشريعة » وأخرون كثيرون متمردون صامتون ، أو منسحبون دون ضجيج ، أو يستعدون لذات الشيء .

لكن التداعيات - ومهما حاولت أن تزيين - تبقى مفعمة بشوابت الأصل ، مثلقة بكل نوازعه وكل مقولاته المتسلمة ، وإن تزيينت أو تجملت أو حاولت .

ختاماً

ذات يوم شاهد هارون الرشيد سحابة تُسْرَع بعيداً دون أن تُمطر فوق بغداد ، فنظر إليها مُتهكماً وقال : « أمطري حيث شئت ، فخرابك سيأتيني ». .

ونكاد نتخيل المرشد العام للإخوان في موقع هارون الرشيد ، أما السحابة فهي كل هذه التداعيات وتداعيات التداعيات ، لكن « الخراج » هنا دماء وقتل وإرهاب وتأسلم .

ونعود لنؤكد ما كررنا من قبل : أن الإرهاب يبدأ فكراً ، يبدأ بفكرة خبيثة متأسلمة ، لا تلبث أن تقتاد صاحبها أو متلقيها خطوة خطوة في طريق المفاصلة مع المجتمع ، أو مع كل مختلف معه ، ويصبح الآخر هو العدو ، ولأن الفكر الديني الإنساني النسبي الصحة يُروج له باعتباره ذات الدين الإلهي المحتوى الكلي الصحة ، فإن الآخر العدو يُصبح بالضرورة الكافر ، الذي يجب أن يُقام عليه حد الردة .

ونعود إلى حكاية عربية قديمة نتذكرها إذ نتحدث عن البذرة الخبيثة التي تتولد منها تداعيات مُتفجرة : « التقى رجل صالح بإبليس فعاتبه ، فقال إبليس : يا مولانا... أنا أضع البذرة وأتركها ، وأتركهم هم يفعلون كل شيء ، ولما سأله الرجل الصالح كيف ؟ اصطحبه إلى السوق وأمسك بخنساء ووضعها على الحائط بجوار

كلب ، لمح الكلب الخنفسياء ، ارتفع نباحه ، وحاول القفز ليلتقط الخنفسياء ، ففزعـت قطة كانت مارة بالمصادفة ، قـفـزـتـ القـطـةـ منـ فـزـعـهـاـ لـتـصـطـدـمـ بـحـلوـانـيـ يـقـلـيـ بـعـضـ الـحـلـوـيـ فـيـ قـدـرـ مـنـ الـرـيـتـ ،ـ أـجـفـلـ الرـجـلـ ،ـ اـنـقـلـبـ الـوعـاءـ وـانـقـلـبـ الـموـقـدـ ،ـ فـجـرـىـ الرـجـلـ خـلـفـ الـكـلـبـ لـيـضـرـبـهـ ،ـ وـأـتـىـ صـاحـبـ الـكـلـبـ لـيـضـرـبـ الـحـلوـانـيـ ،ـ وـأـتـىـ أـنـصـارـ كـلـ مـنـهـمـ وـتـشـابـكـ السـوقـ مـعـ بـعـضـهـ الـبعـضـ فـيـ عـرـاـكـ ضـارـ ،ـ بـيـنـمـاـ نـارـ الـموـقـدـ تـمـتـدـ ،ـ تـُـشـعلـ الـمـحـلـ وـتـشـعلـ كـلـ مـحـلـاتـ السـوقـ ،ـ وـلـمـ يـنـفـضـ الـعـرـاـكـ إـلـاـ مـعـ اـحـتـرـاقـ السـوقـ بـأـكـمـلـهـ .

ونظر الرجل الصالح إلى إبليس دون أن ينطق » .

البذرة الخبيثة هي تلك الأفكار المتأسلمة . . . والتداعيات هي احتراق كل شيء . . . والإرهاب المتسلّم يبدأ فكرة . . . أما إبليس فالجميع يعرفونه .

هذه البدايات لتأسيس دين بلا دين ، دين ممسوخ الهوية ، دين يتأسس على العنف والإرهاب والمؤامرة والدسائس ، دين هذه بداياته ذات الطابع المشبوه والنشأة السوداء ، دين يَحْتَكمُ إِلَىَ الْمُصْلَحَةِ الفردية ، وتغيب عنه سمة الموضوعية ، دين هكذا بداياته ، فما هي نتائجه ؟

وللحديث بقية في الجزء الثاني بإذن الله تعالى .

والحمد لله رب العالمين



أدعية السلفية في الميزان

المحتوى

١٥٥	مقدمة البحث
١٦٠	التمذهب بالسلفية بيعة لا يقرها أتباع السلف
١٧٠	الدليل على أن التمذهب بالسلفية بيعة
١٨١	التمذهب بالسلفية بيعة لم تكن من قبل
١٨٩	الآثار الضارة اللاحقة بالأمة الإسلامية من جراء هذه البعثة
٢٠١	أخيراً: ليس كل جديد بيعة
٢١٤	الخاتمة

مقدمة البحث^(١)

ما من عاقل متبصر في هذا العصر إلا ويعلم أن الإسلام هو المستهدف من خلال الأحداث المختلفة التي تسمعون عنها ، سواء منها ما قرب أو بعُد ، وأن الإسلام هو المستهدف من خلال الشعارات التي ترتفع ، ومن خلال الشعارات التي تمرر من تحتها عمليات العدوان . ومن المعلوم لكلّ عاقل أيضاً أنَّ السلاح الاستراتيجي - كما يقولون - الأول الذي يُستعمل بادِئ ذي بدء للقضاء على الإسلام إنما هو سلاح التفرقة ، إنما هو سلاح تأليب المسلمين بعضهم على بعض ، وقدِيمًا في أواخر الخلافة العثمانية ؛ تعلم الدنيا كلها أنَّ بريطانيا لعبت الدور الأول في تجربة تفتیت المسلمين ، وتحوילهم إلى فئات متصارعة .

من قرأ كتاب أعمدة الحكمة السبعة للورانس ، يعلم جليًّا ما أقول ، ويقف على كثير من الوثائق ، فبريطانيا هي التي خططت قبل غيرها للعمل على تفتیت المسلمين ، وسخرت لذلك ثلاثة أسافين : الإسفين الأول (القاديانية) : وهو إسفين غرسته بريطانيا في الهند وما حولها .

(١) مستخلص من خطبة للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى بتاريخ : (٩/٥/٢٠٠٣ م) .

الإسفين الثاني (البابية والبهائية) : وقد غرسته ببريطانيا في إيران ومصر وفي جهات من جنوب شرق آسيا .

الإسفين الثالث (الوهابية) : وإنما غرسته ببريطانيا في الجزيرة العربية .

عودوا إلى المصدر الذي ذكرته لكم ، لتفتوا على الاعتراف الصريح والصريح بهذا الأمر .

ووصلت ببريطانيا إلى كثير مما ابتغت ، لكن الإسلام لم يُقْضَ عليه .

في ظل هذا الواقع يجري العمل صباح مساء ، وبكل الوسائل للقضاء على البقية الباقية من الوحدة الإسلامية .

والهدف أن يقضي الإسلام نفسه على نفسه ، وأن يحرق الإسلام ذاته ، الهدف أن يتآلل المسلمين بعضهم على بعض ، فيمحى الإسلام بواسطة المسلمين أنفسهم ، هذا هو الهدف .

وهذا الأمر يجعلني أنبهكم إلى أن الطابور المسخر لتحقيق هذه التفرقة في العالم الإسلامي مكون من : قلة قليلة جداً من المرتزقة والرؤوس العمiliaة المفكرة التي تتقاضى أموالاً لا تأكلها النيران هي التي تخبط ، وهي التي ترسم . وكثرة كاثرة من الرؤوس ذوي العقول الفجة ، من الرؤوس ذوي العقول الجاهلة ، سمعت بالدين ولم تدرك منه شيئاً ، اهتاجت عواطفها الإسلامية ، ولم تفسّر أمام عاطفتها حقائق الدين بواسطة العلم أبداً ، فجعلوا من أنفسهم جنوداً لتلك القلة

العميلة التي تعلم ماذا تصنع ، ومن الذي تخدم . هذا هو الطابور ، ومن هذين العنصرين يتألف .

ولعلكم إن أصغيتم السمع جيداً تلاحظون أو تسمعون كيف أن هذه الموجة عادت مرّة أخرى إلى الظهور ، عادت مرّة أخرى إلى الاحتكاك ، ^{آنظر فأجد} منشورات - إن عن طريق الإنترنيت ، أو الوسائل الأخرى - ^{تُنشر} ، ما مضمونها ؟

هياج وهجوم من مسلمين على مسلمين ، هياج من مسلمين ينتحلون الوهابية التي غرستها بريطانيا في الجزيرة العربية ، يتهجّمون على الآخرين ، وينعتونهم بالكفر ، ويخرجونهم من الملة ، إلى آخر ذلك ، أملاً في أن يستثير هذا الهياج الآخرين أيضاً ، فيهتاجوا ويقوموا ، ومن ثم يقوم الصراع ، ثم يتحول الصراع إلى أكثر من ذلك بين المسلمين أنفسهم . ومن ثم يتهدأ المناخ للخطوة الثانية ، وللقضاء على البقية الباقية ، من قوى الإسلام والمسلمين .

يجب أن أنبئ نفسي وأنبّهكم إلى هذه الحقيقة ، ذلك لأنّنا - مع الأسف - لا نملك اليوم إلا سلاحاً واحداً ، لم يبق في يدنا إلا سلاح واحد ألا وهو البقية الباقية من وحدة الشعور الإسلامي ، أما القوى المادية فقد تبدّلت .

بلدتنا^(١) هذه - والله الحمد - هي أكثر البلاد العربية الإسلامية بعدها

(١) ملاحظة : هذه الخطبة ألقاها العلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى في (٥/٩/٢٠٠٣ م) .

عن هذه الفقاقيع التي تُهَدِّد الوحدة الإسلامية بالتمزق والتشرد ، ولعل مَرَدَ ذلك إلى شيئين اثنين : وعي إسلامي تتميز به هذه البلدة .

وإخلاص يسري في أفراد المسلمين في هذه البلدة .

ولكن مع ذلك ينبغي أن تعلموا أن هذه البلدة مستهدفة لهذا السبب ، مستهدفة ، ربما بحثتم فوجدتكم عشاً تحاول أن تستثير عوامل الشقاق وأسباب الخلاف فيما بين المسلمين ، بعضهم مع بعض ، من أجل القضاء على هذه المزية التي يتمتع الإسلام بها في بلدتنا هذه - أيها الإخوة - فكونوا على حذر من ذلك

كيف تكونون على حذرٍ من ذلك ؟ أُعِيدُكُمْ إلى وعيكم الإسلامي : كلکم يقرأ كتاب الله بتدبیر ، ألا تلاحظون الآيات الكثيرة التي يهيب بنا بيان الله عز وجل فيها إلى الاتحاد ، إلى نبذ الفرقـة والشقاق ، إلى الابتعاد عن النـازع ، إلى الاعتصام بحبل الله ، إلى عدم التفرق .

كلکم يقرأ قول الله عز وجل ، آية مشهورة كثيراً ما نجدها مرسومة على الجدران في البيوت وفي أماكن أخرى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنَزَّلُوا وَإِذْ كُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّذِينَ قُلُوبُكُمْ لِلَّهِ مُنْسَأَةٌ ۚ ۝﴾

[آل عمران : ١٠٣] .

كلکم يقرأ قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَنَزَّلُوا فَنَفَشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ ۝﴾

[الأنفال : ٤٦] .

كلکم يقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُوا مِنْ بَعْدِ

مَاجَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

كلكم يعلم أن رسول الله ﷺ نبهنا إلى أنَّ المسلمين إذا كانوا تحت مظلَّة (كلمةٍ سواءً) وجاء من يريد أن يُفْرِّقَ أمرَهم ؛ فعليهم أن يضرموا عنقه أيًّا كان .

يتُم تفريق المسلمين اليوم باستشارة أمور اجتهادية ، كانت اجتهادية بالأمس ، ولكن المسلمين لم يقاتل بعضهم بعضاً بسببها ، بل مدَّت جسور التعاون والتآخي والإعذار فيما بينهم . أما اليوم فهذه الأسباب الاجتهادية ذاتها تُمْتَشَّقُ لتصبح سكاكين وأسلحة لتمزيق الوحدة الإسلامية .

نحن نقول : إسلامنا جامع ، ولا يكون مفرقاً ، وعندما نجد أنَّ الأمة قد تفرَّقت باسم الإسلام ، فلنعلم أنه ليس الإسلام الذي أبَعَثَ الله به رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَخَتَمَ به بَعْثَةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ ﷺ .

هذا الكلام الذي قلته أريد أن أنتهي منه إلى حصيلة : كونوا رباء في أحيايكم وفي مدنكم وحيثما وُجِدتُم على دين الله سبحانه وتعالى ، لا يتسرَّبَنَّ واحِدٌ من أفراد هذا الطابور إلى وحدتكم الإسلامية ليمزَّقُها ، وأنا أعلم أن هنالك من يحاول ، وهنالك من يفعل الوسائل المختلفة ، إِنْ في الظلام أو في الضياء ، إِنْ في السُّرُّ أو العلانية ، لعله يَصْلِي إلى ما ابتغى منه ، لعله يَبْيَضُ وجهه أمام الذين أمروه وأمام الذين دفعوه .

* * *

التَّمْذِهْبُ بِالسَّلْفِيَّةِ بِدُعَةٍ

لَا يُقْرِّهَا أَتَبَاعُ السَّلْفِ^(١)

الفَرْقُ بَيْنَ التَّمْذِهْبِ وَالْأَتَابَاعِ :

إِنَّ اتَّبَاعَ السَّلْفِ الصَّالِحِ ، وَتَرْسُمُ خَطَاهُمْ فِي فَهْمِ كُلِّ مِنَ الْقُرْآنِ
وَالسَّنَةِ وَالْعَمَلِ بِهِمَا ، وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِمَقْضِيَّ كُونِهِ مُسْلِمًا
مُلْتَزِمًا بِكِتَابِ اللَّهِ وَهَدِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ عِبَادَهُ بِإِطَاعَةِ
رَسُولِهِ ﷺ ، فَقَالَ : « وَمَا أَنَّدُكُمُ الرَّسُولُ فَجَحَذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْهَوُا »^(٢)

[الحشر : ٧] .

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِاتَّبَاعِ سَنَتِهِ وَسَنَةِ خَلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ
الْمَهْدِيِّينَ ، وَاقْتِفَاءِ سِيرَةِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَرْوَنِ الْثَّلَاثَةِ مِنْ
بَعْدِهِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا
ضَلَالٌ لَّهُ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بُسْتَنِيٌّ وَسَنَةُ الْخُلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ
الْمَهْدِيِّينَ ، عَصُّوا عَلَيْهَا بِالْتَّوَاجِذِ »^(٢) .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِيٌّ ،

(١) المصادر : كتاب « السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي » للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى (الطبعة الرابعة عشر) .

(٢) أخرجه الترمذى في سننه ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، برقم ٢٦٦٨ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »^(١) .

ولا معنى لإعلان هذه الخيرية إلا الأمر باتباعهم والاقتداء بهم .

ولكنا عرفنا أيضاً أن التمذهب بمذهب جديد اسمه « السلفية » يقوم على عصبية الانتفاء شيء آخر لا شأن له بالاتباع المطلوب ، بل لا يتفق معه كما قد رأينا في كثير من الجزئيات والتفاصيل .

ولكن هل من فرق بين التمذهب بمذهب يسمى « السلفية » ، واتباع السلف ؟

وما هو هذا الفرق إن كان موجوداً ؟

التمذهب بالسلفية ، يعني أن للسلف مذهباً خاصاً بهم ، يعبر عن شخصيتهم ، وكينونتهم الجماعية ؛ ثم إنه يعني أن هؤلاء الذين دخلوا في هذا المذهب هم من دون سائر المسلمين الذين يمثلون حقيقة الإسلام وينهضون بحقه ! فالإسلام يغدو من خلال هذا التصور والفهم هو التابع لهذا المذهب وأصحابه ؛ يسير أنّى ساروا ويتبنى من المبادئ والأحكام والآداب ما يتبنونه ويرونه ، ويحارب من ذلك كله ما يحاربونه !

أما اتباع السلف ، فإنما يعني تكرييم أولئك الذين أمر رسول الله ﷺ بتكرييمهم من أصحاب تلك القرون الثلاثة الأولى ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، برقم (٣٤٧٢) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، برقم (٤٧٠٤) عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

والذين أخلصوا دينهم الله واعتصموا - صادقين - بحبل الله ؛ كما يعني اتباعهم في فهم الإسلام والاقتداء بهم في المنهج الذي تَرَسَّموه في فهم نصوص كل من القرآن والسنة واستنباط المبادئ والأحكام .

فالإسلام - في الحقيقة - هو المُتَّبع ، ومنهجه في الدرأة والفهم هو المحور والأساس .

وإنما السلف الصالح الذين أخلصوا دينهم الله هم الأدلة والهداة في الطريق إلى ذلك المؤهل والأساس ؛ وإنما ارتفعت قيمة من ارتفعت قيمته منهم ، وهبطت درجة من هبطت درجته منهم ، فخرجوا من دائرة السلف الصالح وإن عاشوا في عصورهم ، بمقتضى ميزان هذا الدين ومنهجه .

فهو الذي رفع منهم أناساً ووضع آخرين كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(١) .

هذا هو الفرق بين التمذهب بمذهب يسمى « السلفية » ، واتّباع السلف الصالح تحقيقاً لوصية رسول الله ﷺ .

ومن الواضح أن الثاني من جوهر الدين ولُبِّه ، وأساس من أسس السنة المطهرة التي دعا إليها رسول الله ﷺ ، وأن الأول ابتداع لشيء لم يأذن به الله ، وتخيل لأمرٍ لم يكن له أي وجود في التاريخ .

(١) أخرج مسلم في صحيحه ، باب فضل من يقوم بالقرآن ، برقم (١٣٩٥) عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهِذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً ، وَيَنْهَا بِهِ آخَرِينَ » .

فإن العصور الثلاثة المباركة الأولى في صدر الإسلام ، لم تشهد ظهور مذهب في قلب الأمة الإسلامية اسمه المذهب السلفي أو مذهب السلف ، له مقوماته ومميزاته التي تفصله وتميزه عن سائر المسلمين ، وتجعل لهم مرتبةً يتبوؤنها في العلو والشرف من دون سائر الذين لم يكن لهم شرف الانتفاء إلى هذا المذهب .

وإنما كانت ثمة مزية واحدة لا تدانيها ولا تنافسها أي مزية أخرى ، هي مزية الاصطباخ عن صدق بهذا الدين ، ثم فهمه والعمل به . فكُلُّ من تشرف بهذه المزية تبُوا بحق تلك المرتبة العليا في الدنيا والآخرة .

وكان بذلك فرداً بل عضواً عاملاً في جماعة الأمة الإسلامية الواحدة لا يحجزه عنهم زمان أو مكان .

وكُلُّ من لم يكن له شرف هذه المزية بأن خرج على الإسلام ، أو شدَّ عن شيءٍ من أصوله ومنهجه في الدرائية والفهم ، فقد قذفه شدوذه هذا وراء سور الجماعة الإسلامية . فهو مقطوع النسب عنها ، دون أن يشبع شدوذه زمان متقدم أو مكان متميز أو قربٍ من رسول الله ﷺ ، أو انغمسٍ في عصر السلف . وقد علمنا أن عصر السلف ضمَّ فرقاً وجماعاتٍ شتى شدوا عن الميزان المحكم والمنهج المتبعد ، فلم تغනهم سلفيتهم من الله شيئاً وكانوا شرّاً من كثير من المبتدةعة الذين ظهروا في العصور المتأخرة من بعد .

إذاً ، فإن من السهل على كل ذي بصيرة ، أن يعلم أن الإطار الذي

يحدد دائرة الجماعة الإسلامية المستقيمة على صراط الله عز وجل ، هو الانضباط بالقواعد والأصول المتفق عليها في فهم النصوص العربية عامة ونصوص القرآن والسنة خاصة ، بعد التقيد بمنهج المعرفة في التفريق بين العقائد والأفكار الباطلة الزائفة والعقيدة السليمة الصحيحة التي تنبع من دعائم المنطق والعلم .

فمن التزم بتلك القواعد التي تم الاتفاق عليها ، واجتهد فيما وقع الاجتهد فيه منها ، فهو واحد ممن دخلوا بحمد الله في دائرة الجماعة الإسلامية ، أيًّا كان عصره الذي عاش فيه . وإنما للسلف الصالح عليهم مزية واحدة ، هي ما كانوا يتمتعون به - بسبب قربهم من رسول الله ﷺ - من صفاء الرؤية لمبادئ الإسلام ونصوص القرآن والسنة ، فكانوا بحقٍّ أئتَذَ لمن بعدهم في كيفية الالتزام بالمنهج ، وكيفية تطبيق القواعد المرسومة في تفسير النصوص .

شأنهم في ذلك ك شأن الرعيل الأول من العرب الذين كانوا - بحقٍّ - أئتَذَ لمن بعدهم من علماء العربية وقواعدها في فهم تلك القواعد وتطبيقاتها وحدود العمل بها .

ومن هنا يتجلّى الفرق بين التمذهب بمذهب يسمى اليوم بالسلفية ، وبين اتباع ذلك الرعيل الأول الذين كانوا بحق أئتَذَ لمن بعدهم في كيفية فهم الدين وفي تبصيرهم في المنهج الذي ينبغي أن يُحَكِّمُوه في فهمه وتطبيقه .

فالفريق الأول : وهم مبتدعون لم يكن له أي وجود في عصر السلف الصالح رضوان الله عليهم .

والثاني : واجب بإيجاب رسول الله ﷺ بالمعنى الذي أوضحتناه وشرحناه .

ولو صحّ لهؤلاء الذين ابتدعوا هذا المذهب ثم نسبوا أنفسهم إليه ، وجعلوا لأنفسهم به شارةً يمتازون بها عن سائر المسلمين ، أقول : لو صحّ لهؤلاء أن يستتبوا لأنفسهم هذا المذهب من الواقع الإسلامي العام الذي كان يمرُّ به عصر السلف ، فإنه يصحُّ - من باب أولى - لغيرهم أن يستتبوا منهجاً إسلامياً آخر من الواقع الذي كان يمرُّ به عصر الخلفاء الراشدين ، ثم ينسبوا أنفسهم إليه ، فيقولوا عن أنفسهم : « راشدين ! » وربما امتلكوا الحجّة القاسية التي بواسعهم أن يغالبوا بها من يسمون أنفسهم : « السلفيين » .

ذلك لأن رسول الله ﷺ إنما قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)^(١) ولم يقل : « السلفيين » .

بل يصح لفريق ثالث أن يستخرج مذهبًا ثالثاً من واقع عصر الصحابة ، ثم يتتمي إليه ، ويسمى كلُّ أفراد هذا الفريق « أصحابين » ! ولن يعدم مبتدعوا هذا المذهب أو ذاك ، أن يجمعوا له المقوّمات الكافية لإبراز ذاتيته وشخصيته اللتين يمتاز بهما عن سائر

(١) تقدّم تخرّيجه .

المذاهب الأخرى ، من اجتهادات وآراء في الاعتقاد والسلوك ، كي تتحدد بها معالمه وقوالبه ، ويقوم بذلك الفارق - المبارك ! - بينه وبين ما عليه سائر المسلمين .

ولا شك أن أصحاب كلّ من هذه المذاهب ، سيسفهُ ويُيدعُ دُعاة أو أصحاب المذاهب الأخرى ، وسيجعل كلّ منهم من خلافاته الاجتهادية وآرائه التي ييرز شخصيته المذهبية بها سلاحاً لمقاومة الآخرين ، ونسبتهم إلى الزَّغل والابداع ! ولا شك في أن كلّ فريق محقّ فيما يتَّهم به الفرق الأخرى ، إذ كلّ منهم جانح - فيما هو فيه - عن المنهج الإسلامي السديد الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، سواء الذين كانوا منهم في عصر الصحابة والخلافة الراشدة ، أو الذين جاؤوا على أعقابهم من بعد .

فإنهم كانوا يختلفون بلا ريب ، ولكنهم لم يقسموا أنفسهم شيئاً وأحزاباً ، على قدر الآراء والمذاهب التي اختلفوا إليها ، إن كان يجمعهم الخضوع للمنهج الواحد ، فلا جرم أن خلافاتهم الاجتهادية ضمن سلطان هذا المنهج لم تكن لتفرقهم قدداً ، بل سرعان ما يذوب أثرها في ضرام الألفة الإسلامية الجامعة ، ولذلك فإنه لم نسمع أن صاحب أي اجتهد مخالف نسب صاحبه إلى الجنوح والابداع ، ثم أخذ التي اختصّ بها مُظهراً لشخصية مذهبية خاصةٍ به وبين انضم إلى رأيه ، ثم أخذ ينتصر لمذهبة هذا من حيث يحارب الآراء والاجتهادات الأخرى وأصحابها . نعم لم نسمع أن صاحب أي اجتهد منهم عمد

إلى شيءٍ من ذلك ، ما دام الكلُّ يتحرَّك داخل خط المنهج المرسوم للمعرفَة ولِتَفسير النصوص .

فأما أولئك الذين شَرَدوا عنِّه ، فلا ريب أنَّ جنوحهم هو الذي أقام الحواجز الكثيفة بينهم وبين الآخرين ، وفصلَهم عن جسم الجماعة الإسلامية ، فكانوا بذلك فرقاً مستقلة ، ومذاهب ذات أهواء وعصبية وغلوٍ في الباطل ، وكان بديлем الوحيد - عن ذلك المنهج الذي تمردوا عليه - العصبية للنفس والانتصار للذات .

ولا يسبقَ الوهم إلى ذهنك ، فتقول : ولكن هم السلف الصالحون قد اجتهدوا في الأحكام الفقهية ، فأوصلتهم خلافاتهم الاجتهادية تلك إلى حيث فرقتهم في مذاهب فقهية شتى ، أقلها المذاهب الفقهية المعروفة .

ذلك لأن هذه المذاهب لم تكن تعبر عن أكثر من جملة آراء اجتهادية وصل إليها أصحابها بعد البحث والنظر ، فلم يكن لهم بدُّ من حكم الشارع جل جلاله من العمل عليها والأخذ بها ، أما صلة أصحاب هذه المذاهب بعضهم ببعض ، فقد كانت على خير ما يرام .

وكانت تشملهم جميعاً دائرة الجماعة الإسلامية الواحدة ، ويضمهم سلطان ذلك المنهج الواحد المعتمد لديهم جميعاً في الاجتهد وتفسير النصوص .

ثم إن كلاً منهم كان عوناً للأخر في جهده الاجتهادي ، وكان

جميعهم يُدرك جيداً أن كلاً منهم مكلف بالعمل بما أدى إليه اجتهاده .

فأين هذا الواقع التعاوني ممن يتّخذون من جملة ما تبنّوه من آرائهم وأفكارهم الاجتهادية في العقيدة أو السلوك عنواناً على شخصيتهم الإسلامية المتميزة عما عليه سائر المسلمين ، ثم يجعلون من آرائهم تلك ما يشبه متاريس وتحصينات مسلحة ، ليحاربوا من داخلها كلَّ ما يخالفهم في الاجتهد والرأي ، مهما كانوا ملتزمين بالأصول والقواعد الاجتهادية المتفق عليها من قبل سائر علماء المسلمين وأئمتهم سلفاً وخلفاً ! وهناك طائفة كبيرة من المسائل الاجتهادية التي تحتمل أكثر من رأي في نطاق التَّمَسُّك بكلٍّ من الكتاب والسنة ، والتي اختلف السلف أنفسهم في كثيرٍ منها ، ثم عمد من يُسمُّون أنفسهم اليوم بالسلفية إلى هذه المسائل فحصرروا وجه الحق فيها في رأيٍ وقولٍ واحدٍ ، هو الرأي الذي طاب لهم أنْ يأخذوا به ، ثم جعلوا من رأيهم ذلك عنواناً على الدين الحق ، وبرهان ضلالٍ وسفهٍ لكلٍّ من خالفهم ، دون أي التفات إلى الموازين والقواعد الأصولية التي يُتقبَّل فيها أكثرُ من اجتهد ورأيٍ ، ودون تقدير لاختلاف السلف أنفسهم في كثير منها !

إذاً فقد اتضح لك الفرق بين اتباع السلف الذي هو جزء لا يتجزأ من آداب الفهم والسلوك الإسلامي ، والتمذهب بالسلفية الذي هو شيءٌ جديدٌ وتصورٌ طارئٌ على حقيقة المفهوم الإسلامي ، والذي لا ينهض وجوده إلا على تقسيم المسلمين إلى فريقين .

ولكن ما الدليل التفصيلي على أن التمذهب بالسلفية شيء طارئ على المفهوم الإسلامي ، وأنه من أجل ذلك بدعة لا تتفق مع اتباع السلف ؟ هذا ما سنبينه الآن ب توفيق الله وعونه .

* * *

الدليل على أن التمذهب بالسلفية بدعة

متى ظهر التمذهب بالسلفية؟

من المعلوم لنا جميعاً أن عصر السلف كان يضم فئات خارجة عن
الملة من كتابيين وغيرهم .

وكان يضم فرقاً وفئات تتنسب إلى الإسلام ، ولكنها جانحة عن
المنهج المجمع عليه ، والمعتمد من قبل عامة علماء المسلمين
وأئمتهم في فهمه وتفسير نصوصه ، لعوامل وأسباب مختلفة - لسنا
الآن بصدده تحليلها وشرحها - ، فزجّها هذا الجنوح في متأهاتٍ
وضلالاتٍ شتّى ، وَفَرَقَهَا أَوْزَاعًا في سبل تلك الضلالات ، فكان منها
المعترضة والمرجئة والخوارج . . . وغيرها .

ثم إنَّ كلاًً من هذه الفرق انقسم على نفسه وتفرق إلى فرق ومذاهب
شتى ؛ أكثرهم يكفرُ بعضهم بعضاً .

وكان عصر السلف يحوي إلى جانب هذا الخليط ، السواد الأعظم
والأكثرية الساحقة ، وهم المسلمون الذين احتكموا إلى الميزان الذي
أخذوه من طريقة فَهُم رسول الله ﷺ وأصحابه وآل بيته للنصوص ،
ومنهجهم في التفسير والتأويل والنظر والاجتهاد ، فاجتمعت كلّ مذهبهم
عليه وصالحوا ، - وبتعبير أصح : وَفَقُوا - بين الرأي والنصوص على
أساسه .

وليس لنا - في هذا المقام - من شأنِ باؤلئك اللذين تاهوا وضلوا ، وإن تفاوتوا في الانحراف والضلال . وإنما يقتصر حديثنا على هذا السواد الأعظم . تُرى ما هو مناط تشرُّفهم بهذا اللقب ؟ وما السر الذي جعلهم ، دون غيرهم ، جماعة المسلمين التي نَوَّه رسول الله ﷺ وأشاد بها ، وأمر باتباعها والالتفاف حولها في أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر المعنوي ؟

لقد كان مناط استحقاقهم لهذا اللقب :

التزامهم بمنهج المعرفة القائم على التنسيق الدقيق بين حكم العقل ودلالة النقل - وهذا التنسيق نَبَّهَ إليه البيان القرآني وأرشد إليه ، وربَّى المسلمين الصادقين في إسلامهم على أساسه - . ثم التزامهم بالقواعد العربية المعتمدة في تنسيق النصوص .

ولقد كان لهم في فهم رسول الله ﷺ لكتاب الله واجتهادات الصحابة في تفسيره وتأويله ، خير مظهر تطبيقي لذلك كله .

إذن فلم يكن الحاجز الذي فصلَ ما بين المسلمين وبقية الفرق التائهة المتخاصمة ، والذي أبرز وحدة هذه الجماعة وسيرها على صراط واحد لا اضطراب فيه ولا اعوجاج ، أقول : لم يكن هذا الحاجز شعاراً مذهبياً رفعوه فوق رؤوسهم ثم تكتلوا من حوله فامتازوا به عن كل من لم ينضو معهم تحته ، ألا وهو التمذهب بمذهب السلفية ! بل لم يكن يخطر هذا الشعار منهم على بال .

كيف ولو عَرَّروا عن كينونتهم الجماعية ووحدتهم المذهبية بهذا

الشعار ، إذن لدخل معهم في هذه الكينونة الجامعة سائر تلك الفرق الجانحة عن الحق ، الشاردة عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، إذاً إنهم جميعاً مصبوغون بصبغة هذا الشعار ، سواء انتموا أم لم يتمموا إليه . بل إنهم السلف أنفسهم لا المذهب الذي ينتمون إليه ، فهم بكل فئاتهم وأشتاتهم أصل هذا المذهب وجذوره ، دون أي تفريق بين مهتد وزاغ وبين صالح وطالع ! ولكن ما من عاقل إلا ويعلم أن لا أثر لهذا الشعار ولا التمذهب الذي يسود اليوم على أساسه ، في إبراز وحدة الجماعة الإسلامية التي سُميت بأهل السنة والجماعة ، وفي فصلها عن متأهات أهل الزيغ والضلال . وإنما الذي أبرز طوق هذه الوحدة ، منفصلة عن أصحاب تلك المتأهات ، إنما هو التزام أهلها بالمنهج أولاً ، ولفهم نصوص القرآن والسنة ثانياً ، ولأصول الاجتهد وقواعده ثالثاً .

فكل من التزم بهذا المنهج فقد دخل في دائرة هذه الوحدة ، وإن عاش في القرن الأخير من عمر الدنيا .

وكل من لم يلتزم به فقد خرج عن دائرة تلك الوحدة الجامعة ، وإن عاش في أول قرن من عمر الإسلام .

فقد ثبت إذن أن التمذهب بالسلفية - الذي يحتل في تصوّر كثير من الناس اليوم محل ذلك الميزان الجامع - لم يكن معروفاً لدى أهل السنة والجماعة من السلف الصالح في القرون الثلاثة المباركة الأولى ، ولم يكن هذا الانضواء تحت شعاره ليخطر منهم على بال .

ثم إن الأمر استمر على النهج الذي أوضحنا خلال القرون التالية من بعد ، فقد كان أهل تلك القرون ما بين ملتزم في فهمه وسلوكه الإسلامي بالمنهج المذكور ، مقتدياً في ذلك بمن قد سبقه من أهل السنة والجماعة ؛ وشارد في فهمه أو سلوكه عن ذلك المنهج بشكل كلي أو جزئي .

فكان الفريق الأول منصوياً على مرّ القرون تحت جماعة المسلمين التي تُشكّل السّواد الأعظم من الأمة الإسلامية في كلّ عصر ، وكانت الفرق الأخرى خارجة عنها على تفاوتٍ في مسافة البعد فيما بينها ، حسب مدى شذوذها عن أصول المنهج المتفق عليه .

ولم نعلم أن في أهل هذه القرون الغابرة كلها ، من قد استبدل بهذا المنهج الذي كان ولا يزال فيصل ما بين أهل الهدایة والضلال ، التمذهب بمذهب يسمى السلفية ، بحيث يكون الانتماء إليه هو عنوان الدخول في ساحة أهل الهدایة والرشاد ، وعدم الانتماء إليه هو عنوان الجنوح إلى الزّيغ والضلاله والابداع .

ولقد أصغينا طويلاً ، ونقبنا كثيراً ، فلم نسمع بهذا المذهب في أيّ من عصور الإسلام الغابرة ولم يأتِ من يُحدّثنا بأنَّ المسلمين في عصر ما قد انقسموا إلى فئة تسمى نفسها « السلفية » وتحدد شخصيتها المذهبية هذه بآراء محددة تنادي بها وأخلاقية معينة تصطبغ بها ، وإلى فئة أخرى تسمى من وجهة نظر الأولى : بدْعَيَّة أو ضلاليَّة أو خلَفَيَّة أو نحو ذلك . . .

كل الذي سمعناه وعرفناه أن ميزان استقامة المسلمين على الحق أو جنوحهم عنه إنما مرده إلى اتباع المنهج المذكور ، مُجسّداً ومتجلياً في سلوك السلف الصالح رضوان الله عليهم ، أو الشرود عنه بشكلٍ ما .

وما اتبع السلف إلا الصبغة العامة لسائر المسلمين ، وما معناه إلا الاستضاءة بسلوكهم وعلومهم في فهم هذا المنهج والتمرس على تطبيقه بشكلٍ سليم .

وكمَا صَحَّ للسلف الصالح أن يختلفوا تحت مظلة هذا المنهج المُتَّبع ، فلا ريب أنه يصَحُّ لمن جاء بعدهم متبعاً لهم ومقتدياً بهم أن يختلفوا تحت تلك المظلة ذاتها كما اختلفوا .

وكمَا أن اختلاف السلف لم يمزِّق وحدتهم الإسلامية إلى شطرين (ملتزم وزائغ) .

فإنَّ اختلاف من بعدهم أيضاً لم يؤثِّر على وحدتهم الإسلامية ، ولم يجعل شطرين (سلفياً وبديعياً) .

وهكذا ، فقد مرَّ التاريخ الإسلامي بقرونٍ الأربعة عشر ، دون أن نسمع من أيٍّ من علماء وأئمة هذه القرون أن برهان استقامة المسلمين على الرشد يتمثل في انتسابهم إلى مذهب يسمى بالسلفية ، فإنَّهم لم ينتموا إليه ويصطبغوا بميزانه وضوابطه فأولئك هم البدعيون الضاللون .

إذن ، فمتى ظهرت هذه المذهبية التي نراها بأم أعيننا اليوم ،

والتي تستثير الخصومات والجدل في كثير من أصقاع العالم الإسلامي ، بل تستثير التنافس والهرج في كثير من بقاع أوروبا ، حيث يُقبل كثير من الأوروبيين على فهم الإسلام ويبذلون رغبةً في الانساب إليه ؟

لعل مبدأ ظهور هذا الشعار (السلفية) كان في مصر ، إبان الاحتلال البريطاني لها ، وأيام ظهور حركة الإصلاح الديني التي قادها وحمل لواءها كلُّ من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، فلقد اقتنى ظهور هذه الحركة بارتفاع هذا الشعار .

ويعود السبب في ذلك إلى واقع مصر آنذاك ، فقد كانت على الرغم من وجود الأزهر وعلمائه ، والحركة العلمية الناشطة في أرجائه ، بل في أرجاء مصر كلها ، كانت على الرغم من ذلك مثابة لكثير وأنواع شتَّى من البدع والخرافات التي أخذت تكثر وتتنامي في أرجائها ، وفي أطراف الأزهر نفسه ، التي لا أصل لها في الدين ، ولا تدخل إلا في باب الشعوذة والعتَّة آناً ، واللهو والمرح والإباحية آناً آخر .

أما في داخل الأزهر نفسه فقد تحولت أنشطته العلمية إلى رسوم شكلية جامدة باهتة ، وغدت مجرَّد مماحكات لسانية وصيغ وعبارات متوازنة مأثورة ، لا علاقة لها بالحياة ولا صلة لها بواقع الناس .

ولم يكن الأزهرى منبتاً عن المجتمع فقط ، بل لم يكن يشعر أيضاً بأنه يحمل رسالة إصلاح أو تغيير ، هذا عدا عن الأوساخ التي كانت

تفيض بها أماكن الجامع الأزهر وأروقته وصحنه والأزقة المحيطة به ، مما يبعث الشمئز في النفوس والكرابية في القلوب .

ولقد كان الناس أمام هذا الواقع المشين فريقين اثنين :

فريق يرى الانضمام إلى ركب الحضارة الغربية والتخلص من بقايا القيود والضوابط ، بل حتى الأفكار الإسلامية .

وفريق يرى إصلاح أمر المسلمين بإعادتهم إلى الإسلام الصحيح النقي عن سائر الخرافات والبدع والأوهام ، وإطلاق الإسلام عن عزلته التي فرضها عليه كثير من شيوخه الأزهريين ، وربطه بجملة الحياة الحديثة والبحث عن سبل التعايش بينه وبين الحضارة الوافدة .

ولقد كان كل من الشيخ محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني يمثلان طليعة هذا الفريق الثاني ، وكانوا لواء الدعوة إلى الإصلاح بجدٍ وصدقٍ .

ونظراً إلى أنَّ كل دعوة إصلاحية ينبغي أنْ يُرتفع لها شعار معين بين الأوساط ، تتجدد في حقيقته ومعناه ، بحيث ينجذب الناس عن طريقه إليها ؛ فقد كان الشعار الذي رفعه أقطاب هذه الحركة الإصلاحية هو « السلفية » وكان يعني الدعوة إلى نبذ كل هذه الرواسب التي عَكَرت على الإسلام طُهْرَه وصفاءَه ، من بَدْعٍ وخرافات وتقوُّقٍ في أقبية العزلة وبعده عن الحياة ، بحيث يعود المسلمون إلى فهمهم للإسلام واصطباغهم به إلى عهد السلف الصالح رضوان الله عليهم ، اقتداءً بهم وسَيِّراً على منوالهم .

وقد كان المعنى الذي يُلْحُون عليه في الرجوع إلى عهد السلف وسيرتهم ، هو التخلص من البدع والأوهام والخرافات التي تكاثفت من بعدهم ، ثم رسبت واستقرت في قاع أكثر المجتمعات الإسلامية وفي مختلف البلدان ، التي تُعبّر عن حقيقة الإسلام في كل عصرٍ بشعارٍ آخر غير كلمة « السلف » أو « السلفية » .

وهل ثمة شعار أصدق بهذه المعاني وأصدق في التعبير عنها من كلمة (الإسلام) ذاتها ؟

أعني الإسلام المصنفَ عن الشوائب الدخيلة والتزايدات الباطلة ، ولكن طاب لأقطاب تلك الحركة الإصلاحية أن يستثروا غيرة الناس على الإسلام ، ويهجرو كراهيتهم للصورة التي انتهى إليها حال أكثر المسلمين بمقارنةٍ فكرية يعتقدونها بين واقع الإسلام والمسلمين في عصره الأول المشرق ، وواقعه معهم في هذا العصر القاتم المظلم ، ثم أن يجعلوا من ارتباط الإسلام بعصر السلف مناط كل سعادة وتقدير وخير . إذن فقد اختير للسير في تلك الحركة الإصلاحية شعار « السلف » أو « السلفية » بدافع من هذه المقارنة ، وأملاً في أن يكون ذا تأثير إيجابي على النفوس التي تظل تنشد أمجاد الإسلام الغابرة ، وتعتز ببطولات الرعيل الأول من المسلمين .

في هذا العهد إذن - ولأسباب التي أوضناها - ولد شعار « السلفية » حيث تبناه ونادى به لأول مرّة أقطاب حركة الإصلاح الديني وفي مقدمتهم محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ورشيد

رضا ، وعبد الرحمن الكواكبي وأمثالهم .

غير أن هذا الشعار لم يكن يعني آنذاك مذهبًا إسلاميًّا ينتمي إليه دعاته ورافعو لوانه ، كما هو الحال الآن بالنسبة لكثير من الناس ؛ وإنما كان عنوانًا على دعوةٍ ، وتعريفًا بمنهجٍ ، وتعبيرًا بطريق المفهوم المخالف عن مدى انغمس أكثر الناس في البدع والخرافات ، وبعدهم عن الإسلام الذي كان يتحلى به السلف الصالح رضوان الله عليهم .

هذا مع العلم بأن تلك الحركة الإصلاحية ، على الرغم من اتخاذ شعار السلفية عنوانًا لها ، فإنه في الوقت الذي حاولت فيهقرب من السلف في زاوية بعينها - وهي التي تتعلق بالبدع والشعودة والخرافات - ابتعدت عن السلف وأعرضت عن حاله وواقعه بالنسبة لكثير من الزوايا والجوانب الأخرى ، ولقد كان لحركة الإصلاح الديني هذه أثر كبير في الترويج لكلمة « السلف » و« السلفية » في الأوساط الثقافية والاجتماعية العامة ، بعد أن كانت كلمة ذات دلالة محدودة ، لا تستعمل إلا في مناسبات علمية ضيقة .

فلقد رأينا في أوائل هذا القرن كيف أخرجت الكلمة من حدودها العلمية الضيقة ، وأطلقت عنوانًا على مجلات ، واختيرت اسمًا لمطبع ومتاجر ، كالمكتبة والمطبعة السلفية المشهورتين في مصر ، واللتين كان يديرهما السيد محب الدين الخطيب .

وهكذا لمعت الكلمة في الأوساط وأصبح لها رنين في الأسماع

واقتربت بالتمجيد الذي ناله حركة الإصلاح الديني على يد أقطابها المعروفيين .

في هذه الفترة كان المذهب الوهابي المنسوب إلى صاحبه محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ / ١٧٩٢-١٧٠٣م) منتشرًا في نجد وبعض أطراف الجزيرة العربية ، لعوامل معروفة ليس هنا مجال ذكرها وبيانها .

وقد كان بين المذهب الوهابي هذا والدعوة التي حملها رجال «الإصلاح الديني» في مصر قاسم مشترك ، يتمثل في محاربة البدع والخرافات ولا سيما بدع المتصوفة ، فراجحت كلمة السلف والسلفية بين أقطاب المذهب الوهابي ، من جراء هذا الجسر الواصل بين هذا المذهب وتلك الحركة ، ولقيت هوًى في نفوس كثير منهم في الوقت الذي كانوا يتبرّرون بكلمة الوهابية التي توحّي بأن ينبع هذا المذهب - بكل ما يتضمنه من مزايا وخصائص - يقف عند محمد بن عبد الوهاب ، فدعاهم ذلك إلى أن يستبدلوا بكلمة الوهابية هذه ، كلمة «السلفية» .

وراحوا يُروجون هذا اللقب الجديد عنواناً على مذهبهم القديم المعروف ، ليوحوا إلى الناس بأن أفكار هذا المذهب لا تقف عند محمد بن عبد الوهاب ، بل ترقى إلى السلف ، وأنهم في انتماءهم لهذا المذهب أمناء على عقيدة السلف وأفكارهم ومنهجهم في فهم الإسلام وتطبيقه .

وهكذا تحولت الكلمة من شعار أطلق على حركة إصلاحية للترويج لها والدفاع عنها ، إلى لقب لُقْب به مذهب يرى أصحابه أنهم دون غيرهم من المسلمين على حقٍّ ، وأنهم دون غيرهم الأمانة على عقيدة السلف ، والمعبرون عن منهجهم في فهم الإسلام وتطبيقه .

* * *

التمذهب بالسلفية بدعة لم تكن من قبل

ونقول الآن : أما تحديد معالم الأمة الإسلامية الناجية بفضل الله وتوفيقه يوم القيمة بأنها التي يمكن أن تُوصف بأنها السواد الأعظم في جماعات المسلمين وفرقهم وفئاتهم ، فهو تحديد يرجع إلى سُنَّة النبي ﷺ وبيانه ، وإلى التعبير الذي تمّ وصفها به بإجماع من أئمة المسلمين وخيرة السلف الصالح . فإذا عرَّف المسلم اليوم نفسه بأنه مسلم ، فهو لم يبتدع لنفسه وصفاً دينياً لا يوجد ما يؤيده في كتابٍ أو سُنَّة ، بل انتسب إلى الجماعة التي أمر رسول الله ﷺ المسلمين من بعده بالانضمام إليها ، وإنما المحور الجامع لها اتباع كتاب الله والالتزام بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنموذج المقتدى به في ذلك ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وآل بيته وأتباعه مِنْ بَعْدِه .

وأما إذا عرَّف المسلم نفسه بأنه ينتمي إلى ذلك المذهب الذي يسمى اليوم بالسلفية ، فلا ريب أنه مُبتدع ، ذلك لأن ترجمة الكلمة « السلفية » إن كانت تتطابق مع ما تدلُّ عليه كلمة « أهل السنة والجماعة » فقد ابتدع لجماعة المسلمين اسمًا غير الذي أجمع عليه السلف رضوان الله عليهم ، وحسبُ هذه التسمية المبتدةة التي لا داعي لها أَنَّها تُثير الاضطراب والشقاق في صفوف المسلمين .

وأما إن كانت لا تتطابق مع مدلولها - وهذا هو الواقع - فالابداع ثابت في الكلمة المُخترعة ، وفي مدلولها الباطل ؛ الذي تُثبتُ رايته وتعلّي شأنه بديلاً عن الحق الذي أجمع عليه السلف من خلال إجماعهم على كلمة « أهل السنة والجماعة » .

ثم إن الابداع ثابت في اتخاذ كلمة « السلفية » هذه ، بما تحمله من دلالة مُبتدعة ، عنواناً على جماعة إسلامية جديدة تقطع من جسم الجماعة الإسلامية العامة الوحدة المصطبة بشعار « أهل السنة والجماعة » والمتمسكة بمدلوله !

فالسلفيُّ اليوم كُلُّ من تمسَّك بقائمة من الآراء الاجتهادية المُعینَة ، ودفع عنها ، وسفَهَ الخارجين عليها ونسِبُهم إلى الابداع ، سواء منها ما يتعلّق بالأمور الاعتقادية ، أو الأحكام الفقهية والسلوكية ، وقد تحدثنا بإسهاب عن كثير من هذه الآراء^(١) . وأوضحتنا أن القول الفصل في حكم من لم يتمسَّك بها ، واتبع اجتهادات أخرى بشأنها ، إنما هو للمنهج المتفق على اعتماده في تفسير النصوص أو تأويلها ، فإن كان من شأن هذا المذهب أن يتَسَعَ للأخذ بأكثر من رأي فيها ، فالكلُّ مُثَابٌ و مَأْجُورٌ . ولا يخرج هذا الخلاف أصحابه عن الدائرة الجماعية الإسلامية الواحدة ، إنما هي أحد الاحتمالات التي يقتضيها اتباع المنهج المعتمد والمُحَكَّم ، فيفهم الأدلة والنصوص التي تستند

(١) ينظر كتاب الدكتور الشهيد : « السلفية » .

إليها تلك الآراء ، وما الآراء التي تقابلها إلا نتيجة الاحتمالات الأخرى .

فكل من حصر الحق في الرأي الذي انتهى إليه ، وعدّ صاحب الرأي الثاني مبتداً أو زائغاً - على الرغم مما أوضحتناه من أن الرأيين نابتان في حقل المنهج المتفق عليه - فهو المُبتدع حقاً ، وهو المُفرّق لجماعة المسلمين ، والمُتسبّب لإثارة البغضاء فيما بينهم دون أي موجب أو عذر ، وهو المُتنكب عن إجماع المسلمين إذ أعرض عن المنهج المحكم في أعمالهم وأفكارهم الاجتهادية .

وهو المنهج الذي جمع شمل فريقين من خيرة رجال السلف الصالح على صراطٍ واحدٍ ، بعد أن تباعدوا - مدةً من الزمن - في طريقين اثنين :

أحدهما : ما يسمى بطريق أهل الرأي .

والثاني : ما يسمى بطريق أهل الحديث .

فأصبحت اختلافاتهم في ظل هذا المنهج تعاوناً أخوياً رائعاً في السير الحق ، وفي السعي للتعرف عليه .

فهؤلاء يعرضون عن هذا المنهج الذي تقيد به السلف ، فكان تقيداً جعل اتفاقهم بفضلـه ، واحتلافهم على هديـه ، ويستبدلون به عصبيـتهم الذاتـية وعنـادـهم المذهبـي ، ثم يـنـتـعـون كلـ من خـالـفـهـمـ الرـأـيـ بالـابـداعـ والـمـرـوـقـ ! ..

فهل من ابـداعـ في شـرـعـ اللهـ أـجـلـىـ وـأـوـضـحـ منـ هـذـاـ الـابـداعـ ؟ !

كنا نصلِّي العشاء جماعة ذات ليلة ، في إحدى البلاد العربية ، مع جمع من أهل العلم ورجال الفكر ، ورفع أحدنا يده بعد الصلاة يدعُو الله عز وجل ، وببدأ البقية يؤمّنون على دعائه .
فقام أحد الحاضرين - وكان سلفي التمذهب - وفارق الجماعة كي لا يشهد هذا المنكر ويُشترك معنا فيه .

قلت له : ما وجه الحظر في هذا الأمر ؟

قال : لم يكن من هدي رسول الله ﷺ الدعاء بعد الصلاة ، إنما كان يدعُو أئمَّتها !

والامر الذي نراه مبتداً ومستنكراً من هذا الرجل وأمثاله ، لا يتمثّل في أن يميل إلى الرأي الاجتهادي القائل بأن الدعاء إنما يسن في داخل الصلاة لا من بعدها ، فقد وجد من ذهب إلى هذا الرأي من الأئمة ، متأوّلين حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يعلّم بناته هؤلاء الكلمات كما يعلّم المعلم الغلام الكتابة ويقول : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُنُونِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ »^(١) .

فقد تأوّلوا كلمة « دُبُر الصلاة » بآخر الصلاة ، قالوا : فكان دعاؤه ﷺ بهذه الألفاظ في ختام صلاته قبل التسليم .

وذهب الجمهور إلى أنَّ المراد بـ « دُبُر الصلاة » أي : عقب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب التعوذ من عذاب القبر ، برقم : (٦٠١٤) .

الصلاه ، مستدلين على ذلك باللغة ، وب الحديث أَمْ سَلَّمَهُ رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللهِ كَانَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ ، ثُمَّ سَلَّمَ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَرِزْقًا طَيِّبًا ، وَعَمَلاً مُتَقَبِّلًا »^(١) .

أقول : ليس الأمر المبتدع والمستهجن من هذا الرجل ، أن يشيع أحد هذين الرأيين الموجودين ضمن دائرة الجماعة الإسلامية الواحدة المتألفة .

إنما الأمر المُبتدع يقيناً أن يختار أحد الرأيين ، ثم يجعل اختياره هذا برهان كونه هو الحقُّ الذي يجب المصير إليه ، ويجعل من اختيار الآخرين للرأي المقابل ، برهان كونهم على الباطل الذي يجب الإقلاع عنه ، ثم يقوم فيفارق الجماعة استنكاراً لما هم عليه وتنبيهاً إلى ما يراه من أنهم لا يتتمون إلى الجماعة الإسلامية الناجية التي يجب الانتفاء إليها !

فأي عالمٍ من علماء السلف سلك هذا المسلك العجيب ، ومزقَ وحدة المسلمين وسفه آراءهم الاجتهادية بهذه العصبية الشنعاء ؟ !

ولكم اتهمنا واتهم كثير من المسلمين بالابتداع والمرroc لأننا ذهبنا إلى ما ذهب إليه الجمهور من علماء السلف وغيرهم ، من أنه لا ضير في أن يعزم الرجل على زيارة كلٍ من قبر المصطفى ﷺ ومسجده ! فهذا الذي ذهب إليه الجمهور ، وفي مقدمتهم الحنابلة ، باطل يجب اجتنابه ، لماذا ؟ ... لأن رأي جماعة « السلفية » على خلافه .

(١) أخرجه ابن ماجه في سنته ، باب ما يقال بعد التسليم ، برقم : (٩٢١) .

فمهما كان جماعة المسلمين من يخالفون هذا الرأي ، فإنه يظل مع ذلك هو الرأي الحق ، ويظل الرأي المقابل مع ذلك هو الرأي الباطل . لأن « السلفية » أمضت قرارها الذي لا عودة فيه ، ألا وهو أن القصد إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ بدعة !

وهكذا ، يُصبح الاختلاف في هذه المسألة - بعد التي قبلها - بمثابة خنجر يُمزق جماعة المسلمين الواحدة ويشطرها إلى شطرين : « السلفية » التي هي وحدها عرفت الحق فالترمت به .

و« البدعية » التي هي المارقة عن الحق والتاهمة في أودية الضلال .

وتتأمل في عصر السلف ، وتسأله : من منهم الذي استعمل مثل هذا الخنجر فمزق به شمل المسلمين وفرق جماعتهم ، فلا تجد منهم واحداً أقدم على مثل ذلك .

ولقد أصغيت إلى أحدهم يلقي محاضرة في إحدى الندوات ، يحدد فيها معالم المذهب السلفي ، ويتحدد عن أبرز الشخصيات السلفية في التاريخ ، والأفكار السلفية التي تميزوا بها عن غيرهم .

فذكر من هؤلاء الشخصيات أحمد بن حنبل وابن تيمية . وقال : إن من أبرز مظاهر سلفية أحمد بن حنبل موقفه من مسألة خلق القرآن ، وتحمله في سبيل ذلك المحنة التي تحملها .

وإن من أبرز مظاهر سلفية ابن تيمية اتجاهاته الفقهية الخاصة التي

يتميّز بها ، ومن أشهرها قوله بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقةً واحدةً !

فقلت له - فيما قلت ، وكان قد عُهد إلىَّ بالتعليق على محاضراته هذه - :

لئن كان الذهاب إلىَّ أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقةً واحدةً ، من مميزات المذهب السُّلْفِي ، فلا ريب أن الإمام أحمد بن حنبل ليس سلفياً ، لأنَّه أفتى بأن هذا الطلاق يقع ثلاثةً ، بل إن سائر الأئمة الأربع ينكر ذلك ، لأنهم أجمعوا على أنه يقع ثلاثةً !

ولئن كان الموقف الذي اتَّخذه الإمام أحمد ، فجرَ عليه المحنَة التي ساقها وتحملَها ، من مميزات سلفيته ، فلا ريب أن الإمام الشافعي الذي كان معاصرًا للإمام أحمد لم يكن سلفياً . لأنَّه لم يقف معه ذلك الموقف .

ولقد علمنا جميعاً أنَّ أهل السنة والجماعة كلَّهم متَّفقون على أنَّ كلام الله تعالى غير مخلوقٍ ولا حادثٍ ، وفي مقدمتهم الأئمة الأربع ، وإنما كان سبب المحنَة التي تعرض لها الإمام أحمد دون غيره ، هو ورعه الشديد الذي منعه من أن يُفصّل ويفرّق بين اللفظ والمعنى ، وأنَّ يأتي بتشقيقٍ وتقسيمٍ قد يُثيرُ التباساً في أذهان بعض العامة ، فينسبون إليه أو يفهمون منه ما ليس بحقٍّ ، فيتحملُ أوزارهم يوم القيمة ، وأصحابُ رسول الله ﷺ شأنهم كشأن التابعين من بعدهم ، يتفاوتون في درجة الحيطة والورع ، وما كان لهذا التفاوت

أن يجعلهم شِيَعاً وجماعات وأحزاب .

لقد اتضح إذن - أخي القارئ - بما لا يدع مجالاً للريب ، أن « السلفية » مذهب جديد مُخترع في الدين ، وأن بنianه المتميّز قد كرّنه أصحابه من طائفـة من الآراء الاجتهادية في الأفكار الاعتقادية والأحكام السلوكية ، انتقوها وجمعوها من مجموع آراء اجتهادية كثيرة مختلفة قال بها كثير من علماء السلف وخيرة أهل السنة والجماعة اعتماداً على ما اقتضته أمزجتهم وميولاتهم الخاصة بهم ، ثم حكموا بأن هذا البُنْيَان الذي أقاموه من هذه الآراء المختارة مِنْ قِبَلِهِم وبناه على أمزجتهم وميولاتهم هو دون غيره البُنْيَان الذي يضم الجماعة الإسلامية الناجية والسائرة على هَدِيِّ الكِتَاب والسُّنْنَة ، وكل من تحوَّل عنه إلى آراء واجتهادات أخرى فهم مبتدعون تائرون ! أليس هذا الحكم المبتدع الذي لم يأذن به قرآن ولا سُنْنَة ، ولا سابقة له في أيٍّ من عهود السلف أو الخلف ، من أشنع مظاهر البدع الدخيلة على الدين ؟ ... ولعمري ، لئن لم يكن هذا كله ابتداعاً في الدين ، فما هو المعنى المتبقى للبدعة إذن ؟ وفي أي مثال أو مظهر يبرز ويتجسد ؟ ! هذا كُلُّه بقطع النظر عن الآثار الضَّارة المتنوعة التي تنتشر في جسم المجتمع الإسلامي ، من جراء هذه البدعة التي تتنامى في حقل العصبية النفسية وما نسميه بالأنانية الجماعية .

وهذا ما سنشرع في بيانه إن شاء الله تعالى .

* * *

الآثار الضارة اللاحقة بالأمة الإسلامية من جراء هذه البدعة

هذه الآثار الضارة معروفة وكثيرة ، والحديث عن الآثار المستشرية لهذه الآثار حديث طويل ذو شجون .

وقد فكرت يوماً ما في جمع هذه الآثار مع بيان نتائجها المتنوعة الكثيرة وأبعادها الدينية والاجتماعية والإنسانية المختلفة في كتاب مستقل .

ولكنني رأيت أن هذه الآثار - على جسامتها وخطورتها نتائجها - من المستلزمات الحتمية لنشأة هذا المذهب وانتشاره ، وتصور شريعته ، فلا داعي للتنبيه إلى سوءها وخطورتها ، إلا من خلال التنبيه إلى الابداع الكامن في ذات هذا المذهب على النحو الذي تمَّ بيانه فيما تقدَّم .

فعندئذ يكون لفت النظر إلى هذه الآثار عملاً مفيداً ، بل يكون تأكيداً على ما عرفناه من المعنى البدعي الكامن في شعار هذا المذهب وما ينطوي عليه من عصبية لحقيقة « الأنا » الاجتماعية المتمثلة في أشخاص أو جماعة هذا المذهب ، وقد عرفنا من أوليات الدراسة النفسية أن الأنانية التي جاء الإسلام بذمها والتحذير منها ليست كامنة في كيان الفرد الإنساني وحده ، بل هي تكمن بالمعنى ذاته والخطورة

نفسها - بل ربما أشد - في كيان الفتنة والجماعة ، عندما تتكون هويتها من نسيج أفكارٍ وفلسفة واتجاهات معينة .

فإن هذه الهوية تغدو تربة صالحة لانبعاث أنانية جماعية منها ، الشأن فيها أن تكون في غاية العتو والخطورة ، والتأثيرات السلبية الضارة على المجتمع الإسلامي .

ومحال أن تذوب هذه الأنانية إلا في ضرام الإخلاص لدين الله والالتزام بشرعه المطهر ، معأخذ النفس - على دوام الاستمرار - بمبادئ التزكية وأسبابها ، كما أمر الله عز وجل ، وعلى النحو الذي رسم وبين .

أما وقد تم بيان المعنى البدعي في هذا الشعار وفي تكوين جماعة إسلامية جديدة على أساسه على نحو جلي لا يمتري فيه إلا من تغلبت عليه أنانيته الفردية أو الجماعية ، فإنَّ لفتَ النظر إلى الآثار الضارة اللاحقة من جرائه بكيان المجتمع الإسلامي يكون مفيداً ويأتي دعماً أو تأكيداً لما قد تمَّ بيانه .

ولسوف أكتفي بذكر بعض هذه الآثار ، فربما كان في ذلك غناء عن الإطناب والاستقصاء . ولسوف أقتصر من ذلك على أمرين فقط :

الأمر الأول :

الأذى المتنوع البليغ الذي انحط في كيان المسلمين من جراء ظهور هذه الفتنة المبتدعة ، فلقد أخذت تقارع وحدة المسلمين ، وتسعى جاهدة إلى تبديد تآلفهم وتحويل تعاؤنهم إلى تناحر وتناكر .

وقد عرف الناس جميعاً أنه ما من بلد أو قرية في أي من أطراف العالم الإسلامي ، إلا وقد وصل إليها من هذا البلاء شظايا ، وأصابها من جرائه ما أصابها من خصام وفرقة وشتات .

بل ما رأيت أو سمعت شيئاً من أنباء هذه الصحوة الإسلامية التي تجتاح اليوم كثيراً من أنحاء أوروبا وأمريكا وآسيا - مما يثليج الصدر ويبعث على البشر والتفاؤل - إلا ورأيت أو سمعت بالمقابل من أخبار هذه الفتنة الشنعاء التي سيقت إلى تلك الأوساط سوقاً ، ما يملأ الصدر كرباً ويزج المسلم في ظلام من الخيبة الخانقة والتشاؤم الأليم .

كنت في عام (١٤٠٦هـ) واحداً من استضافتهم رابطة العالم الإسلامي للاشتراك في الموسم الثقافي ، وأتيح لي بهذه المناسبة أن أتعرف على كثير من ضيوف الرابطة الذين جاءوا من أوروبا وأمريكا وآسيا وإفريقيا ، وأكثرهم يُشرفون في الأصقاع التي أتوا منها على مراكز الدعوة الإسلامية أو يعملون فيها .

والعجب الذي لا بد أن يهيج آلاماً ممزقة في نفس كلّ مسلمٍ أخلص الله في إسلامه ، أنني عندما كنت أسأل كلاً منهم عن سير الدعوة الإسلامية في تلك الجهات ، أسمع جواباً واحداً يطلقه كل من هؤلاء الإخوة على انفراد ، بمرارة وأسى ، خلاصته : المشكلة الوحيدة عندنا هي الخلافات والخصومات الطاحنة التي تُثيرها بيننا جماعة السلفية . . .

ولقد اشتدت هذه الخصومات منذ بضع سنوات ، في مسجد واشنطن ، إلى درجة ألجأ السلطات الأمريكية إلى التدخل ، ثم إلى إغلاق المسجد لبضعة شهور !

ولقد اشتدت هذه الخصومات ذاتها واحتاجت ، في أحد مساجد باريس ، منذ ثلاثة أعوام ، حتى اضطررت الشرطة الفرنسية إلى اقتحام المسجد .

والمضحك المبكي بأن واحداً ، أن أحد أطراف تلك الخصومة أخذته الغيرة الحمقاء لدين الله ولحرمة المساجد ، لما رأى أحد الشرطة داخلاً المسجد بحذائه ، فصاح فيه أن يخرج أو يخلع حذائه .

ولكن الشرطي صفعه قائلاً : وهل الجأنا إلى اقتحام المسجد على هذه الحال غيركم أيها السخفاء ؟! ..

وفي إحدى الأصدقاء النائية ، حيث تدافع أمّة من المسلمين الصادقين في إسلامهم على وجودها الإسلامي ، وعن أوطانها وأراضيها المُغتصبة ، تصوّب إليهم من الجماعات السلفية سهام الاتهام بالشرك والابداع ، لأنهم قبوريون وتوصّليون . ثم تتبعها الفتاوي المؤكدة بحرمة إغاثتهم بأي دعمٍ معنوي أو عوينٍ مادي ! ويقف أحد علماء تلك الأمة المنكوبة المجاهدة ، ينادي في أصحاب تلك الفتوى والاتهامات : يا عجبًا لإخوة يرموننا بالشّرّ ، مع أننا نقف بين يدي الله في اليوم خمس مرات ، نقول : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾! ... ولكن النداء يضيع ويتبعد في الجهات ، دون

أي مُتَدْبِرٍ أو مُجِيبٍ ! إننا لا نشك في أن هؤلاء الإخوة السلفيين ، متفاوتون في هذه المواقف المؤسفة المريمة ، وربما كان فيهم من يتَّالِمُ من هذه التصرفات العجيبة كألمانا بل أشد . . . ولكن ما الفائدة ؟ وماذا عسى يغني مثل هذا الألم ، بعد إضافتهم الشرعية على هذه البدعة من حيث هي ، وقد علمنا أنه أمرٌ مستحدث في الدين لم يُعرف في عصر السلف ولا الخلف ، وأنها لا تفعل في كيان المجتمع الإسلامي أكثر من أن تمزقه إرباً ، ثم تجعل بعضه عدواً لبعض .

إن استنكار هذه الرعوبات الشنيعة ، لا يكون إلا بمعالجتها ، ولا تكون معالجتها إلا بسدّ الباب الذي اقتحمت منه ، وإنما الباب الذي اقتحمت منه هو الإقدام على اقتطاع جماعة مستقلة من جسم الجماعة الإسلامية الواحدة ، واحتزاع اسم مبتدع لها ، ثم تغذية روحها العصبية وأنانيتها الجماعية بمقومات مُعنية وأساليب وأخلاقيات مميزة ، تدفع بها عن كيانها الذاتي ، بل تتخذ من هذا الاسم سلاحاً لمقاومة الآخرين وطعنهم دون هوادة إذا اقتضى الأمر .

فاستنكار هذه الرعوبات إنما يكون بإغلاق هذا الباب لا يعني بالضرورة تخلی هؤلاء الإخوة عن آرائهم ومذاهبهم الاجتهادية ، التي انتهوا إليها واقتنعوا بها .

بل المطلوب منهم بمقتضى أصول الشرع وقواعده أن يتمسكون بما انتهت إليه جهودهم الاجتهادية الصحيحة ، ولا يسعهم إلا ذلك .

وأنا شخصياً مقتنع بكثير من تلك المذاهب والآراء آخذُ نفسي بها

وأدفع عنها بما أملكه من الحجج والبراهين العلمية .

ولكن المطلوب إنما هو التمسك بهذه الآراء والدعوة إليها ضمن نطاق الجماعة الإسلامية الواحدة التي يحدّها إطار واحد هو وحدة المسلمين ، ثم المطلوب التماس العذر ل أصحاب الآراء والمذاهب المخالفة ، ما دامت المسائل بحد ذاتها مسائل اجتهادية لا ينحصر وجه الدليل عليها في جانب دون آخر . ويتم التعرف عليها من خلال المسائل والموضوعات الاجتهادية ، متميزةً بها عن المسائل القطعية التي لا مجال للاجتئاد فيها ، ومَرَدُ هذه الضوابط إلى القواعد الأساسية المعروفة في علم أصول الفقه وهي التي تسمى اليوم بـ : « قواعد تفسير النصوص » وتلك هي سيرة المسلمين الملزمين بهدي الكتاب والسنة من قبل ، فقد كانوا يجتهدون ويتناقشون في المسائل الاجتهادية من قضايا الدين وأحكامه ، ثم كانوا يختلفون في بعض منها ويتفقون في البعض الآخر ، دون أن تُخرجهم اختلافاتهم الاجتهادية من نطاق الجماعة الإسلامية الواحدة ، ودون أن تتخذ أي فئة منهم من آرائها الاجتهادية التي انتهت إليها وأخذت بها قالباً تستولد منه وعلى قدره جماعة إسلامية جديدة ، ثم تطلق عليها اسمًا مبتكرًا جديداً ، ثم تنشئء بينها وبين بقية المسلمين معركة طاحنة تستخدم فيها أسلحة التكفير والتبديع والتشريك .

أجل ، لقد قرأتنا سيرة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، ورجعنا الكرة تلو الكرة نقرأ ونتدبر فلم نجد منهم من أقدم على شيء من ذلك كله .

وأقول : « سلفنا الصالح » احترازاً عن فئات متفرقة ظهرت خلال تاريخ الإسلام ندَّت عن صراط الله تعالى وشدَّت عن أوامره وأحكامه ، فشررت بين المسلمين على اختلافهم تهم التفكير والتضليل ، كالخوارج ، ومن سار على شاكلتهم .

ولكن الإجماع مُنْعِدٌ - قبل هذه الفئات وبعدها - على أنها قد خرجت بذلك عن قواعد الشرع وأصوله وأهم ما هو معروف ومتافق عليه من مبادئه وأحكامه ، فلا يقتدي بهم ولا يُعَوَّل على شذوذهم .

الأمر الثاني :

ما هو معروف من أنَّ أولي الفكر اليساري ، رأوا في ظهور جماعة جديدة في المسلمين يسمون أنفسهم بالسلفية ، مَرَتِعاً خَصْبًا ، ومادَّةً غنية في مجال تحليلاتهم الماركسية الجدلية للتاريخ والتراث .

إذ إن حركة التاريخ - أيٌ كان - تحكمها في قانون المادية الجدلية الصيرورة المستمرة ، ويعنون بها الحركة المتواتدة من الذات .

فالتاريخ العربي - المتمثل في العصر الجاهلي ثم البعثة النبوية ، فالفتح الإسلامي ، فالخلافة الراشدة ، فالعصر الأموي . . . إلخ - إنما هو صيرورة دائمة ، تتمثل في تجاوز التاريخ ذاته متوجهًا إلى طور إنساني واجتماعي أتمّ .

فهو تاريخ أصيل مستمر ، بمعنى الترابط والتواصل الكامنين في سلسلة أطواره وأحداثه المتلاحقة ، وهو تاريخ حديث معاصر ،

بمعنى كونه يحتضن في كل عصر ما يناسبه من القيم والتوجهات والأحداث .

وهذا التصور الذي يسقطونه على حركة التاريخ ، هو التصور ذاته الذي يُحلّلون على أساسه التراث .

والتراث عندهم يشمل القرآن والسنة وما انبثق عنهمما من العلوم والمُدوّنات الإسلامية .

غير أن انطباق هذا التصور الجدلية على حركة التاريخ الإسلامي ، يتطلب شرطاً أساسياً يُلْجِعُ عليه أئمة المادية الجدلية وأنصارها ، وهو صراع المتناقضات داخل الأحداث التاريخية .

فالصيروحة المستمرة نتيجةً للتناقضات المستمرة التي لا بدّ من وجودها كشرطٍ لدؤام التطور الذي هو سمة التاريخ و شأنه الذي لا ينفك عنه .

ولكن أين هي التناقضات المتصارعة في تضاعيف التاريخ الإسلامي ، بعد استقرار الفتوحات ، وهداة المجتمعات الإسلامية ، وانكبابها في تعاون منقطع النظير على الإصلاح والبناء ؟

لقد فتش منظرو المادية الماركسية الجدلية عن ظاهرة التناقض المطلوبة هذه ، ليفسروا بها حركة التاريخ الإسلامي ويختضعنها لتصوراتهم المادية التي هي في نظرهم المحرك الأول والأخير للتاريخ البشري ، وطال بهم التفتيش . . . إلى أن عثروا أخيراً على مطلبهم الثمين الذي يمكن أن يحل لهم المعضل ، وأن يخرجهم من زاوية

الحرج . . إن التزعة السلفية التي تُشكّل العصب التنافضي الممتد - في تصورهم - منذ فجر الإسلام إلى هذا اليوم ، والذي من شأنه أن يُهيِّج الصراع مع الأفكار الإسلامية المتسامحة المرنة . . إن مظهر الصراع الحتمي بين القديم والحديث .

قالوا : فالتأريخ الإسلامي حوى منذ أول بزوغه نزعتين متناقضتين :

إحداهما تمثل في المحافظة على القديم ، والتصلب عند الرسوم الشكليات الجامدة الموروثة .

والآخرى تمثل في تقبل الجديد وهضمِه ، وتطویر الحياة وفقاً للطموحات وال حاجات الإنسانية المتتجدة .

ومن الصراع المستمر فيما بينهما تفجَّرت الحركة التاريخية وفق قانونها الحتمي ، و تكونت الحضارة الإسلامية ، ثم تناست واتَّخذت مظاهرها وأشكالها المعروفة اليوم ! شيء رائع حقاً هذا الذي عليه منظَّرُو المادية الماركسية ، بفضل مبتدعي المذهب السلفي ، بل بالتعاون فيما بينهم ! وهو وإن لم يكن تعاوناً مُبرَّمًا مقصوداً ، ولكنه تعاون واقعي متناسق .

فلقد كان على السلفية أن يتبعوا هذا اللقب والمضمون والجماعة ، ويُقْرِّبُوه إقحاماً في مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي .

وكان على دُعاة المادية الجدلية أن يُسرِّعوا فيصبغوا التاريخ

الإسلامي كله منذ أول بزوغه بهذه البدعة الطارئة ، ثم أن يقفوا يشرحون للناس - في زهو وشعور بالانتصار - كيف تكون الفكر الإسلامي مع حصيلته الحضارية من صراع الظروف والمصالح البشرية المتناقضة ، وكيف أن الصراع «التاريخي» بين المذهبين السلفي والافتتاح لم يكن إلا الأداة المادية الحتمية لهذه الصيرورة التاريخية المستمرة !

ولكم قرآنًا كتاباتٍ مطولةٍ ومحضرةٍ صيغت لتجسيد هذا الخيال ، وبث نبضات الحياة والحقيقة في تصاعيفه ، مُعتمدة على هذه البدعة المستحدثة التي لا يحتاج الباحث إلى كثير من الثقافة والدراسة الإسلامية ليعلم علم اليقين أنَّ ليس لها أي جذور ثابتة لا في الماضي القريب ولا البعيد من تاريخ هذه الأمة ، أو تاريخ التشريع الإسلامي .

إلا أن هذه الحقيقة مهما كانت ناصعة الوضوح ، فإن هذه الجماعة - بما استحدثته من هذا الذي ذكرناه - ساهمت مساهمةً فعالةً في تكوين موجبات اللبس ، وفي تمكين المُبطلين والعابثين بالحقائق والتاريخ ، من مدّ الغاشية من الأوهام الدّاكنة على تاريخ الفكر بل التشريع الإسلامي ، أمّا أعين البسطاء والسُّدّاج من الناس على أقل تقدير .

والمصيبة الفادحة أن معظم هؤلاء الإخوة الذين يميزون أنفسهم عن عامة المسلمين بشاربة السلفية لا يقرؤون .. ولا يحرّكون عقولهم وأفكارهم إلا في دائرة الفكر «السلفي» التي حصرّوا أنفسهم وعقولهم فيها... ، لذا فَهُم في غفلة تامة عما يفعله المُبطلون من ورائهم ،

وعن استغلالهم لأفكارهم وشعاراتهم المبتدعة ، والانطلاق منها إلى تشويه حقائق إسلامية ، وإبراز التاريخ الإسلامي ضمن الإطار الذي يرغبون !

على أن استغلال أولئك المُبْطَلِين لهذه البدعة وما يستتبعها من الذيول ، لا يقف عند هذا الحدّ ، بل يتتجاوزه إلى اعتبارها برهاناً على أن الإسلام ليس له وجود موضوعي مستقل عن الفكر الإنساني ، وإنما هو حصيلة أفكار إنسانية تصارعت وتلاحت ، ثم وُضِعَت في هذا الإطار الديني المقدس .

لا أدل على ذلك - في نظرهم طبعاً - من الصراع المشاهد بين أولي النزعة السلفية الذين يُلْحُون على أن الإسلام الأزلي المقدس إنما يتمثل في الآراء والشروح التي يفهمونها ويتبنونها للنصوص ، والآخرين الذين يخالفونهم في ذلك ولا يقيمون لآرائهم وشروحهم وزناً . . .

إذن فالقاسم المشترك بينهم هو لجوء كُلٍّ من الطرفين إلى ما يُبَصِّر فكرهم الإنساني القائم على الطبيعة والنوازع البشرية المتفاعلة مع الحياة وظروفها المتبدلة ! .. وهذا هو كل الإسلام في واقعه وتاريخه !

والرَّدُّ العلمي الوحيد - الذي لا نملك غيره مع الأسف - على هذا الاستغلال والتشويه هو :

التأكيد بأن هذا الشعار المذهبى بكل ما يتضمنه من مقومات

ومميزات ، أمْرٌ مُبَدِّعٌ في الإسلام ، طارئ على أصوله الثابتة وتاريخه الطويل ؟ وما أكثر ما طرأ عليه من شوائب وعوارض على امتداد تاريخه الناصع المجيد .

فلم تستطع الشوائب والعوارض الدخيلة أن تصطليغ به وتمتزج فيه ، وبقيت الشوائب شوائب واضحة معروفة ، كتلك النباتات الطفيلية التي كثيراً ما نراها ممتدة متعرجة بين الأشجار الراسخة الباسقة .

ثم التأكيد بأن يُنبوع هذا الدين إنما يكمن في نصوصه التي ثبت بالبرهان العلمي أنها حصيلة الوحي الإلهي لا الفكر البشري .

وبأنَّ فَهُمَ نصوصه تلك إنما هو رهن بالمنهج الذي يتمثل في قواعد تفسير النصوص ، وهي قواعد عربية حيادية إليها المرجع في تبيين المعنى المراد تحديده ، مما اتفق عليه العلماء من أحكام تلك النصوص ومعانيها إلَّا لأنَّ المنهج الذي اقتضى ذلك واضحٌ بَيْنَ لا غموض فيه ، وما اختلف فيه العلماء منها إلَّا لأنَّ المنهج المعتمد في ذلك محل بحث ونظر من علماء العربية والبيان أنفسهم .

وأمام هذا الميزان الوحيد لفهم النصوص وكيفية العمل بها يذوب هذا الوجود الوهمي المُبَدِّع للتشنجات السلفية وغيرها ، ولا يبقى أي مبرر للارتقاء في أيّ من طرَفِي الإفراط أو التفريط .

والله هو الموفق والمستعان .

* * *

أخيراً : ليس كل جديد بدعة^(١)

البدعة ، بمعناها الاصطلاحي الشرعي ، ضلالاً يَجِبُ الابتعاد عنها ، وينبغي التحذير من الوقوع فيها - ما في ذلك ريب ولا خلاف - ، وأصل ذلك :

قول رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ ، فَهُوَ رَدٌّ »^(٢).

وقوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالٌ »^(٣).

ولكن ما هو المراد من كلمة « بدعة » هذه ؟

هل المراد بها معناها اللغوي الذي تعارف عليه الناس ؟ فيكون المقصود بها إذن ، كُلُّ جَدِيدٍ طارئٍ على حياة المسلم ، مما لم يفعَّله رسولُ الله ﷺ ولا أحدٌ من أصحابه ولم يكن معروفاً لديهم ؟ . . .

(١) المصدر : كتاب « الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية » للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى - الطبعة الثامنة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب إذا اصطلحوا على صلح جُور فالصلح مردود ، برقم : (٢٥٧١) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، باب نقض الأحكام الباطلة ، برقم : (٣٣٢٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، برقم : (١٤٨١) ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وإذن ، فالمسلمون كلهم ، من أقصى عالمهم المعور إلى أقصاه ، يُعانون اليوم من ضلالٍ لا مفرّ لهم منها ، إذ إنهم غارقون في بحار من البدع كيما تقلّبوا وأينما اتجهوا أو تحركوا : أبنية بيوتهم بدعة ، والأثاث الذي فيها بدعة ، وموائدهم بدعة ، وطراز ثيابهم بدعة ، والأساليب التي تنهض عليها أنشطتهم الثقافية والعلمية والاجتماعية ، كلها ظلمات من البدع المتراكمة ! .. وهي ليست مصيبة حاقت بهذا الجيل وحده ، بل إنها الضلالـة التي انحرفت فيها أجيال المسلمين من بعد عصر الصحابة إلى يومنا هذا ، ثم إلى أن تقوم الساعة . ذلك لأن الحياة - منذ بعثة المصطفى ﷺ - ما تزال تتحول بأصحابها من حال إلى حال ، وتنقلهم من طور إلى آخر ، ولا مطعم في إمكان التغلب على قانونها هذا وربطها بمسمار من الثبات والجمود على حالة واحدة على مر الأزمنة والعصور ، وحتى الفترة القصيرة التي عاشها النبي ﷺ مع أصحابه ، لم تجمد الحياة خلالها على نَسَقِ مَطْرِدٍ ثابتٍ ، بل استقبل النبي ﷺ وأصحابه منها أطواراً إثر أطوار .

ولكن - لِحُسْنِ حَظٍ ذلك الرعيل الأول - كان المصطفى ﷺ بين ظهْرَانِيهِمْ ، وكان يُرْحَب بسَنَةِ الكون هذه دون أي مقاومة لها أو ثورة عليها :

فَكُمْ مِنْ عُرْفٍ جَدِيدٍ أَيَّدَهُ .

وكم من كشفٍ طارئٍ على حياة الصحابة والعرب رَحْب به ودعا إليه ، بعد أنْ تأَمَّلَ فرأه لا يخالف من أصول الدين وأحكامه شيئاً ، بل

ربما يَسِّرَ سبيل إحياءه والأخذ به على خير وجه ؛ حتى استظهر من ذلك علماء الشريعة الإسلامية القاعدة القائلة : « الأصل في الأشياء الإباحة » واستنبط من ذلك علماء الحنفية وأخرون أنَّ العُرفَ - بقيودٍ مُعَيَّنةٍ - مصدرٌ لا يستهان به من مصادر الشريعة وأحكامها .

إذن ، فلا يُعقل أن يكون المقصود بالبدعة هذا المعنى اللغوي العام ، بل ما رأينا واحداً من علماء المسلمين وفقهائهم ذهب في تفسير البدعة وتعريفها هذا المذهب العجيب ، وإنما تنطوي الكلمة على معنى اصطلاحي خاص ، فما هو ؟

أما معي تعريفات كثيرة للبدعة ، كلها يدور في فلك معنى اصطلاحي واحد ، وإن تختلفت من حيث الصيغة والأسلوب ، ولكنني أختار منها تعريفين عرفها بهما الإمام الشاطبي في كتابه « الاعتصام » وذلك لسبعين :

أحدهما : أنه يُعدُّ في مُقدمة من خدم هذا البحث وتناوله بالشرح والتحليل من جوانبه .

ثانيهما : أنه يُعدُّ من أكثر العلماء المتقدّمين محاربةً للبدعة وتشدّداً في الابتعاد عنها .

التعريف الأول : أنها « طريقة في الدين مُخترعةٌ تُضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التَّبعَدُ لِلله عز وجل ». .

والتعريف الثاني : أنها « طريقة في الدين مُخترعةٌ تُضاهي

الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » .

وإنما ردّها الشاطبى رحمه الله بين هذين التعريفين ، نظراً :

- لرأي من حصر البدعة في العبادات .

- ولرأي من عمهما فيسائر أنواع السلوك والتصرفات .

على أنه مال فيما بعد إلى أنَّ البدعة إنَّما تختص بالعبادات سواء منها القلبية وهي العقائد أو السُّلوكية وهي سائر أنواع العبادات الأخرى .

ولا يعنينا الآن أن نقف عند هذا الترديد بأي نظر أو تمحيص ، إنما الذي يعنينا أن نلاحظ قوله في التعريف : « طريقة في الدين مخترعة... » .

إذن ، فلِكَي يأخذ السلوك معنى البدعة وحكمها ، يجب أن يُمارسه صاحبه على أنه داخل في بنية الدين وأنه جزء لا يتجزأ منه ، مع أنه في الواقع الأمر على خلاف ذلك . . . وتلك هي روح البدعة وسر تحذير الشارع منها . وذلك هو الملاحظ في تسميتها : « بيعة » .

والمستند الذي يشكل الدليل القطعي على ذلك قوله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه . . .) إذ المقصود بـ : (أمرنا هذا) الدين ، كما هو واضح .

وقوله ﷺ : (سَتَّةٌ لَعْنَتُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٌ : الرَّائِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَالْمُكَذِّبُ بِقَدْرِ اللَّهِ ، وَالْمُتَسَلِّطُ بِالْجَبَرُوتِ لِيُذَلِّ بِذَلِكَ مَنْ

أَعَزَّ اللَّهُ، وَيُعِزُّ مَنْ أَذَلَّ اللَّهُ، وَالْمُسْتَحْلِلُ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ،
وَالْمُسْتَحْلِلُ لِحُرْمَةِ اللَّهِ»^(١).

ويتبَّعُ من ذلك مناط أن إِنكار البدعة ورَدَّها على صاحبها ، أن المبتدع يُقْحِمُ في بُنيَّةِ الدِّينِ وجَوْهِرِهِ ما ليس منه ، ولما كان المشرع هو الله عز وجل ، لم يبق مجال لأَيِّ تزييد أو تغيير على شرعه ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها :

- اختِرَاعُ صلاةِ زائدةٍ على ما ثبت في الشرع من المكتوبات والنواقل .

- واختِرَاعُ صيامِ يومٍ لفضيلةٍ لم يَرِدْ بِشَرِيعَهِ فِي قُرْآنٍ أَوْ سَنَّةٍ ثَابِتَةٍ .

- وإِيجابِ الاقتصار على لون واحد من الطعام على المائدة تزهُّداً .

- واختِرَاعُ التَّكَرُّب إلى الله بِتَحميلِ الجسم من المشاق ما لم يَرِدْ به دليلاً من الشَّرْعِ .

- ورفع الصوت بالأذكار والقصائد أمام الجنائز .

- والأَذَانُ عندِ إِدْخَالِ الْمَيْتِ قَبْرَهُ .

ونذكر منها في أمور العقائد : كل ما تزييده الفرق المبتدةعة على الدين من عقائد وأفكار باطلة .

أما سائر الأفعال والتَّصْرُّفاتُ الْأُخْرَى ، التي قد تصدر من

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ، باب تفسير سورة ﴿والليل إذا يغشى﴾ ، برقم : ٣٩٤٠ .

الإنسان ، دون أن يتصور أنها جزء من جوهر الدين أو واحد من أحكامه ، وإنما يندفع إليها ابتعاد تحقيق هدف أو مصلحة له - دينية كانت أو دنيوية - فهي أبعد ما تكون عن احتمال تسميتها بدعة ، وإن كانت مُسْتَحْدِثةً في حياة المسلمين غير معروفة لهم من قبل ، بل مآلها أن تُصنَّف :

- إما تحت ما سماه رسول الله ﷺ : « سنة حسنة » .

- أو تحت ما سماه : « سنة سيئة » .

وأنت تعلم أنه ﷺ قال : « مَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ »^(١) .

ويحتاج بيان هذا الأمر إلى تفصيل طويل الذيل ، ولكننا نقتصر منه على الموجز التالي :

١- إن كانت الأفعال والتصرفات التي تصدر من الإنسان - مما لا يدخل في معنى البدعة التي تمَّ بيانُها - تتعارض مع أوامر أو نواهٍ ثابتة في الشرع ، فهي تسمى مخالفات « محرمة » أو « مكرورة » لشرع الله عز وجل . لا فرق بين أن تكون هذه المخالفات مُسْتَحْدِثةً ، أو أن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، برقم : (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله البجلي .

تكون قديمة معروفة كالمباذل الأخلاقية والأندية التي تشيع فيها المنكرات . وأمرها واضح لا يحتاج إلى بحث .

٢- وإن كانت مُرسلة - أي غير معارضة ولا موافقة لشيء من أحكام الشرع وآدابه التفصيلية - فهي تصطحب من حيث أحكامها ، بلون الآثار والنتائج التي تتحققُها :

أ - فما كان منها مؤدياً إلى تحقيق مصلحة من سُلَّم المصالح الخمسة التي جاء الدين لرعايتها ، فهي من قبيل « السنة الحسنة » ثم إنها تتفاوت ما بين الندب والوجوب ، حسب شدة الحاجة إليه لتحقيق تلك المصلحة ، إذ قد يكون من ضرورياتها الذاتية وقد يكون من حاجياتها الأساسية ، وقد يكون من تحسينياتها المفيدة .

ب - وما كان منها مُتسبياً إلى هدم واحدةٍ من تلك المصالح أو الإضرار بها ، فهو من نوع « السنة السيئة » ثم إن درجة سوءه تتفاوت حسب مدى الضرر الذي قد يُلحِّقه بتلك المصلحة ، فقد يكون مكروهاً وقد يصبح محراً .

ج - أما ما كان منه بعيداً عن أي تأثير ضارٌ أو مفید لسُلَّم تلك المصالح ، فهو من قبيل المباح ، أو من قبيل العفو - كما يعبر بعضهم - .

وإذا استوعبنا هذه الحقيقة أدركنا أنه ليس ثمة ما يسمى بـ « البدعة الحسنة » كما توهّم ذلك بعض الباحثين . بل البدعة لا تكون إلا ضلالاً قبيحةً ، وذلك لضرورة أنها تعني التزويذ على الدين والإضافة

إليه ، وهو لا يمكن أن يكون حسناً بحالٍ من الأحوال .

وإنما يدخل هذا الذي توهموه « بدعة حسنة » فيما سماه النبي ﷺ بالسُّنَّة الحسنة ، وهو ما اصطلح الأصوليون على تسميته فيما بعد بـ « المصالح المرسلة » .

وأمثلة هذه السنة الحسنة كثيرة لا تكاد تحصى ، نذكر منها :

- دراسة كلّ ما جَدَّ من المعارف والعلوم التي تُحقِّق مصلحة من مصالح الدين ، أو الحياة أو المصالح الأخرى .

- وإقامة المؤسسات والمجامع التي تخدم المصالح الإسلامية أو واحدة منها ، طبق الترتيب الذي صنَّفها الشارعُ على أساسه .

- وتنظيم اللقاءات والمؤتمرات والندوات التي تدعو إليها الضرورة أو الحاجة لإنجاز شيء من تلك المصالح أو رعايتها .

- وإننا لنرى أنَّ من أمثلة هذه السنة الحسنة تلك الاحتفالات التي يقوم بها المسلمون عند مناسبات معينة ، كبدء العام الهجري ، وموعد المصطفى ﷺ ، وعند ذِكرى الإسراء والمعراج ، وذِكرى فتح مكة وغزوة بدر ، ونحوها ، مما يُتوخَّى منه تحقيق خيرٍ يعود إلى مصلحة الدين ، سواء على مستوى الضرورات أو الحاجيات أو التحسينات .

ومن المفروغ منه أن ذلك كله مشروطٌ بأن لا تستتبع هذه الأعمال آثاراً ضارَّةً تودي بجذوى ما حقَّقتْه من المصالح أو تُلْحق الضرر بمصلحةٍ مُقدَّمةٍ عليها .

هذا ما نعتقد أنه المنهج العلمي الذي لا بديل عنه ، عند الخوض في ذكر البدع ومحاربتها وجذب الناس عنها .

ولا ريب أن اتباع المنهج العلمي يوصلنا إلى هذا القرار :

إن احتفالات المسلمين بذكرى مولده عليه السلام والمناسبات المشابهة ، لا تُسمّى بدعة قبل كل شيء ، لأن أحداً من القائمين على أمرها لا يعتقد أنها جزء من جوهر الدين ، وأنها داخلة في قوامه وصلبه ، بحيث إذا أهملت ارتكب المهملون على ذلك وزراً ، وإنما هي نشاطات اجتماعية يتونّحى منها تحقيق خير ديني ، فإنهم توهموا ذلك كانت بسبب ذلك بدعة .

ثم إنها لا تدخل تحت ما يسمى بالسنة السيئة أيضاً ، إن روعي في إقامتها أن تخلو من الموبقات ، وأن تهذب عن كل ما قد يعود على الخير المرجو منها بالنقض أو الإفساد .

وإذا رأينا من يخلطها بما يُسيء إلى نتائجها ، فإن التنبية يجب أن يتوجه إلى هذا الخلط ، لا إلى جوهر العمل بحد ذاته .

وإلا فكم من عبارة صحيحة مشروعة يؤدّيها أنس على غير وجهها ، فتؤدي إلى نقىض الثمرة المرجوة منها ، أفيكون ذلك مبرراً للتحذير من أدائها والقيام بها ؟ ! .

نعم ، إن اجتماع الناس على سماع قصة المولد النبوى الشريف ، أمر استُحدث بعد عصر النبوة - بل ما ظهر إلا في أوائل القرن السادس

الهجري - ولكن أفيكون ذلك وحده كافياً لتسميته بدعة ، وإلحاقه بما قال عنه المصطفى ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ؟ . إذن فليجرّدوا حياتهم من كلّ ما استُحدِث بعد عهده ﷺ ، إن كانوا يستطيعون . فإنَّ كل ذلك من البدع ! .

وإنني لأعجب لأناس ، ينتقلون من مؤتمر إسلامي إلى آخر ، ويتصدّرون فيه باحثين وأعضاء عاملين ، دون أن يتذكّروا أنه هو الآخر بدعة - بالمعنى الذي يتوهّمون - لا فرق بينه وبين احتفالات المسلمين بالمولد ونحوه شرور نغير ، اللهم إلا أن تكون تلك المؤتمرات يُنذرُ عليها من الأموال الطائلة ما لا يعطي ثمرة ولا نتيجة ، وقد تُشيع فيها أمور لا تُرضي الله عز وجل ، على حين لا يتكلّف اجتماع طائفة من المسلمين في أحد من البيوت أو المساجد للاحتفال بذكرى المولد أو الهجرة شيئاً من ذلك . ولكنهم ما إن يُوضّعوا أمام الحديث عن المولد ونحوه ، إلا وتجدهم ثاروا وهاجوا ، ونعتوا الاجتماع عليه بأنه ضلال وببدعة . ترى لو وضعت هذه الاحتفالات ضمن إطار مؤتمرات ، دُعي إليها الناس من الأقطار ، وأنفقوا عليه المال الطائل ، أتحول بفضل ذلك من بُدْعَةٍ باطلةٍ إلى عملٍ مبرور ؟

وغمي عن البيان أنني لا أنكر شيئاً من هذه المستجدات على اختلافها ، بل إنني لا أدعو إليها أيضاً لذاتها . . . ، إذ هي أمور تُقبلُ أو تُرفضُ على ضوء النتائج الآتية من ورائها ؛ فهي كالماء الذي يأخذ لون الإناء الذي يتجمّع فيه ، وما تنسحب أحکام الشريعة الإسلامية

على سائر ما يستجده الناس من شؤون وعادات ، إلا بناءً على هذه القاعدة التي لا مجال لأي ارتياح فيها .

وإنني لأشكر مولداً حضرته في أحد المساجد ، بإحدى محافظات القطر السوري ، كانت ثمرته العاجلة أن أعلن كثير من الحاضرين توبتهم عن موبقات كانوا يرتكبونها ، وأعلن آخرون بدء التزامهم بعبادات كانوا معرضين عنها أو متساهلين بشأنها ، والتزم آخرون بالعكوف على دراسة القرآن ، وآخرون برد ما عليهم من مظالم والتزامات لإخوان لهم . ولم يخرجوا من المسجد حتى تعاهدوا وتوافقوا على ذلك . . . فبأي ميزان من موازين الشريعة الإسلامية أعد مثل هذا الاحتفال ضلالاً يجب محاربتها ، لمجرد أنَّ عصر النبي ﷺ لم يشهدها ، ومن ثم فلم يُتح له أن يؤيدتها ؟ ! . . .

أجل ، من الضروري الدعوة إلى تنقية مثل هذه الحالات - وسائل الشؤون المستجدة الأخرى - من الشوائب ، والتحذير مما قد يتسلل إليها من المنكرات . . . ، ولكن حتى لو ظهر في هذه المستجدات قليلٌ من الشرّ ، فإننا نقبلها ونحافظ عليها تمسّكاً بما قد تنتجه من الخير الكثير ، على أن نحافظ على تطبيق القاعدة القائلة : « درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح » .

أقول بعد هذا كله : فلنفرض أننا مُخطئون في فهم « البدعة » على هذا النحو ، وأن الصواب ما يقوله الآخرون من أن كل ما استحدثه الناس - حتى مما لا يدخلونه في جوهر الدين وأحكامه - بدعة

محرمة ، فإن المسألة تغدو عندئذ من المسائل المختلف في شأنها والخاضعة للاجتهاد .

ومما هو معروف في آداب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أنّ القائم بهذا الشأن ينبغي أن ينْهَى عن المنكرات المُجْمِع على أنها كذلك ، ولا ينصرف عنها إلى النهي عما اختلف فيه المسلمون من المسائل الاجتهادية ، التي لا يكُلُّ المجتهدون فيها بأكثر من الوقوف عند ما قضت به اجتهاداتهم وفهمهم ، إذ الإمعان في النَّهْي عن هذه المسائل لا يمكن أن يتَّهَي إلَّا إلى إثارة الشقاق وتصديع وحدة المسلمين وبثّ عواملبغضائهم فيما بينهم .

وإن في حياتنا ومن حولنا من المنكرات الشنيعة والمفاسد الخطيرة ، التي لا خلاف في مدى جسامتها وسوء آثارها ، ما يكفي لأن نُمضي العمر كله في معالجتها والسعى إلى جمع الكلمة وتوحيد الصُّف للقضاء عليها . فلماذا تنشغل عن هذا الذي أجمعَت الأمة على أنه من المنكر الذي لا عذر في السكوت عليه ، ثم نشتعل بالانتصار لاجتهاداتنا الشخصية ، وحرب ما يقابلها ويكافئها من الاجتهادات الأخرى .

ألا إنّ أعظم مصيبة رانت على حياتنا ، إنما هي مصيبة هذا التدابر والشقاق الذي مُنِيَ به العالم العربي والإسلامي ، على عرضه وطوله ، ومن ثم فإنها لأعظم منكر يشيع في أرجاء عالمنا الإسلامي . فمن كان يريد أن ينهض بواجب النهي عن المنكر ، فليبدأ من هنا . . . ، على أن

يَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ عَدَّةً وَاحِدَةً فِي مَسْعَاهُ هَذَا ، أَلَا وَهُوَ الْإِخْلَاصُ -
الْإِخْلَاصُ - ذَلِكَ السُّرُورُ الْأَقْدَسُ الَّذِي يَسْحُقُ الْأَنَانِيَّةَ وَالْعَصْبِيَّةَ ، وَيُفَرِّقُ
بَيْنَ أَدْقِ مَا يَلْتَبِسُ عَلَى كَثِيرٍ مِّنَ الدُّعَاءِ وَالرَّبَانِيِّينَ ، فِي مَجَالِ السُّلُوكِ
وَالْتَّطْبِيقِ : الْإِنْتَصَارُ لِلنَّفْسِ . . . وَالْإِنْتَصَارُ لِللهِ .

* * *

الخاتمة^(١)

كنت أتمنى لو وجدت ملخصاً يُجني عن الكتابة في هذا الموضوع .

ولطالما وددت أن لا يشغلني شاغل عما يجب على كل مسلم أن يضع نفسه بسبيله اليوم من العكوف على دراسة حال المسلمين والنظر في الأدواء الخطيرة التي تجمعت في كيانهم حتى أورثهم ضيقة وشاتأً وذلاً ، وباتت تهددهم بالزوال والانمحاق إن هم لم يبادروا إلى إسعاف أنفسهم في أقرب وقت ومن أقرب سبيل . . .

أجل . . لطالما وددت أن لاأشغل نفسي وقلمي عن هذا الأمر الخطير بصغريات الأمور وبديهييات المسائل ، ولكن ماذا تفعل بمن جاء يجرّ إليك الكثير من هذه البديهييات بعد أن قلبها إلى قضايا جدلية تحتمل البحث والدرس . . ، ثم فرضها فرضاً ووضعها عقبة كبرى في سبيل معالجة الأمر الخطير الذي أنت بصدده ؟ ! . .

ماذا تفعل إذا انهمكت في نقل إنسان فاجأه النزيف إلى أقرب مركز إسعاف لإنقاذ حياته ثم ظهر لك من تحت الأرض من أغلق في وجهك الطريق واختطف منك هذا الإنسان ثم احتمله ساعياً به إلى أقرب حمام

(١) من مقدمة كتاب «اللامذهبية» للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى - الطبعة الأولى عام (١٩٧٠) م .

لينظف جسمه أولاً ولি�ضعه بين يدي مشروع تجميل؟! . . .

وهل لك من سبيل إلى إنقاذ حياة هذا المصاب إلا بأن تحذر من الانصياع بسبب هذا المجنون ، ثم تبعده عنه وتنطلق به كالبرق إلى الطبيب؟! . . .

إن البلاء الذي يعانيه المسلمون اليوم هو بلاء الإلحاد في الفكر ، والميوعة في السلوك ، والشتات عن المبدأ ما ينبغي أن يعالج الكتاب والمفكرون - ممن يهمهم شأن المسلمين - غير هذه المصائب الثلاث ، ولكن كيف تعالجها إذا حيل بينك وبينها بحواجز من المسائل الأخرى التي ما ينبغي على المسلمين أن يضيعوا بها وقتاً وينشروا من ورائها بلاء جديداً؟

كيف تعالجها إذا التفتَ فرأيتَ أنَّ أولئك الذين أتيح لهم أن تنقلهم إلى جادة الإيمان وسلوكه قد حيل بينهم وبينها من جديد بأسباب جديدة أخرى ، فراحوا يخططون في دائرة من الحيرة لا أول لها ولا مخرج منها : تقليد الأئمة الأربعَةِ كُفُّرٌ . ، والتمذهب بمذهب معين ضلالٌ . ، واتخاده لإمام المذهب رباً من دون الله ! . .

ويحدّق المسلم الجديد على ضوء هذا الكلام في تاريخ المسلمين وأعلامهم وطبقاتهم فلا يجده إلا تاريخاً يفيض بالمرتدين والضالين والجانحين عن الحق ، وهو إنما تأثر بالإسلام عن طريقهم ، وبما بلغه من شأنهم وترجمتهم ، وينطلق ليجرب حظه في التحرر عن تقليد الأئمة الأربعَةِ وفهم الشريعة الإسلامية من مصدرها الكتاب والسنة ،

فيجد نفسه وأمثاله يضربون أسداساً بأسباع ، ويختوّضون في مجهلة
ويسبّحون بدون وسيلة .

فكيف يسلم لك اجتهاد وتجمّع من ورائه نتيجة ، وإنّ هذه الشغرة
لا تبقى لك أيّ نتيجة ولا تمسك على أيّ رصيد ! ..

* * *

مفهوم الجهاد في الإسلام

المحتوى

٢١٩	مقدمة البحث
٢٢٢	الإنسان بين الحرية والتکلیف
٢٢٥	الردة وأحكامها
٢٢٨	الجهاد في الإسلام أنواعه ودعائیه
٢٤٤	الجهاد القتالي
٢٤٨	شبهات حول نصوص
٢٧١	الخاتمة

مقدمة البحث^(١)

من هو العدو الأول للإسلام اليوم . . ؟

الجهل بالإسلام هو مصدر كل عداوة له ، ذلك لأن الجهل به يبرزه في مظهر جملة من القيود التي لا موجب لها ، وبتعبير آخر : يجعله يبدو في أعين الجاهلين به وكأنّه مجموعة سدود تقف في وجه المصالح والرغبات .

إذن فأكثر الناس جهلاً بالإسلام أشدّهم عداوة له ، وربما انتطبق هذا على كثير من المسلمين أنفسهم ، فال المسلم الذي لم يكن له خيار في انتمامه إلى هذا الدين إلا ما يساوي خيارة في الميراث الذي وصله - دون قرار منه - من آبائه وأجداده ، أي فلم يعلم من إسلامه هذا إلا أنه الحظ الذي وصل إليه من الآباء والأجداد .

أقول : هذا المسلم جدير به أن يضيق ذرعاً بكل ما يبلغه عنه من مبادئ وأحكام ، ولا سيّما وأن رغائبه وأحكامه تَجْمِع به إلى نقىض كثير منها .

إنَّ الجهل بالإسلام هو الفرصة الوحيدة لانتقاده والهجوم عليه ،

(١) المصدر : كتاب « الإسلام والغرب » ، للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى ، الطبعة الأولى (٢٠٠٧) : ص (٩٩) .

وهو المناخ الوحيد الذي تُستَبَّنَت فيه الأكاذيب والتقوّلات الباطلة على الإسلام ، فهذه الأكاذيب التي تتنامى في هذا المناخ وتلتصق بالإسلام خلال غيوبه المسلمين أو أكثرهم عن إسلامهم بحاجز الجهل بحقيقةه ، هي التي تخلق عوامل الاشمئاز منه والعداوة له .

وهذا ما يُفسِّر كثرة الكتب الفكرية التي تُؤلَّف اليوم وتنشر عن الإسلام محسوسة بالأكاذيب والافتراءات عليه ، وملينة بالعبث بنصوصه ، والدجل في عرض مضامينه وأحكامه .

إنَّ الذي يُغري هؤلاء الكاتبين المحترفين بهذا التدجيل ، إنما هو جهل أكثر المسلمين بحقيقة إسلامهم ، وفقدهم للموازين العلمية التي يفترض أن يُمسِّكوا بها ويحتكموا إليها للتمييز بين ما هو حق وباطل ! .

وإنَّ لِإِمْعَانٍ فِي خَطَاً كَبِيرٍ أَنْ نُدْعَى دَائِمًا إِلَى كَتَابَةِ الرُّدُودِ عَلَى كُلِّ مَتَقُولٍ عَلَى الإِسْلَامِ عَابِثٍ بِحَقَائِقِهِ وَنَصُوصِهِ . وَإِنَّ مَلاَحِقَةَ هُؤُلَاءِ الْعَابِثِينَ - وَمَا أَكْثَرُهُمْ - بِالرُّدُودِ وَالْتَّعَقِيبَاتِ لَا تَفِيدُ شَيْئًا ، مَا دَامُ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرُفُونَ مِنْ حَقِيقَةِ إِسْلَامِهِمْ إِلَّا مُجَرَّدُ اِنْتِمَائِهِمْ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ التَّرَاثُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجَادَادِ ، لَسَوْفَ يَنْتَشِرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ هَذَا الدِّجَلُ الْمُصْنَوعُ ، وَلَسَوْفَ يَتَسَرَّبُ إِلَى عَقُولِهِمُ الْفَارَغَةِ عَنْ حَقَائِقِ الإِسْلَامِ ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَبْعَثَ فِيهَا نَوْعًا مِنَ الاضطرابِ والضياعِ الْفَكْرِيِّ ، مَهْمَا تَلَاحِقَتْ وَتَكَاثَرَتْ الرُّدُودُ الْعَلَمِيَّةُ الَّتِي تَتَعَقَّبُ الدِّجَلَ وَتَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَأَهْلِهِ ، ذَلِكَ لَأَنَّ تَعْقُبَ الْجَرَاثِيمِ وَالْحَشَراتِ الَّتِي تَتَصَاعِدُ أَوْ تَنْبَعُثُ مِنْ أَحَدِ الْمُسْتَنْقِعَاتِ بِالتَّقْتِيلِ وَاحِدَةً إِثْرَ أُخْرَى

لا يمكن أن يفيد شيئاً ، ولا أن يخفّف من أضرارها ، ما دام المستنقع موجوداً على حاله ، ولكن جفف المستنقع وطهر التربة والمكان ، ثم انظر كيف يخلو الجو المحيط به من سائر الأوبئة والجراثيم .

* * *

الإنسان بين الحرية والتكليف^(١)

التكليف : هو توجّه الخطاب من الله تعالى بالأمر والنهي إلى عباده ، من خلال مطالبته بفعلٍ ما أو ترْكِه ، باستعمال القوة التي بثّها فيه الله عزّ وجلّ ، والاختيار الذي متّعه به .

ويتجسد التكليف في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَسِلًا وَأَعْنَلًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان : ٤-٣] .

أي أقدرناه على كلٌّ من الاستجابة وعكسها ، ليستأهل في الحالة الأولى المثوبة والأجر ، وليستحقّ في الحالة الثانية الوعيد والعقاب .

الصفات التي يجب أن تتوافر في الإنسان ليكون أهلاً للتكليف :

- ١- الإعلام : ويكون بإبلاغ الإنسان الخطاب الإلهي عن طريق الرسل والأنبياء ، فلو لا هذا الخطاب لما علِمَ الإنسان بأنه مُكلَّف .
- ٢- تمكُّن الإنسان من القيام بالمطلوب منه ، فإذا حيل بين الإنسان وبين أداء ما كَلَّفَهُ اللهُ به سقط عنه التكليف .
- ٣- امتلاك الإنسان للخيار في أن يستجيب أو لا يستجيب لله تعالى في الأمر الصادر إليه .

(١) خلاصة مبحث في كتاب «الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه» ، للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى ، الطبعة الثامنة (٢٠٠٩) .

وهناك ما يطلق عليه أوامر تكوينية صادرة من الله تعالى لمخلوقاته عموماً ، وهي المقرونة بخليقه المباشر دون اختيار من المأمور ، وهي المنوطة بقوله تعالى « كُن » ، الدال علىها قوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

وتتجلى أوامر الله تعالى التكوينية في إبداعاته الكونية ، ومن أمثلة هذه الأوامر - مما يتعلق بالإنسان - وجودنا وموتنا كذلك ، وتمتنعنا بالصحة أو المرض ، وكل أمر ليس لنا فيه حول ولا قوة .

ومن هنا قرر العلماء سقوط التكليف عن :

١- الغافل الذي لا يدرى شيئاً عن الخطاب الإلهي الذي توجه إليه .

٢- الناسي والساهي ونحوهما .

٣- المُلْجَأُ : أي المُجْبَر وهو الذي لا يملك أي خيار في الفعل الذي يصدر منه ، فهذه الحرية الذاتية هي المناخ الأساسي للتكليف .

ولذا كان التكليف منطويأً على أعظم مظاهر التشريف من الله تعالى للإنسان ، فالله سبحانه لم يدفع الإنسان إلى تنفيذ أحکامه قسراً ، أو عن طريق الغريزة الآلية ، كما هو حال سائر المخلوقات والحيوانات الأخرى ، بل جهزه بالعقل المُميّز بين الخير والشر ، ثم متّعه بالقدرة على الاختيار واتخاذ القرار طبق رغبته الذاتية دون أي قسر خارجي يُفقده اختياره .

هل تتعارض حرية الإنسان مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية من العقوبات على ارتكاب بعض المحرّمات كالقتل والسرقة والزنا . . ؟

إن المعاصي التي قد يرتكبها الإنسان تنقسم إلى قسمين :

- معاصرٍ تنطوي على هدر لحقوق الله فقط : فهذه لم يشرع لها أي عقاب عاجل في الدنيا ، بل ادّخر الله تعالى الجزاء عليها إلى يوم القيمة ، وترك مُرتكبيها أحراراً في هذه الحياة الدنيا .

- المعاصي التي تتضمن ظلماً أو إساءة للآخرين : فهذه تُعرّض صاحبها للعقاب ، ولكن هذا العقاب يأتي تسويةً لحقوق الناس الذين حاق بهم هذا الظلم ، لا جزاءً على مخالفه أمر الله عزّ وجلّ فقط ، مثال ذلك معاقبة السارق والقاتل .

وبناء عليه فإن مما ينبغي أن نعلمه :

- أن عقوبات المعاصي التي فيها هدر لحقوق الله - كشرب الخمر مثلاً - لا تتكرّر إلا في حقّ من أعلن عن إيمانه بحقائق الإسلام ، مما يعني بالضرورة أنه أعلن عن خضوعه لأحكامه السلوكية ، فكان من حقّ القضاء أن يُلاحقه بتطبيقها ، أما من لم يُذعن بعد لمبادئ الإسلام وأركانه لا يُلاحق قضائياً - أي في دار الدنيا - بهذه العقوبات ، بخلاف المعاصي التي فيها ظلم وإساءة للآخرين كما أوضحتنا .

* * *

الرّدّة وأحكامها^(١)

تعريف الرّدّة : هي تَرُكُ الإسلام بنيةً أو قولٍ كفر أو فعل ، سواء استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً .

وللمرتد حالتان :

الأولى : أن يُمارس فناعاته الجديدة بينه وبين نفسه ، ويمسك عن إعلانها بين الناس .

الثانية : أن يُصرّ على إعلان رِدّته ، وأن يتَباهي بأفكاره المناقضة لما كان عليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه معتزاً بها ، ويسعى إلى تشكيك الناس بعقائدهم ومبادئهم الإسلامية ، فهذا عَزْمُ الْحِرَاةِ في نفسه واضحٌ إلى درجة القطع واليقين ، كما كان شأن المرتدين عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فقد أعلناوا من خلال رِدّتهم الحرب على المسلمين ، ولهذا وصف النبي ﷺ المرتد بـ : (المفارق للجماعة) ، فالمراد هنا جماعة المسلمين بكلّ مقوّماتها الدينية والوطنية والسياسية .

ومفهوم الْحِرَاةِ : يُطلق عندما تَظُهر وتَتَجَلِّي لنا أدلة واضحة ثابتة على تبييت نية العداون ، أو ثبوت التخطيط للعدوان ، أو المُباغطة

(١) خلاصة مبحث كتبه العلامة الشهيد في كتابه «الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه؟» مرجع سابق .

العدوانية ، وهو المعنى المتداول حتى بين الدول بعضها مع بعض ، لذلك فإن المرتد في حالي الثانية يعتبر عازماً على الحرابة مُستعيناً بها ؛ نظراً لما صاحب ردّه من تصرفات معادية .

والسبب في اعتبار هذه الحالة نوعاً من الحرابة ، هو أن الدولة الإسلامية تحيط بها دائماً قوى استعمارية طامعة ، وتبث في داخله عن أجراء وعملاء أو خارجين عن مجتمعهم ودين أمتهم لتوظفهم كأسلحة فعالة في تمزيق وحدة المسلمين تمهيداً لاختراقاتهم الاستعمارية وعملياتهم العسكرية .

حكم المرتد :

١- **حكم الحالة الأولى** : أي الإنسان الذي يُعاني من شبّهاتٍ زَعَزَعَتْ يقينه الإيماني ، وجعلته يُعاني بينه وبين نفسه من تَخْبِطٍ فكريٍّ أو تَبَنِّي اعتقداتٍ معاكسةً أمسك عن إعلانها ، أو أخذ يُعلن عنها ضِمن أسرته فقط ؛ فهذا لا يُلْاحِقُ بأي عقوبةٍ أو حَدًّ ، بل يَظْلُمُ مَحْمِيًّا بمبدأ : (لا إكراه في الدين) ، لأن حالي لا تَدْلُّ على أنه يواجه المسلمين بالحرابة .

٢- **حكم الحالة الثانية** : أي الذي أعلن عن ردّه وأخذ يُنشرُ أفكاره ويُسْعى إلى تشكيك الناس بعقائدهم ومبادئهم الإسلامية ، فإن صاحب هذه الحالة يُلْاحِقُ ، وللحاكم فقط - كما سيأتي - أن ينظر في أمره وسُبُّل القضاء على خطره بما يراه في مصلحة الأمة ، فله أن يحبسه أو يُضيق عليه ، أو يحاوره في أمر الشبهات التي اعتمدَ عليها

في ارتداده ، وله أن يقتله إن رأى ذلك ، قال رسول الله ﷺ : (لا يَحِلُّ دَمُ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ ، يَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : التَّبَيْعُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ)^(١) .

وموجب العقوبة هنا ليس مجرد الكفر بعد الإسلام ، وإنما هو - عند جمهور الفقهاء - بسبب ما تتضمنه ردة المرتد من إعلانه الحرابة على المسلمين ، وبما أن مقاومة الحرابة - أيًا كان مصدرها - هي من اختصاص إمام المسلمين وحده ، وليس من اختصاص الأفراد ، فلا يجوز لأفراد الناس أيًا كانوا أن يحكموا على المرتد أو يلحوظون بالعقوبة ، وهذا بإجماع الفقهاء ، بل للحاكم أن يعاقب قاتل المرتد عقوبة قد تصل إلى القتل فيما يراه المالكية .

ولذلك فقد ذكر بعض الفقهاء أن المرأة لا تُقتل بسبب الردة ؛ لكونها لا تتأتى منها الحرابة ، واستدلّوا على ذلك بأن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء في الحروب .

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول الله تعالى : «أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف» عن مسروق بن عبد الله ، برقم (٦٤٩٨) . وأنخرجه مسلم في صحيحه ، باب ما يباح به دم المسلم ، برقم (١٦٧٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

الجهاد في الإسلام.. أنواعه ودوعيه^(١)

تعريف الجهاد :

هو بَذْلُ الْجُهُدِ فِي سَبِيلِ إعلانِ كَلْمَةِ اللَّهِ ، وَالتَّعْرِيفِ بِالْحَقِّ الَّذِي أَبْتَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرَّسُولَ وَالْأَنْبِيَاءَ ، وَالدُّعْوَةِ إِلَى التَّمْسِكِ بِهَذَا الْحَقِّ .

أنواع الجهاد :

الساحة الجهادية الأولى : هي ساحة الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويتمُّ هذا الواجب من خلال التعريف بالإسلام ومبادئه ، وإزالة الشبهات التي قد تتسلل إلى طريق فهمه والاقتناع به ، والثباتُ على الصَّدْع بـكلمة الحقّ مهما جرّ ذلك من أنواع الشدة والإيذاء ، فهذا هو الأساس الأول في شرائع الجهاد وأحكامه ، وهو الركن الركيـن فيه .

وقد استقرّ في أذهان الناس أنَّ الجهاد إنما شُرع بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، غير أنَّ الحقيقة ليست كذلك ، فالعهد

(١) هذا المبحث وما بعده خلاصة كلام العلامة الشهيد عن الجهاد في مجموع برنامجه « مع البوطي في قضايا الساعة » بشكل أساس ، ومن كتابه « الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه » ، ودورس الجهاد التي ألقاها في مسجد الإيمان عام (١٩٩٦ م) ، ومن برنامجه التلفزيوني : « هذا هو الجهاد » ، إضافة إلى مجموعة متفرقة من خطبه رحمة الله تعالى .

المكّيُّ من حياة رسول الله ﷺ حَفَلَ بالجهاد كما حَفَلَ به العهد المدنيّ، والقرآن المكّيُّ تحدّث عن الجهاد وأمر به كالقرآن المدنيّ تماماً .

إننا نقرأ في سورة الفرقان - وهي مكّية كلُّها - قوله عزّ وجلّ : ﴿فَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهَدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٢] أي : جاهدهم بالقرآن وحجّجه .

وسبب هذا الذي استقرّ في أذهان كثير من الناس أنهم حصرّوا الجهاد في معناه القتالي الذي شُرِعَ بعد الهجرة ، ولقد أدّى هذا التصور إلى إزالة سمة الجهاد عن أهم أنواعه ، وهو الجهاد باللسان والفكر والمال .

والحقيقة هي أنّ الجهاد القتالي في الشريعة الإسلامية ليس أكثر من العين الساهرة التي تحرس حقوق الأمة ، وآية ذلك أن المسلمين عاشوا في مكة مع رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً يتعرّضون لأصناف من الاستهانة والإيذاء ، دون أن يؤذن لهم بالجهاد ، فلم يُقابل رسول الله ﷺ إيذاء المشركين له ولا أصحابه بأي مقاومةٍ قتالية ، بل كان جهاده ﷺ محسوباً في الثبات على الدعوة والصبر على الأذى ، فحياة المصطفى ﷺ في مكة بعدبعثة - والتي دامت ثلاثة عشر عاماً - كانت مقرونةً بهذا النوع الذي هو أساسُ الجهاد في حياة المسلمين وفي الشريعة الإسلامية .

ثم شُرِعَ بعد ذلك الجهاد القتالي نتيجةً لعوارض الظروف والأحوال ، فهو بمثابة الدّواء الذي يُلْجأُ إليه فراراً من الأوجاع والأمراض .

دليل الجهاد الدّعوي :

* يُفتح باب الجهاد في كتب الفقه عادةً ببيان هذا الركن الأساس منه ، حتى يتبيّن لكلّ دارسٍ ومستبصرٍ أن الدّعوة إلى الله هي الساحة الجهادية الأولى ؛ ثم يأتي دور الجهاد القتالي بأنواعه المختلفة ، لكونه فرعاً عنها وحصناً لها ، وهذا ما نص عليه فقهاء المسلمين في كتبهم .

* وإنّ جهاد النبي ﷺ منَذَ البعثة و حتى الهجرة كان بدعوته للمرشكين باللسان ، وإقامة الحجج والبراهين ورد الشبهات .

فعدم وجود نوع ثانٍ في ذلك الوقت دليلٌ على أنّ هذا الجهاد هو الجهاد الأساس ، والنوع الثاني وُجدَ بعد أن ثار الكافرون على تلك الدّعوة بالصدّ و تهديد القائمين بها .

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحَسَنْ قَوْلًا مَّمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] ، قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحَسَنْ قَوْلًا ﴾ استفهامٌ تعجيزيٌّ لبيان أهمية هذا الجهاد ، أي وهل يوجد من هو أحسن شأنًا وفعلاً وقولاً من دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ؟ فهذا هو أفضل أنواع الجهاد .

ما هي الحكمة من مشروعية الجهاد الدّعوي :

إن الله تعالى شرّفنا بمعرفته ، ومن ثم فقد عرّفنا على أنفسنا عبیداً مملوكين له ، وضررية هذه المعرفة التي هي مِنْ أَجَلِ النّعْمَ التي

أكرمنا الله بها أن نوجّهها إلى إخواننا في الإنسانية ، فنحاول جاهدين أن ينعموا بمثل هذه المكرمة التي أكرمنا الله سبحانه وتعالى بها .

ضريبة محبة الله عزّ وجلّ لنا إذ فتح عقولنا لمعرفة ذاته وفتح أفقنا لمحبته وتعظيمه ، أن نغار على إخواننا في الإنسانية ، فنهديهم إلى مثل ما هدينا إليه .

والسبيل إلى ذلك يتمثّل في قائمة من الوظائف ومنها الجهاد ، وأول بند فيها هو الدعوة إلى الله بمحاجرة الآخرين ابتغاء شدّهم عن طريق العلم إلى معرفة الله والإيمان به ، وفتح أفقهم لمحبته ومهابه.

فالدّعوة إلى الله هي نوع من أهم أنواع العبادة التي يُتقرّب بها إلى الله سبحانه وتعالى ، وهي من نوع المهمة التي بعث بها رسول الله ﷺ ، مع فارقٍ واحدٍ هو أنَّ محمداً ﷺ كلفَ أن ينهض بهذه المهمة طبقاً للوحي الذي يُواكبُه في دعوته باستمرار ، أما أصحابه والذين سيأتون من بعدهم ؛ فمُهمتهم أن يسلّكوا السبيل ذاته بالانضباط بالأداب التي سيتركها لهم ، فهو ﷺ أرسل مبلغاً ، ونحن كُلّفنا أن نسير على قدمه ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ولذلك يقول ﷺ : (بَلْغُوا عَنِي وَلَوْ آتَيْتُهُ)^(١) ، فالدّعوة إلى الله هي أساس الجهاد ، وهي السُّلْمُ لإقامة الدولة الإسلامية .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، برقم (٣٢٩٢) ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

فالدّولـة الإـسـلامـيـة إنـما تـتـحـقـق بـكـل أـرـكـانـهـا عـن طـرـيق الدـعـوـة المستـمـرـة ، حتـى إـذـا نـضـجـت الدـعـوـة فـي رـؤـوسـ النـاسـ وـآتـتـ ثـمـارـهـا ؛ سـنـجـدـ أـنـ الـمـجـتمـعـ يـتـحـوـلـ بـشـكـلـ آلـيـ إـلـى دـوـلـة إـسـلامـيـة .

حكم الجهاد بالدعوة إلى الله :

الجهاد بالدعوة حـكمـ تـبـلـيـغـيـ يـشـمـلـ الـمـسـلـمـيـنـ عـامـةـ ، خـاطـبـ اللهـ تـعـالـىـ بـهـ عـبـادـهـ فـرـداـ ، وـأـمـرـ كـلـاـ مـنـهـمـ بـالـنـهـوـضـ بـهـ دـوـنـ وـسـاـطـةـ الـأـئـمـةـ وـالـحـكـامـ ، لـكـنـهـ يـقـفـ عـنـدـ حـدـودـ الـوـجـوبـ أـوـ الـفـرـضـ الـكـفـائـيـ ، قـالـ تـعـالـىـ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ مُّهَاجِرَةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقد يكون ينزل المال أو بالسفر لتعريف الناس بدين الله ، أو بإزالة الاتهامات والسبّهـاتـ التيـ تـلـصـقـ بـالـإـسـلامـ وـالـرـدـ عـلـيـهاـ بـالـطـرـقـ المـوـضـوعـيـةـ السـلـيـمـةـ .

وأقل مـسـاحـاتـ حـرـكـاتـ الـمـسـلـمـ ضـمـنـ هـذـهـ الدـعـوـةـ هيـ أـسـرـتـهـ ، فـعلـيهـ أنـ يـدـعـوـهـمـ إـلـىـ اللهـ عـزـ وـجـلـ ، فـإـنـ تـأـتـيـ لـهـ الـمـزـيدـ يـزـيدـ الـمـسـاحـةـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ قـدـرـ ثـقـافـهـ وـإـمـكـانـاتـهـ .

آدـابـ الـجـهـادـ الدـعـوـيـ وـشـروـطـهـ :

* العلم : فالشـرـيعـةـ الإـسـلامـيـةـ لاـ تـجـيزـ لـإـنـسـانـ أـنـ يـعـظـ النـاسـ مـوـعـظـةـ عـاطـفـيـةـ وـجـدـانـيـةـ فـارـغـةـ مـنـ الـعـلـمـ ، وـلـاـ يـشـرـطـ أـنـ يـكـونـ مـطـلـعاـ عـلـىـ كـلـ عـلـومـ الـإـسـلامـ ، بلـ يـكـفـيـهـ أـنـ يـكـونـ خـبـيرـاـ فـيـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـرـيدـ أـنـ يـحـاورـ النـاسـ فـيـهـ .

* أن يكون الداعي بصيراً بسلّم الأولويات : فلربما أراد أن ينهى عن منكرٍ فتسبّبَ نهيهُ في وقوعِ منكرٍ أخطر منه ، فيعلم أن عليه السكوت عن هذا المنكر ابتعاداً عما هو أخطر منه .

* أن لا تنبئ أعمال الدعوة الإسلامية إلا من شعورٍ غامِرٍ بالشفقة والرحمة لعباد الله جمِيعاً : فعلى كُلِّ مَنْ جَنَدَ نَفْسَهُ داعياً إلى الله أن يجعلَ مِنْ قَلْبِهِ وِعَاءً يَفِيضُ بِالرَّحْمَةِ لِعِبَادِ اللهِ كُلِّهِمْ ، على اختلافِ نِحَلِهِمْ وَمِلَلِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ وَاتِّجَاهَهُمْ .

ولا يتحقق ذلك إلا بأن يُضَحِّي الداعي بحظوظه الشخصية ومصالحه الدنيوية في سبيل تحقيق الخير لهم جمِيعاً ، وهيهات أن تكون الدعوة هي المنطلق الجهادي الأول لو لم تكن قائمة على هذا الشرط وأساساً ، أوليسَ هو القائل عن رسوله محمدٌ ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

فإن بقيت في نفسك شائبةٌ رَّيبٌ ، فارجع إلى حياةِ سيدنا محمدٌ ﷺ - وأنْتَ تعلم أنه سيد الدعاة إلى الإسلام وإمامهم في ذلك - فتأمِّلْ مَدِي رحمته بالناسِ كُلِّهِمْ . ألم تسمع قوله ﷺ : (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)^(١) . أولم تعلم أنَّ بعضَ أصحابه قالَ لِهِ : يا رسولَ الله ، ادعْ على المُشْرِكِين ، فقالَ ﷺ : (إِنِّي لَمْ أُبَعِّثْ لَعَانًا ، وَإِنَّمَا بُعْثُتُ

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، باب في الرحمة ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، برقم (٤٩٤١) . وأخرجه الترمذى في سننه ، باب ما جاء في رحمة المسلمين ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، برقم (١٩٢٤) .

رَحْمَةٍ)^(١) . وقد صحَّ عنِهِ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يُطْلَبْ مِنْهُ الدُّعَاءُ عَلَى أَحَدٍ مِّنَ النَّاسِ ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا ، عَمُومًا أَوْ خَصْوَصًا ، إِلَّا وَعَدَ اللَّهُ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ إِلَى الدُّعَاءِ لَهُ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالْهُدَى : (اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا ، وَأَئِتْ بِهِمْ)^(٢) . وَقَدِمَ طُفِيلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا ، فَقَيْلَ : هَلَكَتْ دَوْسٌ ، قَالَ : (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَئِتْ بِهِمْ)^(٣) .

فهيئات أن يكون الإنسان ناصحاً إذا كان مبغضاً لمن ينصح ، وهذا لا يتعارض مع ما هو مقرّر من ضرورة البعض في الله ، لأنّه لا يعني أن تكون في نفس المسلم أيّ كراهيّة للشخص بالذات ، بل يتّجه البعض إلى المعصية التي تلبّس بها أو الكفر الذي أصرّ عليه ، وهذا في حقيقته ليس إلا معنى من معاني الشفقة على شخص العاصي ، وهذا ما عناه سيدنا لوط - على نبيتنا وعليه الصلاة والسلام - عندما قال لقومه فيما رواه ربيه عنه : ﴿إِنِّي لِعَمِلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء : ١٦٨] . فالداعي طبيب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، برقم (٢٥٩٩) .

(٢) أخرجه الترمذى في سننه ، بباب مناقب في ثقيف وبني حنيفة ، عن جابر رضي الله عنه قال : قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَقْنَا نِبَالُ ثَقِيفٍ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ . قَالَ : « اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا » وَقَالَ الترمذى : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ » ، برقم (٣٩٤٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، بباب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، برقم (٢٨٠٠) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، بباب من فضائل غفار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، برقم (٢٥٢٤) .

والمَدْعُو مريض ، والطبيب لا يكون طبيباً ناجحاً إلا إذا اندفع إلى تطبيب مريضه بدافع من الشفقة والرحمة .

إن معنى البعض في الله أن يبغضَ المسلم من الشخص تَلَبِّسُه بالمعاصي ، بحيث لا تكون في نفسه أي كراهية لشخصه بالذات ، ولا ريب أن مبعث هذا البعض إنما هو الغيرة عليه والمبالغة في حب الخير له .

ولا يتأتى الوصول إلى هذه الدرجة إلا لمن طهر قلبه من السخائم والأحقاد بـكثرة الذكر والالتجاء إلى الله في جوف الليل ، أن يأخذه من نفسه و يجعله لا يرى إلا المُكُون ، عندئذٍ يأتيه التجلی الرباني ويزول غَبَشُ الكراهيَة مما بينه وبين الناس ، فينفذ كلامه إلى قلوبهم . وصفوة القول أن الدعوة إلى الله عبادة بل عبودية ضارعة الله ، يتوجه بها الداعي إلى عقول الناس وقلوبهم ، لإقناع الأولى بالحق ، وتطهير الثانية من الأدران والآفات ، وإنما ينهض المجتمع الإسلامي على عقول تؤمن بالحق وتذعن له ، وقلوب اتجهت إلى الله بالخوف منه والحب له .

* الدعوة إلى الله تقوم على النصيحة الطوعية لا على الأمر القسري :

يجب على الداعي أن يقف عند حدود التعريف والتذكير والنصح ، فلا يجوز للداعي أن يتتجاوز بها إلى درجة الإكراه والإلزام ، وكم أكَّدَ البيان الإلهي هذه الحقيقة لرسول الله ﷺ ، وكررها بأساليب شتى ، من ذلك قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِمْ﴾

بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ أَلَّا كَبَرَ ﴿[الغاشية: ٢١-٢٤]﴾ . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مَا نَرِثَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّا مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] .

ولاحظ أن في هذه الآيات ما هو مدني ، أي نزل بعد مشروعية الجهاد القتالي ، ومعنى هذا أن الدعوة لم تحول - في عهده ما - من نصح اختياري إلى أمر قسري . فالإسلام معتقد يسري إلى العقل عن طريق العلم ، ثم هو حُبٌ يسري إلى الفؤاد تعظيمًا لحرمات الله وحبًا له ومخافة ومهابة منه ، والداعي إلى الله يستطيع أن يُرغِّم اللسان ، ولكنه لا يستطيع أن يدخل إلى قلب المدعى فُيرغمه على الإيمان ، ولو أنه خوفه بالسلاح فنطق بالشهادة فالله تعالى لا يقبل منه ذلك ، يقول رسول الله ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ) ^(١) .

وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ﴾ فـ (لا) هنا ليست نافية ، بل هي نافية لجنس الإكراه ، أي حتى ولو أردتم إكراه الناس على الدين لا يتأتى لكم ذلك لأن قلوبهم بيد الله ، والجملة هنا خبرية وليس إنشائية .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب تحريم ظلم المسلم ، برقم (٢٥٦٤) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

وقد سارت الدعوة إلى الله في عهد رسول الله ﷺ ، وفي عهد الصحابة والخلافة الراشدة من بعده على هذا المنوال ، واتسمت بهذه الطبيعة ، ونُسِّجَ من ذلك تاريخ مشهود ومقروء ليس فيه أي غموض أو لبس .

فعندما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح لم يُجبر أياً من أهلها على الإسلام ، بل خطب فيهم قائلاً : (ما ترون أنني صانع بكم ؟) قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء)^(١) . ولم يستقبل من المبايعين له إلا من ساقته إليه قدماه طوعاً... ، وغادر رسول الله ﷺ مكة وفيها عدد كبير من المشركين .

ولو كانت الدعوة إلى الله تكون بالجبر لكان هذا خيراً وقت له ، فرسول الله ﷺ دخل مكة من أعلى قمم النصر ، ومع ذلك لم يحمل أهلها على الإسلام ، بل تركهم وفيهم مشركون .

ولما توجه رسول الله ﷺ بعد فتح مكة إلى غزوة حنين ذُكر لرسول الله ﷺ أنَّ عِنْدَ صَفَوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ دُرُوعاً وَأَسْلَحَةً ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ - فَطَلَبَ مِنْهُ الدُّرُوعَ وَالْأَسْلَحَةَ ، فَقَالَ صَفَوَانُ : أَغَصْبَاً يَا مُحَمَّدَ ؟ قَالَ : (بَلْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً)^(٢) .

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، باب فتح مكة حرسها الله تعالى ، برقم (١٨٠٥٥) . وفي معرفة السنن والآثار ، كتاب السير ، المسلم يدخل دار الحرب فيشتري داراً أو غيرها ، برقم (٥٦٧٤) .

(٢) ينظر : مسنـد أـحمد (٢٧٦٣٦) ، وـسنـ أبي دـاود في الـبيـع ، بـاب في تـضـمـين =

وقد رُويَ عَنْ غُلامَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ رضيَ اللهُ عنْهُ اسْمُهُ « وَسْقٌ » كَانَ نَصْرَانِيًّا ، قَالَ : كُنْتُ مَمْلوكًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ ، فَكَانَ يَقُولُ لِي : (أَسْلِمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ اسْتَعْنُ بِكَ عَلَى أَمَانَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَعِنَ عَلَى أَمَانِتِهِمْ بِمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ) قَالَ : فَأَبَيْتُ ، فَقَالَ : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، فَلَمَّا حَضَرَتُهُ الْوَفَاءُ أَعْتَقَنِي ، فَقَالَ : (اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتُ)^(١) .

فإذا قام المسلمون بواجب الدعوة إلى الإسلام فقوبلوا بالاستهزاء والسخرية ، فليس لهم أن يقاتلوهؤلاء الذين سخروا منهم ، وإنما يخاطبونهم كما خاطب وفدى نصارى الحبشة كفار قريش : ﴿ سَلَّمُ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

الإخلاص لله عز وجل بحيث لا تمتزج هذه الغاية بأي غاية أخرى :

فلا يجعل الداعي من دعوته إلى الله وسيلةً لبلوغ منصبٍ أو للوصول إلى الحكم ، لأن الإنسان الذي يمارس الدعوة إلى الله وهو يتآبّط مصلحةً مادية أو سياسية أو غيرها لن يستجاب له ، لأن دعوته تكون عبارةً عن لسانٍ يتحدّث بينما قلبه يتأمّل في الأهداف التي يحملُ

= العارية ، (٣٥٦٢) ، والسنن الكبرى للنسائي ، في العارية والوديعة ، باب تضمين العارية (٥٧٧٩) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ، سورة البقرة ، قوله (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) ، (٢٦٥٠) . وأبو نعيم في الحلية (٣٤ / ٩) وغيرهما ، وهو في مصنف ابن أبي شيبة في الأيمان والنذر والكافارات ، في عتق اليهودي (١٤١٠٧) ، ولفظه : (عَنْ وَسْقٍ ، قَالَ : كُنْتُ مَمْلوكًا لِعُمَرَ ، فَكَانَ يَعْرِضُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ ، وَيَقُولُ : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، فَلَمَّا حُضِرَ أَعْتَقَنِي) . وقد وقع اسمه في بعض المصادر (أسبق) وفي بعضها (أَسْقَ) .

بها ، وبمقدار ما يكون مُتَحِّرِّقاً على دين الله عزّ وجلّ وعلى الذي يدعوه ألا يكون غداً وقوداً لنار جهنّم ، يلقى كلامه تأثيراً في النفوس .

أين تظهر ثمرة الجهاد الدعوي :

من المعلوم أن الإسلام أعطى الحرية لكل صاحب مذهب أو رأي أو اجتهاد أن يعلن عن رأيه واجتهاده ، وأن ينافح عنه بما يرى أنه الحق من الأدلة والحجج ، فإن كان ذلك الرأي في حقيقته باطلًا مخالفًا لنصوص القرآن والسنة الصحيحة ، فإن على أئمة الدين وعلمائه أن يدحضوا الباطل بالحق ، ويكشفوا عن الزغل بالحوار والنقاش . وهذا هو النهج الذي سار عليه المسلمون في العصور الذهبية للإسلام ، وفي عصر السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فقد تكاثرت فيه الفرق الجانحة ، كالمعتزلة والمرجئة والحسوية والخوارج وغيرهم . . . ، فلم تُغلق في وجه أي منهم أبواب حرية البحث والنقاش وإعلان المذهب والرأي ، بل كان مسجد البصرة والكوفة يجج كل منهما بحلقات علمية تنتهي إلى كل هذه المذاهب وغيرها . وعندما ذابت تلك المذاهب والفرق الجانحة ، وانطوت في تيار السواد الأعظم الذي يمثله أهل السنة والجماعة ، لم يكن ذلك نتيجة أي قمع أو خنق لأصوات تلك المذاهب أن تُعبر عن رأيها أو أن تُدلي بحاجتها ، وإنما كان نتيجة التلاقي المستمر في حلقات المناقشة والحوار ،وها هو ذا سجل كثير من تلك المناقشات باقٍ ومتداول إلى هذا اليوم .

ولو جاز في الإسلام قَمْعُ المذهب المخالف لما تأتى الأمر بمجادلة أصحابه في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَدِلُهُمْ بِإِلَيْتِي هِيَ أَحَسَنُ ﴾ [التحل : ١٢٥] ، إذ كيف تتم مجادلة من لا يملك أن يُعبر آمناً مطمئناً عن رأيه .

ولكن لا بدَّ من ملاحظة نأخذها بعين الاعتبار : أن الحرية الذاتية النابعة من قناعة صاحبها ، دون التي يكون مدفوعاً إليها من جهةٍ أجنبية ، كما هو الشأن اليوم بالنسبة لكثير من الأنشطة التي تتسرّب إلينا من الخارج ، ثم تستقر فيما بيننا تحت سلطان الحرية والحق الديمقراطي .

الفرق بين الحركة الإسلامية وجihad الدعوة إلى الله :

إن كلمة « الدعوة » تدلُّ على معنى لا يتحقق إلا من خلال طرفين : اثنين :

- داعٍ يُرشد ويبين ويدعو .

- مَدْعُوٌ يُنطق واقعه بالحاجة إلى من يُرشده ويبين له الحق ، ويأخذ بيده ليُنهضه من عثراته الفكرية ، ويُحرره مما علِقَ به من شبّهات وأوهام .

إن الدعوة التي يفهمها ويمارسها أكثر الجماعات الإسلامية اليوم ، ليست أكثر من أنشطة تدور حصرًا بين أفرادها أنفسهم ! وتمثل هذه الأنشطة - كما هو معروف - في مناقشات تدور بينهم حول المستجد من أوضاع المسلمين ، والمشكلات التي تطوف بهم أو

يعانون منها ، وفي تحليل وتقويم واقع الحكومات والأنظمة القائمة في بلادهم خاصة ، أو في البلاد الإسلامية عامة ، ثم في رسم الخطط التي تتکفل بترسيخ وجود أفضل وأكثر قوة لهم ، على طريق السعي للوصول إلى مناطق الحكم والنفوذ ، ثم في التحرك التعاوني المنظم لتنفيذ هذه الخطط بالسبل المتنوعة الممكنة .

فهل هذه هي الدعوة التي أمر الله عزَّ وجلَّ بها في قوله : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِأَلْقَى هَيْ أَحَسَنَ﴾ [النحل : ١٢٥] ، إنك لتنظر ، فترى أن بربخاً كبيراً يفصل بين تلك الجماعات التي تنشط نشاطها الحركي الذي أوضحناه ، وهذا الخلط من التائهين والجانحين والجاهلين .

كلُّ هذا ، في حين أن الإسلاميين أو الجماعات الإسلامية منصرفون إلى أنشطتهم الحركية الخاصة بهم والدائرة فيما بينهم ، والهم الذي ينامون عليه ويستيقظون عليه هو كيفية وصولهم إلى الحكم ، ومع ذلك فهم عند أنفسهم وقناعاتهم يُمثلون طليعة الدعاة إلى الله ، من خلال هذا العمل الحركي ! .

فمجتمعاتنا العربية والإسلامية بمقدار ما تفوق بأنشطة الجماعات الإسلامية المتکاثرة ، تعاني من الفقر الشديد والركود الخطير في مجال أعمال الدعوة إلى الله ! .

الداعي إلى الله بحق ، يجيئُ وقود الدعوة بين جوانحه ، في ضرامة الحقيقة الربانية القائلة : (لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ

أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ^(١) ، فهو يتوجه بأمل الهدایة إلى الأئمة والقول ، ويتعلق منه الطمع بعد ذلك بربا علام الغیوب ، ويتنظر من حصاد دعوته تربيةً قويمةً تشیعُ بينَ الأفراد ، واستقامَةً على الخُلُقِ السليم والسلوك الرشيد في علاقة ما بينهم على كل المستويات .

أما المُتَحَرِّك سعيًا إلى نصرة جماعته أو حزبه ، فهو إنما يتوجه بهم في حركة تكتيكية إلى مقاليد الحكم ، ومن ثمَّ فهو أبعد ما يكون عن الاهتمام بإصلاح القلوب وإقناع العقول وتهذيب النفوس ، وإنما همه - بل كُلُّ همه - محصورٌ في أن يقتنع الناس بضرورة إبلاغه إلى سدة الحكم والقيادة ، ليُريَّهم كيف يُفجّر لهم من نظامه الذي ينادي به جنة تزخر بأمواج السعادة للجميع .

ما السبيل إذن لإقامة الحكم الإسلامي؟

الجواب هو أن الله عزَّ وجلَّ قدَّمَ المهمة بيننا وبينه ، فكُلُّنا بقائمةٍ من الأمور ، وضَمِّنَ لنا قائمةً أخرى .

كُلُّنا أن نقوم بواجب الدعوة إليه والتعريف بدينه ، وقال لنا :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا﴾ [النور : ٥٥].

(١) أخرج البخاري في صحيحه ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ، برقم (٣٠٠٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه . وأخرج مسلم في صحيحه ، باب من فضائل علي رضي الله عنه ، برقم (٢٤٠٦) ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

كُلّفنا أن نقيم المجتمع الإسلامي بإيجاد أفراده الصالحين أولاً ، والنهوض الحقيقى بهذا الواجب ، وتكفل الله لنا ببقية الأمر ، فالسبيل إلى سيادة الحكم الإسلامي والخضوع لسلطانه هو بث القناعة بالإسلام وعقائده في عقول الناس وأفكارهم ، وأخذهم بال التربية الإيمانية عن طريق بث جذورها وعواملها في نفوسهم ، والثبات على ذلك في صبر لا يكلّ ، فإن مآل ذلك أن تنتشر الهدایة في العقول والتزكية في النفوس ، ولسوف يمتدّ من ذلك إشراقاً إلى الحكم ورجاله وأجهزته .

* * *

الجهاد القتالي

مقدمة :

إن الجهاد الذي شرف الله به هذه الأمة منذ فجر حضارتها لا يقوم على شيءٍ من دوافع العصبية أو العنصرية أيًّا كان نوعه ، فلم يكن الجهاد يوماً بقصد القتل والاقتتال الذي تدور رحاه على البراء الآمنين ، بل إن هذه الصورة المشوهة للجهاد يُراد منها خنق الجهاد باسم الجهاد .

لماذا شرع الله تعالى للمسلمين الجهاد القتالي ؟

لم يكن للمسلمين في مكة وراء العقيدة التي يدعون إليها ويُحاورون في سبيلها أي حق ثابت ينهضون لحراسته ويقاتلون في سبيله إن اقتضى الأمر ، ومن ثم لم يكن للجهاد القتالي أي موجب ، ومن ثم لم يكن له أي وجود آنذاك ، بل لقد علمنا أن النبي ﷺ ما كان يستقبل عدوان المشركين له إلا بمزيد من الشفقة عليهم والرحمة لهم ! فما حَرَّكَ لسانه بكلام قاسٍ لهم أو بداعٍ عليهم ، حتى في أحلكِ الساعات وأقسى الظروف التي مرت به وبال المسلمين في تلك السنوات الطوال التي أمضوها في مكة .

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد أسلم أكثر أهلها ، نشأت أول دولة إسلامية بعد أن توفرت لها العناصر الثلاثة اللازمـة لقيام أي دولة :

١- الأرض : حيث أصبح لل المسلمين أرض تحميهم من أعدائهم ، ويقدرون فيها على إظهار دينهم ، وهي ما يُسمى بـ (دار الإسلام) .

٢- الأمة الواحدة .

٣- النظام السُّلْطُوِي : الذي يجمع الأمة الواحدة ، وينظم العلاقة بين أفرادها ؛ مُكَوِّنًا من أحكام الدين و تعاليمه .

فكان على المسلمين أن يتّحّمّلوا مسؤولية حفظ هذه المَكْرَمة التي أكرّهم الله بها ، ويدفعوا غائلة الْمُعْتَدِين الذين بدؤوا يتحرّكون خوفاً من اتساع سلطة الدولة الإسلامية ، فشرع الله تعالى لهم القتال حفاظاً على هذه الدولة ودفاعاً عنها ، ونزلت أول آية بشأنه وهي قوله عز وجلّ : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

[الحج : ٣٩] .

رسول الله ﷺ لم يُقاتل في سبيل الحصول على دار الإسلام ، ولم يُقاتل في سبيل بناء دولة إسلامية ، أو إيجاد حشد من المسلمين تتّالف منهم تلك الدولة ويتتحقق بهم نظامها ، وإنما قاتل بعد أن منحه الله ذلك كله ، حراسةً له ودفاعاً عنه . فالجهاد القتالي إنما شرعه الله تعالى حمايةً لموجود لا في سبيل إيجاد شيء معدوم .

وهذا هو سبب ارتباط مشروعية الجهاد القتالي بالهجرة إلى المدينة ، وليس السبب - كما يتوهم البعض - أن المسلمين كانوا في مكة قلة ضعفاء ، إذ إن المسلمين كانوا في الكثير من المعارك التي خاضوها أقلّ من أعدائهم عدداً وأضعف عدة ، وقد غرس البيان

الإلهي في قلوب المسلمين وعقولهم أن قلّتهم لن تكون سبباً لِتغلُّب الأعداء عليهم ، قال تعالى : ﴿ كَمْ مِنْ فَئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

هل الجهاد القتالي لدرء الحرابة أم للقضاء على الكفر ؟

مفهوم الحرابة : يُطلق عندما تَظُهر وتَجْلِي لَنَا أَدْلَلَةً واضحةً ثابتةً على تَبَيَّنِ نِيَةِ العَدُوَانِ ، أو ثَبَوتِ التَّخْطِيطِ لِلْعَدُوَانِ ، أو الْمُبَاغَةِ الْعَدُوَانِيَّةِ . وَهُوَ الْمَعْنَى الْمُتَدَاوَلُ حَتَّى بَيْنَ الدُّولِ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ .

وَتَدْلُّ الآياتُ الْصَّرِيقَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّ مُوجَبَ قَتَالِ الْمُسْلِمِينَ لِغَيْرِهِمْ إِنَّمَا هُوَ الْعَدُوَانُ الصَّادِرُ مِنْهُمْ ، وَهِيَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ نَزَّلَتْ فِي سُورٍ مُتَفَرِّقةٍ ، وَمِنْهَا مَا نُزِّلَ قَبْلَ وَفَاتِ رَسُولِ اللَّهِ وَكَافِيَةً بِأَشْهَرٍ .

مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيْرِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة : ٨] .

كما تَدْلُّ أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ وَصَاحِبِيهِ عَلَى النَّهَيِّ عَنْ مُقَاتَلَةِ غَيْرِ الَّذِي يُوَاجِهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَتَالِ وَالْعَدُوَانِ وَإِنْ كَانُوا كُفَارًا ، فَلَوْ كَانَ الْبَاعِثُ عَلَى الْقَتَالِ كُفَارًا لَاسْتُوِيَ فِي مُوجَبِ الْقَتْلِ هُؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ .

كما يَدْلُلُ عَلَى ذَلِكَ وَصِيَّةُ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ لِجَيْشِ أَسَامِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، فَقَدْ جَاءَ فِيهَا : (إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنفُسَهُمْ لِلَّهِ ، فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنفُسَهُمْ لَهُ ، ... وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ : لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأً ، وَلَا صَبِيًّا ، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا ، وَلَا

تَقْطَعُنَ شَجَرًا مُثِيرًا ، وَلَا تُخْرِبَنَّ عَامِرًا ، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاهًةً وَلَا بَعِيرًا ، إِلَّا لِمَأْكُلَةٍ ، وَلَا تَحْرِقَنَّ نَحْلًا ، وَلَا تُنْزِقَهُ ، وَلَا تَغْلُلُ ، وَلَا تَجْبَنُ)^(١) .

تفيدنا الأدلة السابقة - وغيرها كثير - أن الكفر يعالج بالدعوة والتبلیغ والحوار ، وأن الحرابة « العدوان » تعالج بالقتال ، وما من آية نزلت في الجهاد القتالي إلا ونرى فيها أو في الآيات التي تحيط بها ما يبرز أن علة القتال هي الحرابة ، أو نية العدوان والقتال ، سواء في ذلك ما نزل مباشرة بعد الهجرة أو في آخر حياة النبي ﷺ .

فالجهاد القتالي لم يشرع لجبر الناس على الإسلام - كما يحلو لبعض المُفتَّتِين من محترفي الغزو الفكري أن يقولوا - ومتى كان الإسلام الذي يُساق إلى الإنسان إليه كرهها إسلاماً مقبولاً عند الله ؟ ! إذن لا سُتُّوي المنافق والمؤمن في ميزان الله عز وجل ، وأنى يكون ذلك ؟ ! وإنما شُرع لحالة طارئة وهي العداوة التي استشرت لدى القبائل العربية ضد الدولة الإسلامية ، وكذلك العداوة التي ظهرت من الحضارة الرومانية والساسانية والفرس وغيرهم ، والدليل على ذلك ما ذكرنا من القرآن والسنة وعمل الصحابة ومن بعدهم .

* * *

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو ، برقم ١٦٢٧ .

شُبهَاتُ حَوْلِ نَصُوصٍ

هل يتعارض حديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) مع ما سبق؟

غير أن شيئاً واحداً يُشكل على فهم هذا الذي أوضחנו، ويمد غاشيةً من الغموض والاضطراب عليه، وهو الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (أُمِرْتُ أَنْ أَقْاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)^(١). لقد كان الحديث مشكلاً حقاً لو كان نصه هكذا: «أُمِرْتُ أَنْ أَقْتُلَ النَّاسَ...».

أما التعبير «أقاتل» وهي الكلمة التي عبر بها رسول الله ﷺ فيما أجمع عليه الرواة، فليس فيها لدى التحقيق ما ينافي النصوص والدلائل التي أطلنا في بيانها، ومن ثمَّ ليس في فهم الكلمة أي إشكال.

وببيان ذلك أن الكلمة «أقاتل» على وزن «أفاعل» تدل على المشاركة، فهي لا تصدق إلا تعبيراً عن مقاومة من الطرفين، بل هي لا تصدق إلا تعبيراً عن مقاومةٍ لبادئٍ سبق إلى قصد قتل، فالمقابل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: «إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخُلُوا سَبِيلَهُمْ»، برقم (٢٥). وأخرجه مسلم في صحيحه، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، برقم (٥٤).

للبداء هو الذي يسمى مُقاتلاً ، أما البداء فهو أبعد ما يكون عن أن يُسمى مُقاتلاً ، بل هو في الحقيقة يسمى قاتلاً بالتوجه والهجوم أو بالفعل والتنفيذ ، إذ لا ينشأ معنى الاشتراك إلا لدى نهوض الثاني للمقاومة والدفاع .

إذاً فما هو معنى الحديث على ضوء هذا الذي أوضحناه ؟

معناه : أُمِرْتُ أَنْ أَصُدَّ أَيَّ عَدْوَانَ عَلَى دُعُوتِي النَّاسَ إِلَى الإِيمَانِ بِوَحْدَانِي اللَّهُ ، وَلَوْ لَمْ يَتَحَقَّقْ صُدُّ الْعَدْوَانِ عَلَى هَذِهِ الدُّعْوَةِ إِلَّا بِقتالِ الْمَعَادِينَ وَالْمَعْتَدِينَ فَذَلِكَ وَاجِبٌ أَمْرَنِي اللَّهُ بِهِ وَلَا مُحِيصَ عَنْهُ .

فإذا وجد المسلمون من يحاول أن يُكِمِّمَ أفواههم ويمنعهم من الإنفاذ بكلمة الدعوة إلى الله عز وجل وأصر على ذلك ، فهذا نوع من الاعتداء ، ولهم عندئذٍ أن يواجهوا ذلك بالقوة إذا وجدت لدى المسلمين المُكْنَةُ الْلَّازِمَةُ ، ولا يُشترط بعد ذلك استجابة الناس لهذه الدعوة ، فمهمة المسلمين تبليغ الدعوة إلى الناس ، وتعبيد السبيل إلى ذلك ، ثم عليهم أن يتركوا للناس حُرِيَّتَهُم في الاستجابة أو عدمها .

* معنى حديث (بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له) :

الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (بَعَثْتُ بِالسِّيفِ حَتَّى يُعبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَجَعَلْتُ رِزْقَيِّ تَحْتَ ظَلِّ رُمْحِي)^(١) حَدِيثُ مُجَمِّلٍ - كما قال كثيرون من العلماء -

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، برقم (٤٩٦٤) .

وجملة (بعثت بالسيف) تحتمل معنيين :

- ١- إكراه الناس على الإسلام حتى يعبد الله وحده لا شريك له .
- ٢- حمل السلاح في وجه كل من يعارض الدعوة إلى الله ، ويمنع من إبلاغ كلمة الله عزّ وجلّ إلى الناس .

فأيُّ المعنى هو الصحيح ؟

من قواعد أصول الفقه أنه لا يجوز أن يفسر القرآن إلا على ضوء القرآن والسنة ، ولا يجوز أن تفسر السنة إلا على ضوء القرآن والسنة ، فلا يجوز لنا أن نلقط حديثاً ونسجن أنفسنا فيه وحده ، ثم نحاول تفسيره لأننا سنخطيء .

إذا عرضنا هذا الحديث على سُنَّة رسول الله ﷺ القولية والفعلية ، نجد أنه ﷺ لم يُجبر أحداً على الدخول في الإسلام كما أوضحتنا سابقاً ، بل إنه ﷺ دافع عن قبيلة خُزاعة رغم شركها ، وما كان فتح مكة إلا لذلك ، كما أنه ﷺ تكفل بدفع دية رجليين مُشركيْن قتلهمَا عمرو بن أمية الضميري خطأً ، كما قال ﷺ : (ألا لا يُفتنَ نَصْرَانِي عن نَصْرَانِيهِ ، ولا يُفْتَنَ يَهُودِي عن يَهُودِيْتِهِ) ^(١) .

فعلى ضوء كل ما سبق لا يمكن أن يكون معنى (بعثت بالسيف) إجبار الناس على الإسلام ، لأننا لو فسرناه بهذا المعنى فإننا نمزق كل

(١) ينظر : معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٢٧٢٢) السنن الكبرى للبيهقي في الجزية ، باب كم الجزية (١٧٣٦٤) ، الأموال للقاسم بن سلام في سنن الفيء ، باب الجزية (٤٥ ، ٥٧) .

أحاديث رسول الله ﷺ المخالفة لمعنى الإكراه على الدخول في الإسلام .

إذن فمعنى قوله ﷺ : (بِعَثْتُ بِالسِّيفِ حَتَّى يُبَدِّلَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) أي : كُلِّفْتُ أَنْ أَفَاتِلَ كُلَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْدِنِي عَنِ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَيَغْلِقَ عَلَيَّ سَبِيلَهَا وَيَكْفَ لِسانِي عَنْهَا ، وَهَذَا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ .

أما قوله ﷺ : (وَجُعِلَ رَزْقِي تَحْتَ ظَلِّ رَمَحِي) فهو كقوله : (أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِيْ) ، كانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبَعْثَثُ إِلَى قَوْمِهِ خاصَّةً ، وَبَعْثَثُتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ، وَأَحْلَتُ لِي الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تُحلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِيْ) ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، فَأَيْمًا رَجُلٌ أَذْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ ، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ^(١) أي إذا انجلى القتال بين المسلمين وأعدائهم عن غنائم تركها الأعداء ، فإن الله قد أحلها للMuslimين ، وهذا المعنى صريح واضح في قوله ﷺ : (وَأَحْلَتُ لِي الْغَنَائِمُ ، وَحَرَمْتُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِيْ) وعلى ضوئه نفسه (وَجُعِلَ رَزْقِي تَحْتَ ظَلِّ رَمَحِي) فكلمة (ظَلِّ رَمَحِي) هنا كناية عن الحرب ، والمعنى : جعل الله لي هذه الغنائم رزقاً حلالاً ، فالغنائم التي يتركها الأعداء تُصبح ملكاً للدولة الإسلامية ، وتوزعها طبقاً لنظام شرعي معروف في الفقه الإسلامي .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب المساجد ومواضع الصلاة ، برقم : (٥٢١) ، عن جابر رضي الله عنه .

فالقاعدة إذن أننا إذا استشكلنا آية في كتاب الله تعالى أو حديثاً للنبي ﷺ ، فينبعي تفسيره على ضوء بقية الآيات والأحاديث المتعلقة بالموضوع نفسه ، ولن نجد عندئذ تناقضاً أو تعارضاً ، وهذا معنى قول علماء الأصول : « يُفسّر العام من كتاب الله عز وجل على ضوء الخاص ، ويُفسّر المطلق على ضوء المقيّد ». .

متى يملك المسلمون حقّ الجهاد القتالي ؟

إن المقاومة المشروعة للحرابة لا تكون محصورة في وقوع العداون فقط ، بل يتحقق للمسلمين التصدي ، بل البدء بالهجوم على من بيتوا في أنفسهم هذا القصد ، شريطة أن تستبين دلائله ، وذلك حسب ما يراه خليفة المسلمين أو رئيس الدولة في كل عصر .

وهذا ما كان رسول الله ﷺ يفعله في كثير من الأحيان ، يُسابق بذلك كيد المشركين ومن معهم ، كي يُفوت عليهم الفرصة ، إذ إن السرعة الخاطفة هي عَصْب النصر في الحرب ، وإنما يمتلك النصر فيها من امتلك فيها زِمام المبادرة ، ومن هنا انقسم الجهاد القتالي في حياة سيدنا رسول الله ﷺ إلى قسمين :

١- حرب دفاعية : كما في غزوة بدر وأحد .

٢- حرب هجومية : كما في غزوة خيبر ، حيث عَلِم رسول الله ﷺ أن حِلْفَاً خَفِيًّا قد تمَّ بين يهود خيبر وقبيلة غطفان ، لاتخاذ موقف موحد ضد المسلمين ، وكانت غطفان تُؤيد اليهود في أي عمل عدواني يواجهون به المسلمين ، فكان أنْ أسرع رسول الله ﷺ فقطع

الطريق بينهم وبين غطفان ، وبَيْتَهُم بغاره مُباغته .

وكما في غزوة مؤتة التي جاءت بعد عدوان وحشٍ من ملك بصرى ، عندما أخذته العزة ، فعَدَا على رسول الله ﷺ إليه (الحارث بن عمير الأزدي) فقتله ، وقد كان الرسل - ولا يزالون - في عُرُفِ العالم كُلِّه ، فوق مستوى التعرض لأي خطرٍ أو إيذاء .

لقد شهد تاريخُ الفتوحات الإسلامية التي كانت بقيادة رسول الله ﷺ ، ثم التي كانت بقيادة الخلفاء من بعده ، أنه ما من غزوة عُقد لها إلا وكانت ردًا على عدوان واقع أو متوقع ، أي عدوان خفي يُخطط له ، والقاعدة العسكرية تقضي بالإمساك بزمام المبادرة وتفويت الفرصة على الأعداء في الهجوم على ديار المسلمين .

ضوابط الجهاد القتالي :

الجهاد القتالي نوعان :

١- **جهاز كفائي** : عندما يكون عدو المسلمين خارج بلدتهم وبعيداً عن حدودهم ، وهذا النوع يدخل في أحکام الإمامة ، فلا يملك الإعلان عنه ولا إدارة شؤونه و سياساته ولا إنهاءه بصلاح أو أمان إلا إمام المسلمين أو من يُصّبه إمام المسلمين ، ولا يجوز أن يتحرك مسلم للقيام بهذا الجهاد إلا تحت راية الدولة ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، فَمَاتَ ماتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عِمَّيَّةٍ^(١) يَعْضُبُ لِعَصَبَيْهِ ، أَوْ

(١) الرأبة العميم : هي تلك القيادة التي لا تعلم أصحابها ولا تعلم الغاية منها

يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ ، فَقَتْلَةُ جَاهِلِيَّةُ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَشَّى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَقِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْنُ مِنْهُ)^(١) .

والحكمة من ذلك أن هذا الواجب الخطير ينهض على اجتماع الكلمة ، ولا تتحقق ثمرته المرجوة إلا إن كانت قيادته بيد جهة ذات شوكة تتمتع بسلطة نافذة ، بحيث تنقاد لها العسكر والجيوش من جهة المسلمين ، وبحيث تسري من سلطانها النافذ هذا هيبة في أعدائهم ، لذلك لا ضرر من كون الحاكم جائراً ، ولا أثر له في هذا الحكم ؛ لأن المقصود هو جمع الكلمة وحشد القوى في وجه العدو . وفي مقابل ذلك مهما كان في فئات الناس وأفرادهم وعلمائهم من الورع والسلوك والعدالة في التعامل ، فإن شيئاً من ذلك لا يقوم مقام الشوكة المطلوبة في هذا المقام ، ومن ثم فلا يجوز لهم أن يتجاوزوه أو يخرجوا عليه بسبب جوره ، ويجمعوا الناس على أنفسهم بسبب أرجحياتهم عليه في العدالة والاستقامة الدينية اللتين يتمتعون بهما .

يكون الجهاد الكفائي بأحد الأمور التالية :

- ١- شحن الثغور وإحكام الحصون وحراسة الحدود .
- ٢- مقاتلة من يصدّون المسلمين عن إبلاغ الدعوة ، ويعنونهم من

= ولا تعلم النهاية التي تورنك إليها .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وهي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ، برقم (١٨٤٨) .

تعريف الناس بالإسلام ، وإزالة الشبهات التي تتسرب إليهم .

مقاتلة المعتدين خارج البلد الإسلامي وبعيداً عن حدوده ، كفتال رسول ﷺ المشركين يوم أحد ، ويوم بدر ، ويوم ذات الرقاع .
مهاجمة المسلمين للأعداء واقتحامهم بلادهم ، وذلك عندما يكتشف المسلمون كيداً يُدبرُ منهم وخطة ترسم ضدَّ أنفسهم .

هل ينطبق مصطلح الدولة الإسلامية على أيٍّ من الدول اليوم :

الدولة شخصية اعتبارية تتالف من : الأرض ، والشعب « الأمة » ، والنظام السلطوي . فإذا كان الشعب في غالبيته مسلماً فالنظام السلطوي يجب أن يكون مسلماً ، ولحسن الحظ أنه يتَّسع للمسلمين وغير المسلمين ، وكان رئيس الدولة مسلماً ؛ إذا سُئلَ عن دينه أجاب أنا مسلم ، ولكننا مقصرون نحاول أن ننفِّذ ما نستطيع من أحكام الشريعة الإسلامية ، عندئذٍ تُنسب الدولة إلى الإسلام طبَّقتَه بكامله أم لم تُطبِّقَه ، ولو لم تطبِّقَ الحدود بقطع يد السارق ورجم الزاني الخ ، ولا يجوز قتالُ المعتدين إلا تحت راية هذه الدولة .

النَّفَرُ العَامُ : وهو أن يقتتحم عَدُوًّا أيًّا كان بلدة من بلاد المسلمين قاصداً السُّطُو على الحياة أو على الأعراض أو على الأموال ، فيجب على المسلمين عندئذ أن يهُبُوا هبةً رجل واحد ، بدءاً من إمام المسلمين إلى عامة أفرادهم ، وهذا ما يسمى « مُقاتلة الصَّائِل » ، وهو داخلٌ في أحكام التبليغ لا في أحكام الإمامة ، فلا يتوقف وجوب

هذا القتال على إذن الإمام ، بل إن الإمام لا يسعه – والحالة هذه – إلا أن يأمر الناس جميعاً بالعمل ما وسعهم على درء العدوان .

ومثال ذلك ما حدث في غزوة الخندق ، عندما أجمع المشركون على غزو المدينة ، فاستنفر رسول الله ﷺ المسلمين جميعاً لحفر الخندق ودرء العدوان .

كما لا يجوز للMuslimين عَقدُ أي صلح مع هؤلاء الأعداء ما دام اغتصابهم لديار المسلمين قائماً ، ولكن يمكن لهم أن يسترددوا البقاع التي اغتصبت منهم بقعةً بقعةً ، بشرط أن يُخْطِّطُوا لاسترداد حقوقهم كلها ، ويعزموا على ذلك عزماً صادقاً سراً أو جهراً ، وأن يسعوا إلى ذلك بكل إمكاناتهم .

ومن المعلوم بداهةً أن أرض فلسطين تدخل في ضمن هذه الحالة الثانية .

آداب الجهاد القتالي :

لا يجوز مقاتلة الذين لا يواجهون المسلمين بالقتال والعدوان وإن كانوا كفاراً : فلا يجوز مقاتلة الرهبان الذين نذروا أنفسهم للعبادة ، ولا الرجال غير المقاتلين ، ولا مقاتلة النساء ولا الشيوخ ، ولا الأجراء الذين أرغموا على الخروج للقتال ، عن رباح بن ربيع رضي الله عنه قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَسَبِّلَهُ فِي غَزْوَةِ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : (انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هُؤُلَاءِ ؟) فَجَاءَ فَقَالَ : عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ . فَقَالَ : (ما كَانَتْ هَذِهِ

لِتُقَاتِلُ) قالَ : وَعَلَى الْمُقَدَّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : (قُلْ لِخَالِدٍ لَا يَقْتُلُنَّ اُمْرَأً وَلَا عَسِيفًا)^(١) .

كما يدل على ذلك وصية سيدنا أبي بكر لجيش أسامة رضي الله عنهم أجمعين التي ذكرناها سابقاً .

أما مهاجمة الناس الآمنين في بيوتهم فجريمة شنعاء جاء الإسلام ليقضي عليها لا ليبررها .

فالجهاد القتالي لا ينتقم من الأعداء وإنما يدفع العدون ، والشريعة الإسلامية تذكرنا ألا نلقي الإنسانية دبر آذاننا حتى في حالة الحرب ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلْمَانَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْيَغَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبه : ٦] ، فليس على رئيس الدولة الإسلامية أن يستقبل الكافرين أياً كانوا وأن يُرحب بهم فقط في دار الإسلام ، بل عليه أيضاً أن يتحقق لكلِّ منهم مظلة أمن تحميه من كل سوء خلال وجوده فيها ، كما أنَّ عليه أن يتکفل بإعادته - كافراً إن شاء أو مسلماً - إلى مأمنه الذي وَفَدَ إليه منه ! .

* لا يجوز أن يتطلع المسلمون إلى اقتناص شيء من أموال أعدائهم : عنْ رَجُلٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ قالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، باب في قتل النساء ، برقم (٢٦٦٩) . وأخرجه الترمذى في سننه ، باب في النهي عن قتل النساء ، برقم (١٥٦٩) . وأخرجه ابن ماجه في سننه ، باب الغارة والبيات وقتل النساء ، برقم (٢٨٤٢) . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح . والعسيف : الأجير .

سَفَرَ فَأَصَابَ النَّاسَ حَاجَةً شَدِيدَةً وَجَهْدًا ، وَأَصَابُوا غَنَمًا فَانْهَبُوهَا ، فَإِنَّ قُدُورَنَا لَتَغْلِي إِذْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي عَلَى قَوْسِهِ ، فَأَكْفَأَ قُدُورَنَا بِقَوْسِهِ ، ثُمَّ جَعَلَ يُرَمِّلُ الْلَّحْمَ بِالْتُّرَابِ ، ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ النُّهَبَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلٍ مِنَ الْمَيْتَةِ) أَوْ (إِنَّ الْمَيْتَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلٍ مِنَ النُّهَبَةِ)^(١) .

أما الغائم التي يتركها الأعداء فالتصريف فيها داخل في إطار السياسة الشرعية ، فإن رأىولي أمر المسلمين أن يوزعها بين المقاتلين فله ذلك ، وله أيضاً أن يعيدها لأصحابها إن رأى في ذلك تأليفاً لقلوبهم ، كما فعل رسول الله ﷺ بعد غزوة حنين حين أعاد لقبيلة هوازن أموالهم .

* لا يجوز أن يقاتل المسلمون المسلمين بحجّة أنهم أعدان للظلمة : والدليل على ذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أرسل كتاباً لقريش يحدّرهم فيه أن رسول الله ﷺ عازم على القدوم إلى مكة فاتحاً^(٢) ، ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ - وقد علم بالذي فعله حاطب - لم ينزع عنه صفة الإسلام ، ولم يحكم عليه بقتل ولا إيذاء ، ولم يزيد على أن نصحه واستتابه مع أن الذي قدّمه لقريش - وهم كفار حربيون - من المساعدة والعون لا يقدّم مثله جلّ من يسمون اليوم بأعدان الظلمة .

(١) أخرجه أبو داود في سنته ، باب في النهي عن النهبة إذا كان في الطعام قلة ، برقم (٢٧٠٥) .

(٢) تنظر القصة عند البخاري في الجهاد والسير ، باب الجاسوس ، برقم (٣٠٠٧) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم ، برقم (٢٤٩٤) .

* لا يجوز قتل المسلمين بحجة أن الكفار يتّرسون بهم :

يقول بعض (الجهاديين) : إن الكفار إذا ترّسوا في هجومهم علينا يتّرس من المسلمين جاز لنا اقتحام هذا الترس بقتل أفراده والقضاء عليهم في سبيل إيقاف هجوم الأعداء وإبطال خطّهم .

فما مسألة الترس هذه وما الذي يقوله علماء الشريعة في ذلك ؟

يُبيّن الإمام الغزالى في كتابه (المستصفى) الشروط التي لا بد منها لجواز اقتحام الترس وقتل أفراد المسلمين ، وهي :

١- **الضرورة** : وتمثل في ضرورة ردّ كيد الأعداء .

٢- **القطعيّة** : وتمثل في أن نقطع بأننا لو اقتحمنا هؤلاء المسلمين الذين ترّس بهم الأعداء بقتلهم - أي قتل المسلمين - لتغلّبنا على الأعداء ولقضينا على كيدهم .

٣- **الكُلّية** : وتمثل في أن يكون الفتك الذي نقاومه من الأعداء متوجهاً إلى المسلمين بأسرهم ، لا إلى فئة أو جماعة أو أهل بلدة منهم .

فلو فقد واحد من هذه الشروط الثلاثة لم يَجُز قتل أيٍّ من المسلمين الذين يتّرس الأعداء بهم .

أهم قواعد السّلم والحرب في الجهاد :

١- إنّ السّلم العالمي الذي تهدف إليه شرائع الإسلام وأحكامه

لا يوجد ولا يتناهى إلا في حصن العدالة ، فالدعوة الصادقة إلى السّلم تستلزم دعوةً صادقةً إلى العدل ، والعمل المخلص على ترسير دعائمه .

٢- إن أيّ حالة من حالات الحرب التي يمكن أن تحدث بين المسلمين وغيرهم ، إنما تقوم مشروعيّتها على هدف واحد فقط : (أن يتحقق العدل ليُسُودَ بعد ذلك السّلم) .

فأين الذين يرفعون لواء الجهاد اليوم من هذه الضوابط والأداب ؟

هؤلاء الذين يرفعون لواء الجهاد ويكتبون على رؤوسهم كلمة (لا إله إلا الله) لو سألُهم سائلٌ عن شيءٍ من سيرة رسول الله ﷺ ، أو ما الفرق بين الصحابي والتبعي ، وما هي أنواع الجهاد ؟ نستطيع أن نجزم بأنهم لن يحسنوا الإجابة ، فهؤلاء ليسوا طلاب علم ، بل هناك من كلفهم بمهمةٍ وسّرّهم في طريقها ، وهم فريقيان :

فريقيْن غرّر به - وهم الأقل - وحدّثوا عن الإسلام كما يُزيّفه أعداء الإسلام ، فهؤلاء ما أيسر أن يُنبهوا من خلال جلسة أو جلستين مع أناس صادقين .

وفريق آخر - وهم الأكثريّة - لا جدوى من الحديث معهم ، وهم الوهابيون التكفيريّون ، لأنهم نشّوا على هذا المنهج ، وأبرموا عقوداً مع دولٍ لا يستطيعون الخروج عن سلطانها ، فهؤلاء جنود ، والقيادة هناك في إسرائيل وهناك في أمريكا .

ما يجري اليوم هو مؤامرة على الإسلام في أخص حكم من أحكامه وهو الجهاد .

الإسلام حرباً شديدة ، ولكنه لم يحارب بسلاح أعني ولا أخطر من السلاح الذي يحارب به اليوم ، يحارب الإسلام بسلاحه هو .

ننظر فنرى مخلوقات عجيبة لا علاقة للإنسانية بها قط ، تنطق بشعارات الإسلام ، تزري بزيه ، ترفع لواء الجهاد في سبيل الإسلام ، ثم إنها تُمْعِنُ ذبحاً وتقتيلاً في البراء المسلمين ، وتهجر الناس من بيوتهم باسم الإسلام .

ننظر وإذا بهذه الثلة من الناس ترسم الإسلام من خلال هذا العمل على أنه شيء مُرعب أسود قاتم جهنمي ، يثير الشعور والرعب في أفراد الناس ، كما لو كنا في قاعة وأمامنا مسرح يمثل عليه دور الاستهزاء بالإسلام وبحقائقه ، بحيث يصبح الناس بين ضاحك وعابث ومستهزء ، إلا أن المسرح الآن هو سوريا ، وما يجري على أرضها إنما يُتَغَيِّرُ به القضاء على الجهاد الذي شرعه الله لنا .

الجهاد في الإسلام صفة من أشرف الصفحات التي تنبع بالإنسانية الراقية ، واليوم النصرانية المتصهينة التي سيطرت على الكونغرس الأمريكي ، وهي التي تقود السياسة الأمريكية - وعندي وثائق وأدلة على ذلك - هؤلاء الآن يبذلون جهوداً جنونية من أجل خنق الإسلام ، وهم يتصورون أنهم طلائع مسيحيهم الذي ينتظرون ، وقد

كتَبَ في بعض ساحات «سان فرانسيسكو» : [عندما يَحْكُمُ العالمَ الْمَلِكُ ذُو العين الواحدة] .

أعداء دين الله عز وجل في أمريكا وأوروبا - وتقودهم الصهيونية العالمية - كانوا يضعون أمام أبصارهم خططاً تقليدية لمحاربة الإسلام ، كتابات وادعاءات ، اتهامات للقرآن ، لرسول الله ﷺ ، مؤلفاتٌ كانت تُنشر فيما بينهم ، مَظْهَرٌ من مظاهر العداوة والبغضاء لدين الله ، ظنوا أن هذه الطريقة هي التي تخنق دين الله سبحانه وتعالى ، ولكن تبين لهم أن الأمر على النقيض من ذلك .

في أوروبا مُثَقَّفُونَ ، وفي أمريكا كذلك مُثَقَّفُونَ ، شأنهم أن يلتقطوا إلى أي أحدوثة من هذا القبيل فيلاحقوها ، رأوا الكلام الذي يتعالى من أفواه غير المسلمين هُجوماً على الإسلام ، اتهاماً لنبي الإسلام ، اتهاماً للقرآن ؛ مما كان منهم إلا أن أقبلوا إلى دراسته ، كانت التالية لهذا الأمر أن دخل في الإسلام من جراء هذه الطريقة أكثر بكثير من تصيّدوه للابتعد عن الإسلام ، وإنني لأذكر من هؤلاء «موريس بوكاي» و«روجييه غارودي» وغيرهما كثيرين ، قادة الفكر في أوروبا كان الفضل في توجّهم للإسلام هجوم الأوروبيين وثلة من الأميركيين على الإسلام ، فلما وجدوا أن هذا الطريق يخدم الإسلام ، قال قائلهم : - ومنهم مستشار الرئيس الأميركي الأسبق كليتون - الكيد للإسلام ينبغي أن ينبع من المسلمين أنفسهم ، لكن من المسلمين الذين طَلَّقوا الإسلام في سرائرهم وما يزالون يَدْعُون انتساباً إليه بأسنتهم ؟ ! هذا هو الشرط الأول .

الشرط الثاني : يَنْبَغِي أَنْ يَبْرُزِ الإِسْلَامُ فِي سُلُوكِ هُؤُلَاءِ - هُذَا الطَّابُورُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ - بِمُظَهِّرِ تَقْشُّرٍ مِنَ النُّفُوسِ ، وَتَشَمَّئِرُ مِنَهُ الْفَطْرَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ، يَنْبَغِي أَنْ يُبَرِّزَ هُؤُلَاءِ الإِسْلَامَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْفَظَاظَةِ بِمَكَانٍ ، عَلَى أَنَّهُ يَعْشُقُ الدَّمَاءَ ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْهُجُ هُؤُلَاءِ إِلَى الكَشْفِ عَنْ حَقِيقَةِ الإِسْلَامِ إِظْهَارُ إِسْلَامٍ تَرْتَدُّ مِنْهُ الْفَرَائِصُ ، إِظْهَارُ إِسْلَامٍ لَا يَعْلَمُ لِلرَّحْمَةِ مَعْنَىً ، إِظْهَارُ إِسْلَامٍ يَتَرَبَّصُ بِالْإِنْسَانِيَّةِ الْدَّوَائِرَ ، وَعَثَرُوا عَلَى الطَّابُورِ الَّذِي يَخْدِمُهُمْ فِي هُذَا ، وَمَنْ يُسَمَّوْنَ الْيَوْمَ بِالْقَاعِدَةِ ، هُمْ جُنُودُهُمُ الْحَقِيقَيُّونَ ، وَعِنْدَمَا يَرْفَعُونَ لَوَاءَ الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَتَعَرَّفُونَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُمَرِّقُوا الْجَهَادَ بِاسْمِ الْجَهَادِ ، وَيَخْنَقُوا الإِسْلَامَ بِحَبَالِهِ ، وَالْأَدْلَةُ كَثِيرَةٌ ، وَ«أَنْطُونِيَ لِينِكَ» الْمُسْتَشَارُ لِلرَّئِيسِ الْأَمْرِيْكِيِّ الْأَسْبِقُ كَلِيَّتُونَ وَاحِدٌ مِنْ وَضْعِ الْخَطَّةِ .

وَالْنَّتِيْجَةُ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَطَلَّلُونَ إِلَى الإِسْلَامِ مُقْدَرِينَ وَمُحْتَرِمِينَ جُلُّهُمُ الْيَوْمَ أَصْبَحُوا عَلَى النَّقِيبِ مِنْ ذَلِكَ ، وَالْكَارِيْكَاتِيرُ الْأُورُوبِيُّ الَّذِي يُنْشَرُ الْيَوْمُ عَلَى صَفَحَاتِ الْإِنْتَرْنَتِ كُلُّهُ عَبَارَةٌ عَنْ مَسْخِ لِلإِسْلَامِ .

أَمَّا السُّورِيُّونَ الَّذِينَ يُسَمَّوْنَ مَعَارِضَةً مُسْلِحَةً نَقْوِلُ لَهُمْ : كُتُمْ تَظَنُّونَ أَنَّ هَذَا النَّهَجُ هُوَ الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ الإِسْلَامُ ، وَالْيَوْمُ هُوَ أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ ذِيْوَلًا ، بَلْ إِنَّ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ وَفَدُوا إِلَيْنَا مِنَ الْخَارِجِ يَتَخَذُونَ مِنْكُمْ مَوْقِفَ الْعِدَاءِ ، وَغَدَّاً إِذَا اسْتَقَرُّ بِهِمُ الْأَمْرُ وَضُرِبَتْ جُذُورُهُمْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ سُوفَ يَقْتَلُونَكُمْ عَنْ آخِرِكُمْ .

ما هو الفرق بين الجهاد والإرهاب المصطلح عليه اليوم ؟

الجهاد : عَنْفٌ يُبَتَّغَى به حماية الحق .

الإرهاب : عَنْفٌ يُبَتَّغَى به إزهاق الحق .

والفرق كبير ، فالجهاد الإسلامي القتالي عَنْفٌ في الحالات التي نَضَطَرَ إلى استعمال العنف فيها .

أما الإرهاب الذي يتحدث عنه العالم اليوم ، ما بين مؤيدٍ ومعارض ، ومنافق يرتدي قناعين ؛ يؤيده في الخفاء ويُحالفه ، وعلى المسرح الجهرى يتظاهر بمحاربته ، هذا الإرهاب هو عبارة عن عَنْف ابتغاء إزهاق الحق ، ومع ذلك لم تُقدم منظمة الأمم المتحدة ، ولا أي منظمة عالمية تعريفاً واضحاً للإرهاب ، ولكن واقع الحال هو الذي يشرحه .

أما في قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأفال : ٦٠] ، فكلمة (ترهبون) مقصود بها معناها اللغوي ، فهي نزلت قبل خمسة عشر قرناً قبل اتخاذ هذا المصطلح . ومعناها أن الأعداء لا يهابون الله لأنهم لا يؤمنون به ، وإنما ترهبهم القوة المادّية ، فالله تعالى يأمر عباده المؤمنين أن يُعدّوا هذه الوسائل المادّية ؛ لا لكي ينتصروا على أعدائهم ، بل ليرهبوهم .

فالشريعة الإسلامية لا تتعامل مع الإرهاب بالمعنى المُصطلح عليه اليوم .

ما هو الفرق بين الجهاد والثورة؟

ازدادت الصلة في الآونة الأخيرة بين كلمتي «الثورة» و«الإسلام»، وظهر - لأول مرة ربما - شعار «الثورة الإسلامية»، تعبيراً عن آمال إسلامية يتم السير نحوها، أو تعرضاً بواقع فرض نفسه بشكل ما.

ومعلوم أن «الثورة» - في عُرف السياسة الحديثة - تعني أي تغيير جذري شامل يحدث في مسار الأنظمة السياسية أو الاجتماعية، قفزاً فوق سُنة التطور والتدرج، سواء تم ذلك بطريقة سلمية هادئة أو بعامل عنف وسفك دماء.

وهكذا، فعلى الرغم من أن التصور النظري لا يمنع من أن تقوم ثورة يسلك بها أصحابها طريق السلم والأناة، إلا أن الواقع لم يساعد هذا التصور يوماً على فرض نفسه في مجال التطبيق.

فهل يتفق جوهر الإسلام بحد ذاته مع أي منهج ثوري - يقوم على الشدة والعنف - لإقامة المجتمع الإسلامي وتبنته؟

إن إشاعة أحكام الإسلام وأدابه في المجتمع، إنما تأتي ثمرة لرسوخ جذوره الاعتقادية في الأفئدة والعقول، وذلك هو مجمل الفارق الكبير بين النظم الإسلامية، وسائر الأنظمة الاجتماعية أو السياسية الأخرى، ذلك لأن هذه الأنظمة الأخرى لا تنمو اعتماداً عن طريق المناهج التربوية المجردة، وإنما تفرض نفسها بالوسائل المادية

المختلفة حسب اختلاف أصحابها ، وربما كان العنف واحدة منها .

لذلك فما من ثورة تُجبر مجتمعاً من المجتمعات على اتباع نظام معين قسراً وعنوة ، دون حوار ودون محاكمهٔ فكريةٍ وحريةٍ نَظِرٍ ، إلا و تستولد هذه الثورة ثورةً مضادةً أخرى تُطيحُ بذلك النظام ، ولو كان ذلك بعد حين . فالنظام الذي ينهض على ثورة يَسْبِطُن في باطنِه ثورة مضادة ، والجدلية بين الثورات جدلية معروفة متبينة .

يُرادُ في مصر أن يُفرض الإسلام فرضاً منْ عُلوٍ عن طريق الثورة ، فانظروا إلى ما آل إليه هذا السبيل ، سرعان ما استولدت هذه الثورة من داخلها ثورةً مناقضة ، وهذا هما الثورتان تتعالجان فيما بينهما ، أما المحاكمة العقلية بعيدة عن الساحة والميدان نهائياً ، أما المخاطبة العقلية التي بُعِثَ بها رسول الله ﷺ - بل الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام - فبعيدة ومطوية . وتلك هي حال تونس ، رُفعَ فيها لواء الإسلام لا عن طريق الدعوة إلى الله - كما فعل حبينا رسول الله ﷺ - وإنما عن طريق الثورة ، تلك هي الثورة الإسلامية التي فُرضَتْ فرضاً هناك ، إنها تستولد من رحمها اليوم ثورةً مناقضة ، تلك هي سنة الله ، هكذا يُقرّر العلم ، وهكذا نطق التاريخ .

نظام الإسلام ينهض على دعامة خفية ، تكمن في أغوار النفس الإنسانية ، ألا وهي استشعار معنى العبودية لله عز وجل ، واليقين بوجوده ورقابته للإنسان ، وبأنّ مردّه إليه ، وأنه سيجزيه الجزاء الأوفي ، على كل ما صدر منه أو اقترفه من خيرٍ وشرّ .

وبمقتضى هذه الحقيقة التي تُبْرُز الفارق الكبير بين طبيعة النظام

الإسلامي وسائل الأنظمة الأخرى ، كان واجب المسلمين في السعي إلى إقامة المجتمع الإسلامي مُتمثلاً - بادئ ذي بدء - في العمل بالسُّبُل الممكنة كلها على تبنيه العقول إلى حقائق العقيدة الإسلامية ودلائلها العلمية الثابتة ، وعلى إزالة الشبهات التي قد تَعوق دون الجزم بها ، ثم في العمل - بالسُّبُل الممكنة أيضاً - على إخضاع هوى الأفئدة والآنفوس لما استيقنته العقول وصدقت به ، وهذه هي مهمة الجهاد الدعوي الذي أوضحنا ضوابطه فيما سبق .

وما من رَيب في أن طَرِيقاً يَتجه به سالكه إلى الأفئدة والعقول ، لا يَصلح إلا أن يكون طريق مرحمة وسلام وحكمة وأناة ، وما من شَكٌ في أن أخطر العقبات التي تَبرز على مَتنِه إنما تتمثل في الضغينة والعنف .

وما تَرْدُ كَلْمَةُ الْجَهَادِ مَرَةً فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَيَكُونُ هَذَا السَّعْيُ الْحَثِيثُ إِلَى الأفئدة والعقول أول ما يُقصَدُ مِنْ مَعْنَى الْكَلْمَةِ وَمَدْلُولَاتِهَا ، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي تَرَجَّمَهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْقَرَائِيَّةُ الْعَظِيمَةُ : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْمُحَسَّنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَّ﴾ [النحل : ١٢٥] .

أما الجهاد القتالي الذي شرعه الله تعالى - والذي بيننا ضوابطه فيما سبق - ليس أكثر مما تشرعه أي دولة مساملة ديمقراطية اليوم ، بقصد حماية سُلْمِها ورعاية أَمْنِها ، وهو شَيْءٌ ضَرُوري لا بدّ منه بإجماع سائر فلاسفة القانون وعلماء الاجتماع ، ما دام أن البَغْيَ على وجه الأرض لم ينقطع بعد ، وأن مطامع الظلم والعدوان لا تزال بارزة المخالف والأنىاب .

إذن ، فالجهاد القتالي ليس مظهراً ثورية الإسلام ، كما قد يتوهם بعض الناس ، وإنما هو الحزام الذي تتخذه أيّة أمّة من الأمم - في أي زمان ومكان - لحماية سلّمها ، والتمكن من أداء دورها الإنساني البناء على صعيد الأسرة الإنسانية جماعة .

نحن بأمس الحاجة إليه لإعداد المجاهدين الصادقين الذين أخلصوا الله في سرائرهم ، وتحقّقوا بصفات العبودية له في ظواهرهم ، وتعلّقت آمالهم بالغد القريب الذي لا ريب فيه ، إذ يقوم الناس جميعاً لرب العالمين ، فهانت عليهم الدنيا بكل متعها ، وعلّمُوا أن لكل حيّ أجلًا ، فلم يرهبهم عراك الموت ، واستعدّوا خطاب الله لهم : ﴿ وَلَئِنْ قُتْلُتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [١٥٧] ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتْلُتُمْ لِأَلَى اللَّهِ شَحَشَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٨] ، لهم في جُنح الليل مناجاة مع الله عزّ وجلّ ، يدعونه مستغيثين متضرّعين أن يثبتّ أقدامهم ، وأن يتحقق لهم النصر الذي وعد به أولياءه وأحباءه ، فلو تأبّلت عليهم الدنيا لجعل الله تعالى لهم من شدائدها رخاءً ، ولشتّت عنهم قلوب أعدائهم بالرعب فاستحالّ هباءً ، كيف لا وهو القائل : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثِبُّو أَلَّذِينَ ءَامَنُوا سَأْلُقُنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوْا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوْا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأనفال : ١٢] .

فإذا كنا صادقين اليوم في التحرّق على أرضنا المغصوبة ، فلنعلم أن سبيل استعادة الحقّ المغصوب إنما هو الجهاد ، الجهاد الحقيقي المُنضبط بشرع الله سبحانه وتعالى وأوامره .

ولنعلم أنَّ الجهاد لا يتحقق بدون مجاهدين ، وأنَّ المجاهدين يجب عليهم قبل كلِّ شيءٍ أن يعودوا فيصطدحوا مع الله ، وأن يخضعوا لأحكامه ويستجيبوا لأوامره ، وأن يجتنبوا قدرَ الإمكان نواهيه ، فإنَّهم فعلوا ذلك عن طَواعيةٍ ويقين كان نصر الله لهم مضموناً .

ونختم بنصيحة سيدنا عمر رضي الله عنه وهو يودع سعد بن أبي وقاص ومن معه رضي الله عنهم غداة توجههم إلى القادسية : (يا سعدُ بْنَ أَمْ سعد ، لَا يَغُرِّنَكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُقَالُ عَنْكَ : خَالُ رَسُولِ اللَّهِ وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَمْحُو السَّيِّئَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ ، وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسْبٌ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ، فَالنَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ عَنْهُ بِالْعَاقِبَةِ ، وَيَدْرُكُونَ مَا عَنْهُ بِالطَّاعَةِ ، فَانظُرْ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْزُمُهُ فَالْزَّمْهُ ، أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعِدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ ، وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاساً مِنْكُمْ ، إِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنْ عَدُوكُمْ ، وَإِنَّمَا يُنْصَرُ الْمُسْلِمُونَ بِمُعْصِيَةِ عَدُوِّهِمُ اللَّهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بَهْمَ قُوَّةٌ ، لَأَنَّ عَدَنَا لَيْسَ كَعَدِهِمْ ، وَعُدْتُنَا لَيْسَ كَعَدَهُمْ ، إِنَّ اسْتَوْيَنَا فِي الْمُعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِنْ لَمْ نُنْصَرْ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَنْ نَغْلِبَهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيِّرِكُمْ حَفَظَةٌ مِنَ اللَّهِ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ ، وَلَا تَعْمَلُوا بِمُعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا تَقُولُوا إِنَّ عَدُوَّنَا شُرٌّ مَنَا فَلَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سَلَطَ اللَّهُ

عليهم من هو شرٌّ منهم ، كما سلَطَ على بني إسرائيل لَمَا عملوا بمعاصي الله كُفَّارَ المُجوس ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً . وسَلُوا الله العَوْنَى عَلَى أَنفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَأَسْأَلُوكُمْ ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكُ وَمَنْ مَعَكُ ، وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى) .

* * *

الخاتمة^(١)

لقد فرق الله سبحانه وتعالى في مُحْكَم تبیانه وبيَّنَ رسول الله ﷺ في سنته الثابتة الفرق جلياً بين الجهاد المبرور الماضية شرعاً إلى يوم القيمة ، والهرج الذي حَدَرَ منه رسول الله ﷺ وحدر منه كتاب الله سبحانه وتعالى ، بيَّنَ الله وبيَّنَ رسول الله ﷺ الفرق بينهما جلياً كبيراً لا يترك بينهما مجالاً للبسٍ .

أنبأنا المصطفى ﷺ أنَّ الْجَهَادَ إِنَّمَا هُوَ مَقَاتَلَةُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَعْلَنُوا الْكِيدَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَمْرَرُوا السِّيرُ إِلَى اغْتِصَابِ حَقَوقِهِمْ وَالنَّيلِ مِنْ مَبَادِئِهِمْ وَقِيمَهُمْ ، وَهُوَ مَا قَدْ بَيَّنَهُ كِتَابُ الله بِعِبَارَةٍ صَرِيقَةٍ وَاضْحَىَةٍ ، لَا تَقْبِلُ تَأْوِيلًا وَلَا تَبَاسًا ، عَنْدَمَا قَالَ : ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الْأَذْيَانِ قَدَّرْتُمُوهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأَنْجَوْتُكُمْ مِّنْ دِيَرِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة : ٩] .

هذا هو الجهاد ، وهؤلاء هم المجاهدون ، بيَّنَ ذلك كتاب الله بنَصٍّ صريح قاطع ، وبيَّنه لنا رسول الله ﷺ بعبارات شارحة لا تدع مجالاً للبسٍ .

ثم إنَّه ﷺ بيَّنَ لنا الهرج ، وميز بينه وبين الجهاد ، وأوضح لنا أنَّ

(١) مستخلصة من خطبتين للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى بتاريخ : (٢٧/٥/٢٠١١م) وبتاريخ (١١/٣/٢٠٠٥م) .

الهرج هو أن يتصادم المسلمين فيما بينهم بقتل انتصاراً لعصبة أو غضباً لعصبة أو سيراً تحت راية عُميَّة - أي سيراً تحت راية لا تعلم من يحملها وإلى أي غاية يسير بها - هذا هو الهرج الذي يَبِيَّنَه لنا رسول الله ﷺ ، ثم حَذَرَ منه أَيْمَانَا تحذير ؛ فقال : (مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَشَّسِي مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَقِيِّنِي لِذِي عَهْدٍ عَاهَدْهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَكُنْتُ مِنْهُ)^(١) .

إذاً قد أوضح الكتاب المبين - كتاب ربنا جل جلاله - ومن ثم شرَّح لنا رسولنا محمد ﷺ الفرق بين الجهاد المبرور الماضي إلى يوم القيمة ، وبين الهرج الذي هو علامة من علامات قيام الساعة ، والذي هو أخطر باب وأوسع باب إلى الفتنة الدهماء ، ومع ذلك فإننا لنسمع ونرى ما لا يصدقه العقل ، نرى أناساً يزعمون أن الجهاد قد التبس عليهم بالهرج ، يدعون إلى الهرج ويرفعون لواءه ، ويزعمون أنه الجهاد في سبيل الله ، يأمرون بما نهى رسول الله ﷺ عنه ، يأمرون بما حذر منه كتاب الله عز وجل ، ويقولون إنه الجهاد ، ويعرضون عن الجهاد الذي أمر به رسول الله ﷺ ويختذلون منه ، ونحن نرى أمامنا الكفرا الذين أعلنا حقدهم وعدوانهم على الإسلام ، ومن ثم على المسلمين ، نرى أمامنا ومن حولنا الكفرا الذين تصنك أسنانهم كيداً على الإسلام ، يستلبون الحقوق ويستمرون القتل ، ويغتصبون الدور من أصحابها ويسرحون ويمرحون ، مُهددين المسلمين بإسلامهم ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتنة وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ، برقم (١٨٤٨) .

وَمُهَدِّدِينَ الْمُسْلِمِينَ بِقِيمَتِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ ، يُخَذِّلُونَ عَنِ الْجَهَادِ مَعَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمْرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ نَقْاتِلُهُمْ ، وَيَأْمُرُونَ بِمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِهِ إِذْ قَالَ : (مَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنَاهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدِ عَهْدَهُ ، فَلَئِسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ) .

ثم إننا ينبغي أن نتساءل عن النتيجة التي يتحققها الجهاد الذي أمر به الله عز وجل ، والنتيجة التي يستشرها الهرج الذي نهى عنه رسول الله ﷺ ، بل نهى عنه كتاب الله عز وجل :

- أما الجهاد المبرور الذي أعلن عنه بيان الله قائلًا : ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلُّهُمْ وَمَن يُتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾ [المتحنة : ٩] .

تنفيذ هذا الأمر الإلهي والسير إلى ما أمر الله به بالجهاد يرفع رأس الأمة عالياً ، يجعلها تنفيأً ظلال الأمن والسلم الحقيقيين ، يجعلها تمتلك حقوقها المادية والمعنوية ، يجعلها عزيزة في نفسها منيعة في أعين أعدائها ، هذه هي ثمرة الجهاد الذي أمر به كتاب الله عز وجل وأمر به رسول الله ﷺ ، الجهاد الذي يخذل منه الذين يصررون على الدعوة إلى الهرج .

- أما الهرج - وهي تسمية اختارها رسول الله ﷺ - فما هي عاقبة الهرج ، ما هي عاقبة تصدام المسلمين بالقتال ؟ لا يدرى - كما قال رسول الله ﷺ - القاتل فيما قُتل ، ولا يدرى المقتول فيما قُتل .

عاقبة ذلك أن تتسع دائرة الأحقاد السائرة بين المسلمين بعضهم مع بعض ، وأن تتحول الأحقاد إلى ثأر يهيمن على النفوس والقلوب ، ومن ثم فإن الوطن يهلك ويتمزق تحت سنابك هؤلاء المتقاتلين ، الأغنياء يتحولون إلى فقراء مُدْعَين ، والفقراء يتحولون إلى جائعين ، يهلكهم الجوع ويشيع فيما بينهم البوس والهلاك ، يتحول الوطن الواحد إلى قطع مُبَيِّضةٍ ، ويتحول إلى فئات مُتقاتلة متخاصمة ، فئات تغرق في بحار من الدماء فيما بينها ، والإصلاح الذي يتحدث عنه المسلم أين مكانه ؟ ليس له مكان إطلاقاً أمام هذا البلاء الماحق ، أمام هذا الهلاك الذي يتحقق بالأمة وبالوطن ، الديار تتهاوى والقتل يستحر ، والدماء تحول إلى أنهر ، ومتى يمكن لهذه الأمة أن تنهض من كبوتها ؟ لسوف يمر العقد والعقدان وثلاثة عقود ، ولا تستطيع هذه الأمة أن تستيقظ من البلاء الماحق الذي أحاط بها ، لا يمكن للخراب أن يتحول إلى عمران خلال هذه المدة ، وما السبب ؟ السبب هو الهرج .

رأيتم إلى النتيجة التي يُحققها الجهاد بالمعنى الذي شرعه الله ، وبالمعنى الذي بيَّنَه لنا رسول الله ﷺ ؟

رأيتم إلى الأثر المم朽ك المرعب الذي يُشمره الهرج الذي هو عالمة - كما قال رسول الله ﷺ - من أقسى وأخطر العلامات الدالة على قرب قيام الساعة ؟ .

لا شك أن احتلال العدو المشترك لأرض إسلامية من أكبر المصائب التي تحيق بال المسلمين ، ولكن هذه المصيبة لا يمكن أن

تَسْرُبُ إِلَى أَرْضٍ مِنْ بَلَادِ الْإِسْلَامِ إِلَّا مِنْ خَلَالَ بُوَابَةٍ وَاحِدَةٍ لَا ثَانِيَةٍ لَهَا ، هَذِهِ الْبُوَابَةُ هِيَ الْفَتْنَةُ الَّتِي حَذَرَ مِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَمِنْ خَلَالِ هَذِهِ الْبُوَابَةِ يَتَسْرُبُ الْعُدُوُّ إِلَى أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُبَسِّطُ يَدَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْتَصِبُ حَقُوقَهُمْ .

وَمَا هُوَ الْمَعْنَى الْمُلْخَصُ لِلْفَتْنَةِ الَّتِي تَحْدُثُ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حَدِيثًا ضَافِيًّا؟

هِيَ تَلْخُصُ فِي عُدُوانِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كُلُّ مَا حَدَثَنَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْفَتْنَةِ وَأَنْواعِهَا يَتَلْخُصُ فِي هَذَا الشَّيْءِ ، عُدُوانُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَحَادِيثُ الْفَتْنَةِ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، وَكُلُّهَا يَدُورُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى .

تَأْمَلُوا مثلاً فِي قَوْلِهِ ﷺ ، فِيمَا يَرْوِيهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ - أَيْ تَتَقَاتِلُوا أَنْتُمُ الْمُسْلِمِينَ بِأَسْلَحَتِكُمْ - وَيَرِثُ دُنْيَاكُمْ شَرَارَكُمْ)^(١) .

انظروا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فِيمَا يَرْوِيهِ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَيْتُ سَرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَنَّهُ ﷺ قَالَ : (أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ سَتَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي) قَالَ حَذِيفَةُ : أَرَأَيْتَ

(١) أَخْرَجَهُ التَّرمِذِيُّ فِي سُنْتِهِ ، بَابِ مَا جَاءَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، بِرَقْمِ : ٢١٧٠ .

يا رسول الله إن دخل داري وشهر سيفه علیَّ وبسط يديه ليقتلني ؟
قال : (كُنْ كَخَيْرٍ أَبْنَيْ آدَمْ) . أي كُنْ كما قال خَيْرٌ أَبْنَيْ آدَمْ : ﴿ لِئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَنْقَلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْنَلُكَ ﴾ [المائدة: ٢٨] .

وسائل أحاديث الفتنة تدور على هذا المحور ! إنها تمثل في عدوان المسلمين بعضهم على بعض بذرائع مختلفة يُبرّرها الشيطان ، ويحذر منها الرحمن سبحانه وتعالى .

وإنني لأذكر - ولعلكم جميعاً تذكرون - يوم كانت تنشر بذور هذه الفتنة التي نشهد ثمارها اليوم ، يوم كانت تنتشر بذورها متمثلة في كُتُبٍ تُوزَعُ مجاناً في مشارق الأرض ومغاربها ، تتطوّي على تكفير المسلمين ، على تبديع المسلمين ، على تحليل دماء المسلمين .

وكنا نقول : أيها الناس ! إنها بذور لفتن ، وإن هذه البذور إذا استنبتت لن تُنْبَتُ إِلَّا الحناظل ، وإنها ستتفجر بالفتنة التي حَذَرَ منها رسول الله ﷺ ، ولكن لم يكن الذين يُنشرون وينشرون هذه البذور ، لم يكونوا يسمعون هذا التحذير قط ، كانت هُنَالِكَ قِوَىًّا ولا شك تدعم هذا العمل ، تدعم هذا النشر والنشر ؛ من أجل أن تفتح بوابة الفتنة ، فيتسرب العدوان من خلال هذه البوابة .

وها أنتم ترون حصاد تلك البذور اليوم ، يَسْتَحْرُ القتل كل يوم ب什رات من المسلمين المؤمنين الذين لم يقتلوا نفساً بغير نفس ، ولم يشركوا بالله ، ولم يرتكبوا الزنا ، وهذه هي الأسباب التي أباح الإسلام من أجلها قتل المسلم ، لم يرتكبوا شيئاً من ذلك ، ومع هذا فها نحن في كل يوم نَفْتَحُ أَعْيُنَنا على صباح جديد من الفتنة ، لا تمثل

في قتال العدوّ المحتل ، وإنما تمثل - كما قلت لكم - في القتل الذي يستحرُّ ب المسلمين .

ما المبرر ؟ ارجعوا إلى بذور الفتنة ، البذور التي كانت تمثل في الكتب المكفرة : إنهم أعون سلطة ، إذن فهم كفرا ، إذن ينبغي أن يقتلوها .

أي دين قالها ؟

أي آية قالها الله عز وجل نصت على حكم بإطلاقه ؟

أي حديث نبوي صحيح عن رسول الله ﷺ تضمن هذا ؟

الذي يعرفه المسلمون أن الإسلام يتضمن نقيس ذلك ، لا أعلم أن هنالك من كان عوناً لأعداء المسلمين ، مثل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، هذا الرجل المسلم الذي أرسل كتاباً سرياً إلى أهل مكة المشركين ، يُنبئهم بأن محمداً ﷺ قد جهز جيشاً ؛ وهو يوشك أن يتوجه إليهم لفتح مكة ، فخذوا حذركم . ومع ذلك فهل أهدر رسول الله ﷺ دمه ؟ هل قتله ؟ جاء من يُفكِّر في ذلك ، فقال المصطفى ﷺ : (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)^(١) .

ولا مبرر لهذا الذي يجري اليوم متحدياً تحذير رسول الله ﷺ ، مُعرضاً عن أخباره المتكررة المنذرة المحذرة : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ ،

(١) أخرج قصته : البخاري في صحيحه ، باب الجاسوس ، برقم (٣٠٠٧) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم ، برقم (٢٤٩٤) .

لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ)^(١) . أَيِّ
تتقاولون - أنتم المسلمين - بأسلحتكم ، والسيوفُ كنایة عن السلاح
الموجود لكل عصر .

رسول الله ﷺ يقول هذا ، ولكننا نسمع ما يجري في كل يوم من
دوران رحى القتل على مسلمين أمثالكم ، وننظر إلى العدو الجاثم
على الصدر ، ننظر إلى العدو المستحل للأرض ، الغاصب للحقوق ،
وإذا هو يصفع ! وإذا هو لا يبيع فرحته لأحد ، أأنتم مجاهدون ؟

أهذا هو الجهاد الذي تزرعون الفرحة في قلوب أعدائكم ؟

ومهما تاه مُسلم عن مبادئ دين الله ، ومهما تاه مسلم عن كلام
رسول الله ﷺ ، فما ينبغي أن يغيب عن بيان الله سبحانه وتعالى المخبر
والمحذر والمنذر : ﴿ قُلْ هُوَ الْفَارِدُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِسْكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَّتِ لَعَلَّهُمْ
يَفَقَهُونَ ﴾٦٥﴿ وَكَذَبَ بِهِ قَوْمٌ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾[الأنعام : ٦٥-٦٦] .
ها هو ذلٌّ : ﴿ أَوْ يَلِسْكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ .

هذا هو الذي يجري اليوم ، يذوقُ المسلمين بأس المسلمين ،
ما في المسلمين من عدوان المسلمين بعضهم على بعض ، وهذا هو
الدّين الذي بُعث به رسول الله ﷺ !

* * *

(١) أخرجه الترمذى في سنته ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، برقم (٢١٧٠) . وأخرجه ابن ماجه في سنته ، باب أشراط الساعة ، برقم (٤٠٤٣) ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، وقال الترمذى : حديث حسن .

دُعَاءُ فِتْنَةٍ
= -
لَا دُعَاءُ رَحْمَةٍ

المحتوى

٢٨١	دعاة الفتنة أين تذهبون بالأمة؟ !
٢٨٣	دعاة الفتنة من يحاسبهم؟
٢٨٥	الارهابيون التكفيريون لا يتعظون بما مضى
٢٨٦	جهاد الطلب . . . قاعدة الجهاد في المسلمين بال المسلمين
٢٨٨	الجامع لدعاة الفتنة والقاسم المشترك
٢٩١	الدعاة المشبوهون
٢٩٤	حقيقة علماء الفتنة . . . يلبسون الباطل لبوس الإسلام
٢٩٩	فتوى الأزهر الشريف ضد دعاة الفتنة
٣٠١	فتوى القتال في سوريا . . . الفتنة الكبرى
٣٠٦	دعاة الفتنة في مظبة الإسلام السياسي
٣١٠	نداء إلى علماء الفتنة
٣١٣	ابن تيمية والخروج على الحاكم
٣١٤	وختاماً . . .

دعاة الفتنة أين تذهبون بالأمة؟!

إن دعاة الفتنة في كل زمان ومكان كثيرون ، لكن شرهم وصراحتهم تظهر أكثر ما تظهر إذا مرت بالأمة أحوال وأزمات هي أحوج ما تكون محتاجة إليهم للتهديئة والتربيت لكي تجتاز أزمتها .
سلام .

وما زلنا نتذكر ما قام به بعضهم في الأيام الأولى للأحداث في سوريا ، وتدفق الجماعات الإرهابية بعدها وعدتها ، إذ قامت مجموعات مهمة من الدعاة بإثارة الفتنة وتهسيح الناس ، واستغلال انشغال الحكومات بما تواجهه من أزمات عظيمة تعصف بها من كل جانب ، واليوم بينما تدخل الأمة دهاليز مظلمة لا يعلم نهايتها إلا الله تعالى ، نجد دعاة الفتنة يزيدون الطين بلة ، بل يؤججون النار زيادة في الفتنة ، ولو سُفكت الدماء ودب الخوف وضائع الأمان ، المهم عندهم على حد تعبيرهم « سقوط الطغاة » ! .

المشهد ذاته وهو يُعاد إخراجه في بلاد الشام بين فئتين مسلمتين منغمستين في أوحال الفتنة العمياء ، والقتال على متعال الدنيا تحت أكثر من عنوان مزور كاذب ، يُوجِّب على كل مسلم أن يصرخ بملء الفم في وجه القتلة : « دعوا المسلمين يطبقون الإسلام بشرف » ، وإذا كان قد هان عندكم دم المسلم ، ولم يَعد يرتد لكم طرف لما تقرفه أيديكم الآثمة من جرائم ، فَهَلا فَتحتم لعموم الناس من

ال المسلمين جَهَاتِ قِتال شَرِيفَة مَشْرُوَّعة دَفَاعاً عَنْ أَرْضِي وَأَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ الْمُغْتَصَبَة ، يَشْتَرُونَ فِيهَا آخِرَتِهِم بِدُنْيَا هُمْ ، بِجَهَاد لَا غُبَارَ عَلَيْهِ ، عَسَى أَنْ يُكْتَبُوا عِنْدَ بَارِئِهِم شَهَادَة بَدَلَ أَنْ يُذْبَحُوا فِي السُّرِّ وَالْعُلَانِيَّةِ كَمَا تُذْبَحُ الْخِرَافُ .

وَإِذَا عُدْنَا إِلَى الْأَحْدَاثِ فِي سُورِيَّةِ لِنْسَأْلُ : أَيِّ ذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ طَلَبَةُ كُلِّيَّةِ الْهِنْدَسَةِ بِدِمْشَقِ ؟ أَوْ طَلَابُ الْعِلْمِ فِي حَلْقَةِ شَهِيدِ الْمُحْرَابِ الْمُغْفُورُ لَهُ الْعَلَامَةُ الْبُوْطِيُّ ؟ وَالآلَافُ مِنْ نِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ فِي كَافَةِ أَرْجَاءِ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ ؟ وَمَنْ أَبْشَعَهَا مَا جَرِيَ فِي عَدْرَا مِنْ جَرَائِمِ يَنْدِي لَهُ جَبَّينِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَلَا تَدْرِي مَاذَا بَعْدَ عَدْرَا ؟

مَثْلُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ تَظَلُّ قَاصِرَةَ مَا لَمْ تَفْجُرِ السُّؤَالُ الْأَهْمَمُ ، الَّذِي بَاتَ الْبَحْثُ عَنْ جَوَابِ شَافٍ لَهُ فَرَضُ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ : « مَا الَّذِي أَلْمَ بِالْأَمْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَتَّى تَتَحُولَ أَرْاضِيَهَا إِلَى سَاحَةِ لِتَقَاتِلِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِهَذِهِ الشَّرَاسَةِ الْمُسْتَحْلِلَةِ لِدَمِ الْبَشَرِ ، وَالْبَهِيمِيَّةِ الْصَّرْفَةِ الَّتِي حَرَمَهَا الْإِسْلَامُ ، وَيَسْتَنْكِرُهَا الْمُشَتَّرُكُ مِنْ الْقِيمِ الْفَكَرِيَّةِ عَنْدَ الْبَشَرِ ؟ .

* * *

دعاة الفتنة من يحاسبهم ؟

كيف ولماذا سمحنا لنار الفتنة أن تنشر لهبها ويحصد أرواح أهلا ، وتهين المسلمين بالقتل البربرى البهيمى أكثر مما كان يهينهم غلو المفسدين المستبددين من حكامهم ؟ ولماذا خلدا الأخيار من الناس إلى الأرض ، فكانوا لأجل ذلك شركاء في الدماء مع القتلة مِنَ الْذِينَ يَسْتَحْلُونَ دِماءَ الْأَبْرِيَاءِ ؟ وكيف غفلنا وقتها عن محاسبة شيخ الفتنة وهم يفتون لهذا الفريق أو لذاك بجواز القتل باسم : « حق الطاعة لنصوص الشرع » هاهنا ، وباسم « محاربة الطواغيت » هنالك ، يلتوون أعناق المحكم من التنزيل ، ويقولون عن الله الكذب .

ولو أنها سألنا وقتها القرضاوى ومن جنح معه من العلماء والفقهاء والدعاة - في ما يُشَبِّه التحرير على الفتنة بين المسلمين - لم تجرأاليوم وهو في أرذل العمر على تحليل دماء المسلمين في ليبيا وهم يُمَرَّقُون تحت قنابل حلف النیتو ، أو استباح دم شيخ جليل بقامة العالمة البوطي ؟ !

ولماذا هرول الخطيب أمام رؤساء العرب بالدوحة يطلب من الأمريكي بسط مظلة صواريخ باتريوت على شمال سوريا ، وشجب تأخر تدخل حلف النیتو لتجديد ملحمة الليبية بأرياف الشام .

ليس هناك جواب على كل هذه الأسئلة سوى أنهم دعاة فتنة لا دعاة رحمة .

السؤال الذي أعيد استنساخه في سوريا بصيغة : « من يقتل من ؟ » له نفس البعد التضليلي الذي كان له في فتنة الجزائر ، لأنه يشتت الدم الحرام بين مجاهيل ، ويصرف المسلمين عن واجب إدانة إراقة الدم المسلم البريء الذي هو الأصل إلى إدانة المجاهيل من القتلة وهو الفرع .

* * *

الإرهابيون التكفيريون لا يتعظون بما مضى

السعيد من اتعظ بغیره ، والشقي من اتعظ به غیره

فقد اشتعلت حرب ضروس في الجزائر راح ضحيتها أعداد هائلة
من الأبرياء لا يُحصيهم إلا الله ، والنتيجة لا شيء ! .

وبعد هذه الحوادث وقبلها وقع ما وقع ولم نظر بعزة للإسلام
وال المسلمين ، بل لا نَحْصِدُ إِلَّا الْوَيْلَاتُ وَالْدَّمَارُ ، وهذا ما نراه جلياً
في طول البلاد وعرضها ، حيث اعتمد أصحاب الفكر التكفيري على
سياسة السلب والنهب وتشويه الإسلام وإيقاء البنية التحتية تحت
الصفر ، والولوج إلى مقدرات الدولة وتسخيرها لحساباتهم
الشخصية ، والحجج هي إعلاء كلمة الله .

* * *

جهاد الطلب... قاعدة الجهاد في المسلمين بال المسلمين

ترسيخ هذا الفكر الجهادي المنفلت العقال ، الذي انتقل بال المسلمين من جهاد الدفع المشروع دفاعاً عن الأوطان وحماية المسلمين من الغزاة والمستعمررين ، إلى جهاد طلب غير منضبط ، الذي فتن الشباب المسلم في ساحات مصر وتونس ، ولو بالتحالف مع الشيطان الأمريكي ، إلى جهاد في المسلمين في بلاد الرافدين ، إلى جهاد ترعاه أنظمة الخليج بالمال الفاسد ويبن أفسدهم المال من العلماء والفقهاء في بلاد الشام ، نراه يدفع بالشباب المسلم إلى الفتنة ، وإلى الهرج والمرج الذي حذرنا منه سيد المرسلين ﷺ .

وفي الجملة لم يعد الشباب المسلم يميز بين الحق والباطل ، وبين الجهاد المشروع الذي يحرر الأوطان ، وكان عليه إجماع المسلمين ، وأيده الشرفاء من بقية الملل - كما حصل في حرب التحرير الجزائرية والثورة السورية ضد المحتل الفرنسي - ، وبين ما نراه اليوم من دعاوى للجهاد في المسلمين تحت مظلة حلف النيل ، وصورياخ باتريوت الأمريكية ، وقد حللها لهم شيوخ الفتنة من علماء السنة .

المشهد الوارد من الدوحة - مقر المكر والكيد العربي - كان مشهداً مأساوياً يدعو إلى اليأس ، وقد بدا جلياً من تجدد واجهة النظام العربي بوفادة قادة جدد ، جاء بهم الغزو الأمريكي ، وآخرون جاءت بهم

الفوضى الخلاقة التي تنفذ تحت عنوان «ربيع الشعوب» ، لتنصب حكاماً مستوردين من لندن وواشنطن وباريس ، كان آخرهم رئيس الحكومة المؤقتة للمعارضة السورية ، الذي احتل مقعد سوريا ، وهو أمريكي الجنسية من أصول كردية ، لم يكن يسمع به أحد ، لتكتمل أمركة قيادة النظام العربي الجديد من الماء إلى الماء ، يتربصون بهم مشايخ الدوحة والحرمين ، ويدعى لهم بالنصرة والصلاح في خطب الجمعة والعيدان .

* * *

الجامع لدعاة الفتنة والقاسِم المشترك

كل من قرأ وتابع دعاة الفتنة يجد هناك قواسم مشتركة تدل على أنهم مشكاة واحدة منها :

١- الخروج عن كلام العلماء ، فلا تكاد تجد لهم استدلالاً بأقوال العلماء إلا قليلاً فيما إذا وجدوا قولًا يُفهم منه ولو من بعيد ما يُوافق آراءهم .

٢- قلة الاستدلال بالأدلة من الكتاب والسنة .

٣- التكفير العام للحكام والحكومات والتركيز على هذا الباب .

٤- التناقضات الكثيرة ، ونذكر على سبيل المثال مثالين :

* تكفيرهم للحكومات التي تحكم بالديمقراطية مع مشاركتهم المستمرة بالانتخابات .

* تأييدهم لحركة حماس الموالية لإيران مع عدائهم للدولة الصفوية .

٥- كثرة السب والشتم والهمز واللمز والتنابز بالألقاب ، حيث نرى ذلك جلياً في خطب ومقالات محمد العريفي الداعية المشبوه الذي سخر خطبه وقلمه للسب والطعن واللعنة . بل قد يستحي الليبرالي والعلمني أن يسخر باللحية كسخريته ، فقد كتب مقالاً بعنوان : « اللحى المستعارة » جاء في مقاله هذه السطور الآثمة في

حق الخطباء والأئمة الذين قالوا بوجوب طاعة ولی الأمر بالمعروف ، يقول : « وأما فتاوى الطاعة المطلقة للسلطة والانقياد الأعمى لها ، وإضفاء الشرعية على الاستبداد وإهدار حقوق الشعوب وإلغاء دورها بما هو إلا دين الشيطان ، وهو دین اللھی المستعارۃ التي یُوْظفها إبليس لتشويه صورة الشريعة الإسلامية ، وإظهارها بمظہر قساوسة الکنیسۃ في عصور ما قبل النھضة ليصد الناس عن دین المرسلین وشريعة رب العالمین ! والعجب والله كثرة هذه اللھی المستأجرة هذه الأيام ، حتى تکاد تتشابك مِنْ كثرتها فَتَسْدِ علینا الطرقات وتحجّب عنا ضوء الشمس ! حتى لم یَقِ شیء من الخبال علی أمة الإسلام إلا وافتieroه علی دین الله تعالیٰ . فأجازوا احتلال الصليبية للبلاد الإسلامية ، وأحلوا لها دماء المسلمين ، وحرموا الجهاد لتحرير بلاد الإسلام ، وزينوا للظلمة طغيانهم ، ثم وضعوا توقيعاتهم الملعونة علی كل دم سُفك ظلماً ، وعلی كل حکم صدر بَغِيًّا ، وعلی كل حَقْ أُهدر ، وعلی كل قول حُر صدر ، فهم والله من أعظم المصائب على أمتنا ، لاسيما في هذا العصر ، قطع الله دابرهم وأراح المسلمين من شرهم » انتهى کلامه^(١) .

إننا نعتذر عن نقل هذا الكلام المزعج ولكن للضرورة أحکاماً ، فقد أردنا أن يطلع العالم والفقیه المبصر عن المنهج الذي یتعامل به مع من خالقه في عقیدته ومنهجه !! .

(١) صحیفة المدينة المنورۃ ، العدد /٢١٦٣ /٢٠١٢ م .

ونحن نكاد نجزم بأنه يعجز أن يُصرح لنا بأسماء خمسة أشخاص فقط بهذا الوصف الذي ذكره مع أنه قال إنهم « كثرة » .

بل لو سأله : هل هؤلاء مسلمون أو كفار أو منافقون ؟ لعله سيقول : « لا أكفرهم » ، فإن قلت له : لكنك وصفتهم بما قد لا تتوفر تلك الأوصاف في كثير من الكفار .

* * *

الدعاة المشبوهون

يؤسفنا ويؤلمنا - ونَحْذِرُ منه ونَحْذِرُ غيرنا - هذا المنهج الثوري التكفيري الذي يتباين ويتمناه هذا العالم أو ذاك ، فهم يُريدون وبكل صراحة وواقحة أن تَحصل انقلابات وثورات في جميع الدول العربية ، ولم يَستثنوا منها شيئاً ، وكل عاقل يُدرك ماذا سَتَخلِفُه هذه الثورات من نزف للدماء ودمار للدول والشعوب وذهاب للدين والدنيا ، ولو كان ما يَدعون إليه من أجل إقامة التوحيد ونصر السنة وإعلان الجهاد المشروع لتكونَ كلمة الله هي العليا لكننا أول من يَضع يده معه ، وتدبر حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الرجل يُقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : (من قاتلَ لتكونَ كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)^(١) . فلم يعتبر النبي ﷺ الجهاد جهاداً مشورعاً إلا إذا كان من أجل أن تكونَ كلمة الله هي العليا .

خطيب الفتنة الأول القرضاوي - شيخ الفتنة - الذي ذهب في خطبته - وفي أحضان رببته قطر - ليقول : « لم يكِد محمد البوعزيزى - طيب الله ثراه - يُفارق الحياة حتى بَعثَ بِموته عقولاً وأحيا قلوبًا وحرر أئمماً وحرك شعوباً ، كما دك طغاوة وعروشاً ، وأسقط مذاهب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب من قاتل لتكونَ كلمة الله هي العليا ، برقم (٢٨١٠) .

ونظريات طالما كانت قيداً على العقول والأفكار ، كل ذلك بفورة غَضْبِهِ وَثُورَةِ شَعْبِهِ » .

ثم أتم خطبته الطويلة ليخلص فيها إلى أن محمد بوعزيزي مات شهيداً مُستحقاً للشهادة بأكثر من وجه ، وكذلك على حد تعبيره : « من خرج - كما جرى في مظاهرات تونس - احتجاجاً ودفاعاً عن حقه ودينه وعرضه وماليه ولقمة عيشه ووطنه فقتل فهو شهيد » .

نقول : لاشك هذه دعوة صريحة وجريئة جداً من هذا الثوري الفتّان ، لكن الغريب والعجيب أنه قال قبل نهاية الخطبة بقليل : « إننا لا ندعوا - كما يتوهם سدنة الطاغوت - إلى أن يقتل الشباب أنفسهم » انتهى كلامه .

سبحان الله ! بعد كل هذا التمجيد الذي مَجَّدت به محمد بوعزيزي من كونه مات شهيداً وقدم للأمة ما قدم ، وشجعت القارئ والسامع أن يخطو خطوه ويهذو حذوه تقول : « لا ندعوا أن يقتل الشباب أنفسهم » ؟ .

وآخر لدينا في سوريا بالأمس ، أخذ امتيازات رائعة من النظام ، واليوم يُلقي خطبته المشهورة تحت عنوان « منهاج السلف أعدل » ! بأسلوبه المعروف كالمعتاد ، لم يأت بجديد ، ولكن بعد التهسيج والدعوة إلى الفوضى قال أخيراً بالحرف الواحد : « كلامي هذا ليس دعوة إلى الفوضى والغوغائية » .

سبحان الله ! تشبهت أقوالهم ، فنجده يقول قولًا ليُوصل إلى عقول الناس منهجاً خاصاً ، ثم يحتاط لنفسه فيختتم بقوله : « كلامي

ليس دعوة إلى الفوضى والغوغائية » ، صدق عليه ما قيل قديماً : « كاد المربي أن يقول خذوني ». .

وهذا يذكرنا بما يفعله بعض العامة ، تجده يغتاب أخاه المسلم ويستطيل في عرضه ويدركه بما يكره ، وفي النهاية يقول : « وليست هذه غيبة له وإنما هي الحقيقة » ، فاته بأن الله تعالى لا تخفي عليه خافية ، قال الله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر : ١٩] .

ومثل هؤلاء من دعاة الفتنة من يظهر علينا بين الحين والآخر من يدعوا إلى المظاهرات والمسيرات التي لا علاقة لها بالإسلام وال المسلمين لا من قريب ولا من بعيد ، والتي أفتى العلماء بتحريمها مطلقاً سواء أذن بها ولـي الأمر أو لم يأذن بها ، والتي في حقيقتها خراب ودمار وسفك للدماء وضياع للدين والدنيا .

ليس لهم فيها مستند شرعي سوى أن مصالحهم الشخصية تدعوا لها ، فلا يسعهم إلا السمع والطاعة المطلقة ، لأن في أعناقهم بيعة لابد من الوفاء بها ، لاسيما وهم أصحاب المال ، لذلك زعموا بأن المظاهرات والمسيرات لا بأس بها إذا كانت سلمية ! .

سبحان الله ! وهل يتصور عاقل له بصر وبصيرة أن هناك مظاهرات ضد الحكم يأذن بها وتكون سلمية ؟ ! .

لو تصورنا أن هناك خارج الذهن سباحة في الماء بلا بلل يمكن أن نتصور مظاهرات بلا تخريب ، إنها الحقيقة ولكن ماذا نصنع مع المكابرین ؟ ! .

* * *

حقيقة علماء الفتنة... يُلْبِسُونَ الْبَاطِلَ لِبُوْسَ الْإِسْلَامِ

رجال دين . . . مشايخ . . . علماء . . . مفكرين . . . سياسيين . . . لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، شاركوا في المؤتمر الذي أقامه ما يسمى بـ « اتحاد علماء المسلمين » في قطر بعنوان « معكم حتى النصر » وذلك لدعم الثوار في سوريا حسب ادعاءاتهم .

قبل كل شيء يجب أن نعلم أن هذا المؤتمر إنما هو عبارة عن مهرجان لنيل أحسن جائزة في الخطاب الرنانة التي يطلقها هؤلاء ، والآن سنتبين حقيقة ما دار في هذا المؤتمر ونفند ادعاءاتهم بأن ما يجري في سوريا هو جهاد ضد الظلم .

بداية مع كبيرهم - الذي علمهم السحر - القرضاوي ، الذي يُناقض نفسه بنفسه ، يقول في المؤتمر :

١- « أتساءل : كيف لمائة مليون من الشيعة أن ينتصروا على مليار وسبعمائة مليون مسلم سني ؟ » هل تنسى القرضاوي أن هؤلاء المائة مليون هم ضمن العدد الذي تحدث عنه آنفاً وهو مليار وسبعمائة مليون .

٢- « الشيعة هم كفار خارجون من الملة ويجب قتالهم » غريب أمرك يا قرضاوي ، ألسنت نفسك القائل أيضاً : نحن أمة واحدة ،

المفروض أن أهل القبلة جمِيعاً أمة واحدة ، سنة كانوا أم شيعة ، نحن نُؤمن بوحدة أهل القبلة ، كل من يصل إلى القبلة ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وقد رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالقرآن منهجاً ، كل من آمن بهذه فهو أخ لنا .

ولما نريد أن نطيل حول التناقض الدائم في تصريحات القرضاوي ، ولكن إذا كان القرضاوي حسب ما يعتبره الإخوان المسلمون بأنه الأب الروحي لهم ، فما رأيه بكلام حسن البنا الذي قال : « اعلموا أنّ أهل السنة والشيعة مسلمون ، تَجْمَعُهُمْ كَلْمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رسول الله ، وهذا أصل العقيدة ، والسنة والشيعة فيه سواء وعليه التقاوئُهُمْ ، أَمَّا الْخَلَافُ بَيْنَهُمَا فَهُوَ فِي أَمْوَارٍ مِمْكُنٍ التَّقْرِيبُ فِيهَا بَيْنَهُمَا »^(١) .

وما رأى القرضاوي بتأكيد محمد مهدي عاكف المرشد السابق للإخوان المسلمين أن ما يدور بين السنة والشيعة خاصة في العراق ولبنان لا يزيد على كونها خلافات سياسية لا دخل للإسلام ولا المذاهب فيها ، وهي ليست اختلافات فقهية ، وهذه الاختلافات الفقهية لها مجالس للعلماء المتخصصين فيها ، وهذا لا دخل له بالخلافات السياسية . وقال : « إن مبدأ جماعة الإخوان المسلمين هو التقرير بين المذاهب ، وإن القرضاوي متافق معنا في هذه المسألة » .

ما رأى القرضاوي بكلام محمد بدیع المرشد العام للإخوان : « لا

(١) « ذكريات لا مذكرات » عمر التلمساني - ص ٢٤٩ - مجلة العالم - عدد ٥١٩ - ص ٤٠ .

خوف عندنا بالمرة من المذاهب السنوية أو الشيعية ، فكلها مذاهب إسلامية مقدرة ومحترمة ، وما يخالف منها قواعد وضوابط الإسلام ، فعلماء الإسلام قادرون على أن يُوقفوه عند حده » .

عمر التلمساني المرشد السابق للإخوان يقول : « التقريب بين الشيعة والسنّة واجب الفقهاء الآن ، ولم تفتّ علاقه الإخوان بزعماء الشيعة فاتصلوا بآية الله الكاشاني ، كل هذا فعله الإخوان لا ليحملوا الشيعة على ترك مذهبهم ، ولكنهم فعلوه لغرض نبيل يدعوه إليه إسلامهم ، وهو محاولة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى أقرب حد ممكن »^(١) و « وبعيداً عن كل الخلافات السياسية بين الشيعة وغيرهم ، مما يزال الإخوان المسلمون حريصين كل الحرص على أن يقوم شيء من التقارب المحسوس بين المذاهب المختلفة في صفوف المسلمين »^(٢) ، ولا ننسى الكثير من أمثال الإمام الذهبي والشيخ شلتوت والإمام الغزالى وغيرهم من علماء المسلمين في الماضي والحاضر الذين أكدوا نفس هذا الكلام .

أما علي محبي الدين القرءان القراءي أمين عام اتحاد علماء المسلمين فقد قال في المؤتمر : « من تسول لهم أنفسهم بأنهم رجال المقاومة هم ليسوا سوى زارعين لبذور الفتنة الطائفية ، وهم أيضاً مُنفذون للسياسة الأمريكية والصهيونية في المنطقة » ، ما رأي الأمين العام

(١) « شبّهات حول الإخوان المسلمين » ، عمر التلمساني ، ص ٥١ ، دار الشروق ، القاهرة .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٥٧ .

بخطبة الجمعة التي ألقاها القرضاوي قبل أسبوع حول استجداءه أمريكا وطلبه منها أن تقوم بمهاجمة سوريا وتقديم السلاح للإرهابيين لوجه الله تعالى ؟ وأين الأمين العام من تصريحات القرضاوي بنفس الخطبة حول طمانة الولايات المتحدة بأن من يُسمّيهم الثوار لن يُشكلوا خطراً على إسرائيل .

ولننتقل إلى كلام سعيد اللافي ممثل الحراك الشعبي في العراق : « إن ثورتنا في العراق تُكمل ما بدأه إخواننا في بلاد الشام ، وأضاف أن العراقيين أول من تعرضوا للذبح على أيدي ميليشيات الحقد والغدر ، فالمؤامرة ليست على سوريا فقط » ، لماذا تناصيت ما قامت به قوات الاحتلال الأميركي عندما غَزَت العراق ؟ ألم تقتل الآلاف بل الملايين من العراقيين ؟ ألم تقم الولايات المتحدة باغتصاب أخواتنا العراقيات في سجن أبو غريب ، والله إن أمرك لغريب .

ولا يتسع المقام هنا لذكر باقي تصريحات هؤلاء ممن يدعون العلم ولكن قبل أن ننهي الموضوع نريد أن نذكر هؤلاء وبالتالي :

- ١- أين أنتم مما يجري في فلسطين ؟ لماذا لا توجهن الدعوة إلى فتح باب الجهاد لتحرير القدس والمسجد الأقصى المبارك ؟
- ٢- أين أنتم مما يجري للعديد من المسلمين حول العالم من تشريد وقتل وتعذيب ؟ أليس المسلمون إخوة ؟

- ٣- أين أنتم من الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها العلماء ؟ فأنتم ما فتئتم في مؤتمركم هذا تطلقون السباب والشتائم واللعن ، وتناسيتم

قول الرسول ﷺ : (أَكْمَلَ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًاً أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا)^(١) ، وقوله النبـي ﷺ : (لِيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالْطَّعَانِ وَلَا الْلَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشَ وَلَا الْبَذِيءُ)^(٢) .

٤- لا ندري كيف تعقدون مؤتمركم هذا في بلد يملك أكبر قاعدة عسكرية أمريكية في العالم ، تُستخدم لضرب العراق وتخريب سوريا والبلاد العربية والإسلامية . ولكن نطمئنكم جميعاً أننا كشعوب عربية لن نقبل بالوصاية الأمريكية والإسرائيلية علينا ، ولن نقبل بمشروع الشرق الأوسط الجديد ، ولن نقبل بأن تكون هناك اتفاقية سايكس بيكون جديدة ، ولن نقاد خلف الفتنة التي تحاولون إشعالها ، فجميعنا عرب ومسلمون ، ولن نتخلـى عن عروبتنا وإسلامنا في سبيل الأمريكان واليهود ، صدق من قال عنكم : (كغثاء السيل)^(٣) هذه هي حقيقة علماء الفتنة الذين يلبسون الباطل لبوس الإسلام .

* * *

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (١٧٣) .

(٢) أخرجه الترمذـي في سنـته ، باب ما جاء في اللعـنة ، برقم (٧٥٨٤) .

(٣) أخرجه أبو داود في سنـته ، باب في تداعـي الأمـم عـلى الإـسـلام ، برقم (٤٢٩٩) .

فتوى الأزهر الشريف ضد دعاة الفتنة

رجال الدين المحرضون على الفتن دعاة فتنه مفسدون في الأرض

أجمع عدد من علماء الأزهر الشريف على أن الذين يدعون للعنف وارتكاب الأعمال الإجرامية من العلماء والدعاة لا يمتون للدين بصلة ، فالداعية يدعى إلى الوسطية والاعتدال ونبذ العنف ، مؤكدين هم على أن الذين يدعون إلى العنف والإرهاب دعاة فتنه ، وهم من أطلق عليهم القرآن الكريم « المفسدون في الأرض » .

وأضافوا أنه يجب تطبيق حد الحرابة عليهم ، واعتبارهم شركاء في كل الجرائم التي نتجت عن دعواتهم للعنف وسفك الدماء ، ومنهم القرضاوي صاحب الفتوى المحرضة ضد مصر وسوريا ولibia ، وغيرهم من اعتبارهم الكثيرون رموزاً للإسلام .

من جانبه قال الدكتور عبد الله النجار أستاذ الشريعة والقانون بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية : إن المحرضين من العلماء على العنف وسفك الدماء لا يجوز تطبيق حد الحرابة عليهم كما طالب البعض ، بل يعتبرون مشتركين في العنف والتحريض على ارتكاب الأعمال الإجرامية وشركاء في الجريمة ، ويطبق عليهم عقاب هذه الجرائم . وأوضح أنه إذا لم توجد عقوبة لهم يُطبق عليهم عقوبة التعزير ، وهي حسب خطورة الجريمة وحسبما تقدرها الدولة والحاكم .

وقال الشيخ عبد الحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

سابقاً : إن حد الحرابة يُطبق على مجموعة من الناس حددتهم القرآن الكريم ، وهم الذين يسعون في الأرض فساداً ، حيث قال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا جَرَّبُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصْكَلَبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة : ٣٣] . وأوضح أن حد الحرابة يُطبق على كل من سعى في الأرض فساداً أيًّا كان الفساد ، لأن المفسدين جزاؤهم النار ، وتوعد الله عز وجل المفسدين بالهلاك ، مؤكداً أن تطبيق حد الحرابة للعبرة والعظة . وأشار إلى أن ترويع الآمنين والتخريب والتدمير يدخل تحت بند الفساد في الأرض ، وأكد قائلاً : «لن نجد عالماً من علماء هذه الأمة يدعوا للعنف ، لأن العالم الحق هو الذي يدعوا للسماحة والوسطية والاعتدال » .

وقال الدكتور محمود مهنى عضو هيئة كبار العلماء : «إن شيوخ الفضائيات الدينية شوهو الإسلام في شتي بقاع الأرض ، لأنهم عملوا على بث الكراهية ، وحرضوا على العنف والإرهاب بين المسلمين ، مشيراً إلى أن الدين الإسلامي لا يحث على ذلك ، لأنه دين المحبة والسماحة» . وأضاف قائلاً : «من يقدمون على بث الكراهية والعنف ليسوا بمسلمين ، وإنما هم أشخاص مدفوعون من جهات أجنبية للاءمة إلى الإسلام وسماته ، وعلى رأسهم علماء الفضائيات الذين شوهو الإسلام»^(١) .

(١) «الغایات والأهداف في منهج الدعوة الإسلامية» محمد سيد عبد العال ، ص ٣٦ - ٤٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٢ .

فتوى القتال في سوريا... الفتنة الكبرى

ذَكَرَ بيان علماء الأمة الذي أصدروه في مصر في فقرته السابعة أفراد الجيش السوري بحرمة دماء الأبرياء ، وجاء التذكير بحرمة دماء الأبرياء بعد أن أحل ذات البيان دماء المسلمين فيما بينهم بفتوى هي من أغرب الفتاوى في التاريخ الحديث . فأول ما بدأ به البيان الموجه للMuslimين آية الإذن بالقتال : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ طَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج : ٣٩] . وحديث للرسول ﷺ يتوعد كل مسلم خذل مسلماً بأن يخذله الله . وبهذا المنطق لم يترك البيان فرصة أخرى غير انتظار الأمر الجلل والدعوة إلى الخروج إلى مقاتلة « أعداء الله » من المسلمين في سوريا ، بزعم أنهم من المتخاذلين والمتعاونين مع النظام .

البيان خطير للغاية لأنه ليس موجهاً ضد الحكومات والأنظمة السياسية في العالم الإسلامي من باب الضغط السياسي ، بل هو موجه للأشخاص ، وهذا ما أوضحه الداعية السعودي محمد العريفي في تصريح للجزيرة قال فيه : « إن العلماء الذين حضروا اجتماع القاهرة يتبعهم جمهور غير » ، مضيفاً بقوله : « إن من يقرأ البيان يتتأكد أنه يتضمن التوجّه إلى الشعوب » . ومن هذا المنظور تحول علماء الأمة إلى مؤطري حركة الجهاد في العالم الإسلامي ، ويتحملون تبعات التداعيات المختلفة لذلك .

وجاء في البند الأول لفتوى « علماء الأمة » : « وبناء على قراءة للوضع في سوريا بمنظور طائفي واضح : وجوب النفرة والجهاد لنصرة إخواننا في سوريا بالنفس والمال والسلاح ، وكل أنواع الجهاد والنصرة وما من شأنه إنقاذ الشعب السوري من قبضة القتل والإجرام ، ووجوب العمل على وحدة المسلمين عموماً في مواجهة هذه الجرائم ، واتخاذ الموقف الحازم الذي ينقذ الأمة وتبرأ به أمام الله الذمة ، كل حسب استطاعته ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْجَالِ وَالنَّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرَيْهُ الظَّالِئِ أَهْلَهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلَيَّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [٧٥-٧٦] .

وجاء في الفقرة الثانية من نفس البيان : « اعتبار ما يجري في أرض الشام من عدوان سافر من النظام الإيراني وحزب الله وحلفائهم الطائفيين على أهلنا في سوريا يُعد حرباً معلنة على الإسلام والمسلمين عامة » .

ولسائل أن يسأل : لماذا لم يجتمع علماء المسلمين ويصدروا فتوى مشابهة تجعل القتال ضد العدو الصهيوني في فلسطين واجباً شرعاً ، وينادي مسلمي العالم للزحف على إسرائيل التي تغتصب أرض المسلمين وتذبحهم تذبيحاً مُند عقود ؟ ولماذا لم يعلن هؤلاء العلماء في حرب العراق وإيران الحرب المقدسة إلى جانب صدام ضد دولة إيران ؟ بل لماذا لم يُدْبِج هؤلاء العلماء الأجلاء فتوى مُماثلة

تَدعُو للقتال المقدس في بُورما ، حيث يُقتل المسلمون تقيلاً ويعذبون ويغتصبون . . . ، لماذا سوريا اليوم ؟

تصريح الداعية العربي السابق يحمل بصيص إجابة ، حيث قال في نفس التصريح للجزيرة : « إن الوثائق المرئية والمكتوبة التي عُرضت على المؤتمر تُفيد بأنَّ من أسامِهم الرافضة الصفوين لن يكتفوا بسوريا ، بل سَيَلْتَقِتون إلى مصر ودول الخليج ومكة والمدينة » مُشدداً على أن « الثورة السورية وصلت إلى مرحلة خرجت فيها من قبضة الحكام » .

الأمر إذن لا يتعلّق بقتل مسلمين في سوريا ، بل من جهة أولى يتعلّق بخوف من توسيع شيعي في المنطقة ، ومن جهة ثانية بخروج الملف السوري - في تقدير العلماء - من أيدي الدول . وفي هذا السياق يحق طرح السؤال التالي : هل تَسْعى جهات مَا إذن لجسم ميزان القوى في المنطقة بالزحف البشري للمسلمين السنة من كل أنحاء العالم ؟ هل فَتَوْيَ العلماء ورقة سياسية للضغط على من يعندهم الأمر لتسريع الحل الدولي في الملف ؟

إن البيان الذي انتقد جرائم الطائفية في سوريا صَبَ على نار تلك الطائفية زيت فتوى طائفية أشد منها ، حيث أن الفتوى وسعت دائرة التداعي للقتال الطائفي ليشمل كل مسلم سني بالطبع في كل أنحاء العالم الإسلامي ، بعد أن كانت محصورة في سوريا وما يجاورها .

ولا يخفى على أي مُتحرر من النزعة الطائفية أن فساد فتوى

« علماء الأمة » سيكون إذا استُجيب له ولو بواحد في المائة أشد من فساد أي حرب عرفها التاريخ .

فالبيان يُؤسس لمجزرة بين المسلمين هي الأولى من نوعها في العصر الحديث ، فإذا كان البيان مُوجه للسنة ، فإنه عملياً وبالتالي يُحرّض أيضاً للشيعة ، ويَدعوهُم لنصرة إخوانهم الشيعة ضد تكتل السنة في سوريا ، مما يعني أن البيان فتح باب حرب دينية بين المسلمين الله وحده أعلم كيف ستنتهي ، ومُدّجوبي البيان وحدهم من يتحمل وزرها .

ويفقد البيان أساس « التأصيل » الذي اعتمدته - إذا جاز قبوله عقلاً وشرعياً - بكل بساطة ، لكونه يدعو المسلمين إلى المجزرة ليقاتلوا أناساً لن يتَبَيَّنوا ماهيتهم ! مما يعني أنهم بلا شك سَوْفَ يُقتلُون أيضاً الأبرياء ، وسيُقتلُون هُم أنفسهم في معركة كان ينبغي ألا تقارب مقاربة دينية تجعلها بين كفار وMuslimين .

البيان جاء في ظرف عَرَفت فيه أوساط الإسلاميين بالفعل هجراتٍ منظمة إلى سوريا ، والبيان يحمل فتوى « علماء المسلمين » ، وهي تَجْعَل النصرة للمسلمين في سوريا واجباً ، وتؤذن لهم بالقتال هناك ، وسوف تتضاعف أعداد المقاتلين في سبيل « علماء المسلمين » نحو سوريا .

لا يَسْتَحْضُر هؤلاء العلماء كيف يُمْكِن للدول النَّظر إلى مواطنين يَخْرُجُون منها لحمل السلاح والقتال في دولة أخرى ثم يَعودُون إليها بعد ذلك ؟ من يَكُون هؤلاء في منظور الدولة ؟ لم يَسْتَحْضُر هؤلاء

أنهم يَزجُون بالآلاف من الشباب في لوائح « الإرهاب النائم » ، والذي يُمكِن إيقاظه في أي وقت لِتصفية الدعاة والحركات الإسلامية في دولهم بتورط هؤلاء المقاتلين أو توريطهم في أعمال إرهابية قد تكون مجرد عُنف بسيط حين يأتيه غيرهم ، لم يستحضر هؤلاء العلماء أنهم يُقدمون التأصيل الشرعي لِتغذية الهجراتِ الجهادية نحو مناطق أخرى تَنشَط فيها القاعدة .

التداعيات المحتملة لفتوى القتال في سوريا سواء في إعدادها لمجزرة فظيعة بين المسلمين بأرض سوريا ، أو بِتغذية رصيد « الإرهاب النائم » في مختلف الدول وما ينتَج عنه من الإضرار بصورة الإسلام واستقرار البلدان وبالدعوة وأهلها ، كل هذا يجعل فتوى « علماء الأمة » فاسدة وباطلة ، وذات دلالات طائفية واضحة .

* * *

دعاة الفتنة في مظلة الإسلام السياسي

من ينظر ويُمعن في اجتماع ما يُسمى « علماء المسلمين » الذين اجتمعوا في القاهرة وهرعوا من كلِّ وكرِّ صهيوني عميق لِنصرةِ من نَصَبَهُمْ وساعدهم ، ومَلأ جُيوبهم بالدولارات ليقولوا كلمة باطل في عاصمة المعزِّ القاهرة .

اعتقد الشعب العربي في مصر أن مؤتمرهم هذا مُكرس لتحرير القدس والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة من بَراثن الصهابية الأنجلوـس ، وإذا بهم يتبارون نافذين رِيشُهُم ضد سوريا التي تمثل قيمة العروبة والإسلام ورباط العرب والمسلمين الذين فَتحوا العالم لينشروا العدالة والمساواة والرحمة والسلام .

إذ قال أحد علماء التاريخ الغربيين : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » ، أما هؤلاء الشيوخ الذين لا يعرفون ألف باء الإسلام ، فلقد أعمى قلوبهم الدولار ، وحددوا عن جادة التسامح والإخاء ، وتمكن الحقد من نفوسهم ، وأكلت الضغينة أكبادهم ، فتحولوا إلى وُحوش كاسرة يُوجهُهم العدو الصهيوني حيثُ يُريد وأنى يرغب لأنَّه وجد ضالتَه بهم ، إنهم أبالسة وشياطين بصورة بَشَر ، فتباري في التسابق إلى الجهاد في سوريا كلُّ من « القرضاوي » المعروف في خدمة الصهيونية ، فضلَّ المغفلين في الخليج بطول لحيته وارتفاع عمامته .

والثاني «العريفي» الذي أفتى للعصابات المسلحة المرتزقة بجهاد «المناكحة» ، فبئس هؤلاء الشيوخ الذين تحولوا إلى خدّم للصهيونية وأداة لتشويه الإسلام ، معتقدين أن الشعب العربي السوري يمكن أن يغشوه بلحاظهم وعماماتهم ، تناسوا أن هذا الشعب يفرق جيداً بين الحق والباطل وبين العلم والجهل ، ويفرق بين العمامات التي يلبسها عالم تقي وبين العمامات التي يلبسها شيطان رجيم .

فتواكم مردودة عليكم لأنكم فقدتم مصداقية الدين الذي تدعونه لأنكم تؤمنون به ، وأنتم تقفون في خندق الأعداء ضد شعب عَلَمِ البشرية مبادئ الحضارة والتقدم .

إن موقفكم من سوريا وتحريضكم على الفتنة ومناداتكم للجهاد المزيف ما هو إلا خدمة للعدو الصهيوني القابع على أرض فلسطين منذ أكثر من ستين عاماً ، وهو يقتل الأطفال والنساء ويحرق الزرع والضرع ، ولم يُبق على الشجر والحجر والبشر ، ودَنَسَ المقدسات ، إذ يبكي اليوم المسجد الأقصى أولى القبلتين على بعد مئات من الأميال من مؤتمركم هذا وهو ينادي المسلمين لتحريره ، ولكن لا حياة لمن ينادي ، كونكم جهله في التاريخ والجغرافيا والإسلام والعروبة ، لا تعرفون إلا يهود الخزر ، لأنكم بقايا المغول الذين دَمْروا البلاد والعباد ، وشجعوا الجهل واستباحوا مكتبات العلم ، ورموا كتب بغداد في دجلة حتى أصبحت مياه دجلة زرقاء أياماً ، ورأياتهم سوداء كجهلهم الأسود ، فلو كانت هذه الثلة من شيوخ الفتنة في عهد الرسول ﷺ لأقيم عليهم الحد ، واتهموا بالردة والتكفير ،

لذلك يحمدون الله أنهم ما كانوا في ذلك العصر ، ولكنهم لم ولن يسلّموا من الشعب العربي في سوريا والأقطار الأخرى .

إن هؤلاء الشيوخ المدسوسين في الإسلام مُتواطئون لينفذوا دوراً قَدِرَاً تَستفيد منه إسرائيل التي تعيش اليوم أفضل أيامها ، عندما تَقطف ثمار مؤامراتها علىعروبة والإسلام ، واستطاعت أن تَزرع في الإسلام ألغاماً لتفجيره وتشويهه ، وتحویل المعركة من معركة الجهاد ضد العدو الصهيوني إلى الجهاد ضد العرب وال المسلمين بواسطة العرب وال المسلمين أنفسهم ، وهذا ما يُريح العدو الصهيوني لأن البنادق انتقلت من تسديدها إلى صدر العدو إلى تسديدها إلى صدر العرب أنفسهم بفعل التآمر على سوريا .

وأخيراً نَطَقَ مرسي شيخ الإخوان المسلمين قائلاً : « من الواجب نصرة الشعب السوري » ، مُعلنًا قَطْعَ العلاقات الدبلوماسية مع سوريا ، مُتناسياً أنه إذا كان هناك مِنْ ظُلم وَقَعَ على الشعب السوري فَهُوَ مِنْ نصرته وإخوانيته وأمريكنته وصهيونيته ، لو كان وطنياً لمزق معاهدة « كامب ديفيد » الخيانة ، ولأغلق سفارة العدو الصهيوني في القاهرة عبد الناصر ، التي لوثها بالإشاعات الصهيونية ، وجبهة ما يُسمى النصرة والإخوان المسلمين صنيعة بريطانيا ، الذين شوهوا الإسلام الصحيح مُشكّلين جسراً لعبور الأعداء إلى البلاد العربية ، فَهم جَمِيعاً أدلة الخيانة ، وإنماً مَا يَعْنِي أَنْ يَقْفَ مَشَايخ الفتنة في فتوائهم المُغَرَّبة إلى جانب العصابات المسلحة المرتزقة التي وَظَفَتها أمريكا والغرب والصهاينة والسلامجة الأتراك والأعراب الأذناب لتدمير

سورية ؟ ولم يأتِ مؤتمر شُيوخ الفتنة على أفعال تلك العصابات المخربة المتضمنة حرق آبار النفط والغاز وصومع الحبوب والزرع والتفجير والقتل والاغتصاب والخطف وسرقة السيارات والأموال العامة والخاصة وهدم المنازل وحفر الأنفاق والتعامل مع العدو الصهيوني علناً وفي وضح النهار وضرب البنية التحتية لسوريا وتهجير الناس ؟ كل هذه الأعمال يغض النظر شيوخ الفتنة عنها ، وهذا دليل إسهامهم في الجريمة ، فهل من يقوم بهذه الأفعال المشينة ثوار أو مسلمون ؟ وهل من يقدمون لهم فتاوى بصحة أعمالهم الإجرامية هذه يمكن أن يُقال عنهم علماء مسلمون ؟ أم هم صهاينة مجرمون ؟ ! .

* * *

نداء إلى علماء الفتنة

إنها دعوة إلى علماء الفتنة أن يعودوا إلى رُشدهم ، وأن يقرؤوا القرآن والسنّة ، ويَتَدَبَّرُوا مَا ورد فيهما من تشديد النّكير على الخروج على الحاكم ، وليرقُوا :

١- قول الله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَلْأَمَرُ مِنْكُمْ فَإِن تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] .

٢- قول رسول الله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه : (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتَعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدُ حَبْشَيٍّ كَانَ رَأْسَهُ زَبِيبَةً) (١) .

٣- ما روي عن علقة بْنِ وائل الحضرمي عن أبيه قال : سأَلَ سَلَمَةَ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفَيِّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَّرَاءٌ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا . فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّالِثَةِ ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) (٢) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم يكن معصية ، برقم ٧١٤٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق ، برقم ١٨٤٦ .

٤- قول رسول الله ﷺ لـ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : (تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلَّامِيرِ ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأَخْذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ)^(١) .

٥- قول رسول الله ﷺ : (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلِيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شَبِرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)^(٢) .

٦- قول النبي ﷺ : (إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِيءَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ) قالوا : يا رسول الله ، أَلَا نَقَاتِلُهُمْ ؟ قال : (لَا مَا صَلَوْا)^(٣) .

٧- ما روی عبدة بن الصامت رضي الله عنه قال : (دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَأَيْعُنَاهُ ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَأَيْعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرِهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثْرَةَ عَلَيْنَا ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، إِلَّا أَنْ تَرُوا كُفُرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)^(٤) ومعنى (أثرة علينا) : هضماً لحقوقنا ، يعني أنه يجب على المسلمين طاعة الحاكم المسلم حتى وإن لم يؤدي حق الرعية كما ينبغي . والإمام ما دام لم يظهر منه كفر بواح عليه من الله برهان فإنه يحرم الخروج عليه ، حتى ولو

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومقارقة الجماعة ، برقم (١٨٤٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول النبي ﷺ : (ستكون بعدي أموراً تنكرنها) ، برقم (٦٦٤٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، باب وجوب الإنكار على النساء حين يخالفن الشرع وترك قتالهم ما صلوا ، برقم (١٨٥٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول النبي ﷺ : (ستكون بعدي أموراً تنكرنها) ، برقم (٧٠٥٥) .

ارتکب الكبائر دون الشرك ، حتى ولو ظلم الناس بأخذ حقوقهم وبخسنهم فيها . قال شیخ الإسلام ابن تیمیة : « ونهوا عن قتالهم ما صلوا ، وذلك لأن معهم أصل الدين المقصود ، وهو توحيد الله وعبادته ، ومعهم حسنات وترك سيئات كثيرة » .

* * *

ابن تيمية والخروج على الحاكم

وها هو ابن تيمية الذي يَحْتَكِمُونَ لِحُكْمِهِ وَيَنْتَهِجُونَ مِذَهَبَهِ الْمَغَالِي
والمتشدد يقول بوضوح وجلاءً مبيناً تحريم الخروج على الحاكم
ومغالطاً فتواهم فيقول :

«ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة : أنهم لا يرون
الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف ؛ وإن كان فيهم ظلم ، كما دلت
على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ ؛ لأن الفساد
في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال
ولا فتنة ، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ، ولعله لا يَكَادُ يُعْرَف
طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو
أعظم من الفساد الذي أزالته ، ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور إلا
في حالة واحدة ، وهي أن يأتوا كفراً بواحاً وفيه من الله برهان»^(١) .

* * *

(١) «السياسة الشرعية» ابن تيمية - دار جرير - الرياض - ط٨ - ص١٤٢ .

وختاماً

إن كل أمرٍء لا محالة يوم القيمة مسؤول ، وإن كان عن حبة خردل أو دونها ، فكيف به عن أنهار من دماء المسلمين وغيرهم ! والحال أن هناك من منابر الإعلام واسعة الانتشار التي سخرت كل جهدها ، وأئمة أعلام بات لا هم لهم إلا الدعوة للقتل والاقتتال بين أبناء الأمة المحمدية الواحدة ، وما سمعت لهم هذه الأمة همساً حيال الصلح والإصلاح ، ولا عاينت منهم مثلما شاهدت من فورة واندفاع بخصوص فلسطين السليبة المحتلة ، وشعبها الذي يتعرض منذ أكثر من نصف قرن لإبادة بكل أبعاد هذا الجرم مثلما شهدت عليهم بخصوص سورية والعراق وقبلهما ليبيا واليوم مصر باسم الله ورسوله ﷺ ، وتحت عباءة دينه الحنيف ورداء شريعته السمحاء .

اللهم جنباً الفتنة ما ظهر منها وما بطن ، والحمد لله أولاً وآخراً
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



فهرس الموضوعات

الوهابيون خوارج هذه الأمة

١٧	مقدمة البحث
١٩	من هم الوهابيون؟
٢١	من هم الخوارج؟
٢٣	القواعد المشتركة بين الوهابية والخوارج
٢٧	تكفير الأئمة الأعلام
٢٩	الوهابية ومناهج التربية الدينية التكفيرية
٣٣	موقف علماء السنة من الوهابية
٣٧	الوهابية غلاة ينهون عن الغلو
٥٤	الخوارج والخروج على الحاكم
٥٥	الأحاديث الصحيحة الواردة في الخوارج
٦٤	الخاتمة

الكفر والتکفیر وضوابطهما

٦٩	مقدمة البحث
٧٤	الكُفر والتکفیر تعریفهما وضوابطهما
٧٧	ما هو الفرق بين المنافق والكافر؟
٧٩	الفِرقُ الإِسْلَامِيَّةُ قَدِيمًاً وَحَدِيثًاً وَمَوْقُوفُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا

ما هي خطورة التكفير المزاجي؟ ٨١
من هي الملة الناجية؟ ٨٣
متى ظهرت بدعة التكفير؟ ٨٧
ما هي الشمرة التي يبتغيها الغرب من نشر بدعة التكفير؟ ٩٢
هل تثمر محاولات نشر الفكر التكفيري وبث الفتنة الطائفية في بلادنا؟ ٩٣
التحذير من خطر التكفير ٩٤
السلف الصالح ٩٨
النبي ﷺ يحذر من التكفير ١٠٠
كلمةأخيرة ١٠٢
الخاتمة ١٠٤

الإخوان المسلمون بداية دين بلا دين ج ١

الإخوان المسلمون - قراءة في البدايات ١١٣
أبرز العلامات المميزة لجماعة الإخوان المسلمين ١١٦
حسنالبنا والسياسة ١٢٠
الرئيق الإخواني ١٢١
العنف والإخوان ١٢٣
البدايات المشبوهة للإخوان ١٢٩
الممارسة العملية لنظرية فصل الأقوال عن الأفعال ١٣٣

حقائق إرهابية تاريخية	١٤١
الدين والشريعة والواقع والمنطق يحاربون الإخوان	١٤٤
التداعيات	١٤٦
تداعيات التداعيات	١٤٨
ختاماً	١٥٠

أدعية السلفية في الميزان

مقدمة البحث	١٥٥
التمذهب بالسلفية بدعة لا يقرها أتباع السلف	١٦٠
الدليل على أن التمذهب بالسلفية بدعة	١٧٠
التمذهب بالسلفية بدعة لم تكن من قبل	١٨١
الآثار الضارة اللاحقة بالأمة الإسلامية من جراء هذه البدعة	١٨٩
أخيراً: ليس كل جديد بدعة	٢٠١
الخاتمة	٢١٤

مفهوم الجهاد في الإسلام

١ مقدمة البحث	٢١٩
الإنسان بين الحرية والتکلیف	٢٢٢
الردة وأحكامها	٢٢٥
الجهاد في الإسلام أنواعه ودواعيه	٢٢٨
الجهاد القتالي	٢٤٤

٢٤٨	شبهات حول نصوص
٢٧١	الخاتمة

دعاة فتنة لا دعاة رحمة

٢٨١	دعاة الفتنة أين تذهبون بالأمة؟!
٢٨٣	دعاة الفتنة من يحاسبهم؟
٢٨٥	الارهابيون التكفيريون لا يتعظون بما مضى
٢٨٦	جهاد الطلب... قاعدة الجهاد في المسلمين بال المسلمين
٢٨٨	الجامع لدعاة الفتنة والقاسم المشترك
٢٩١	الدعاة المشبوهون
٢٩٤	حقيقة علماء الفتنة... يلبسون الباطل لبوس الإسلام
٢٩٩	فتوى الأزهر الشريف ضد دعاة الفتنة
٣٠١	فتوى القتال في سوريا... الفتنة الكبرى
٣٠٦	دعاة الفتنة في مظبة الإسلام السياسي
٣١٠	نداء إلى علماء الفتنة
٣١٣	ابن تيمية والخروج على الحاكم
٣١٤	وختاماً
٣١٥	فهرس الموضوعات